جامعة الملك عبدالعزيز
مركز الدراسات الاستراتيجية

سلسلة نحو مجتمع المعرفة (٥١)

مكامن القوى الناعمة للمملكة العربية السعودية وسبل استثمارها محليا وإقليميا وعالميا

إعـــــداد

الفريق العلمي بمركز الدراسات الاستراتيجية
جامعة الملك عبدالعزيز

الباحث الرئيسي
أ.د. عصام بن يحيى الفيلالي

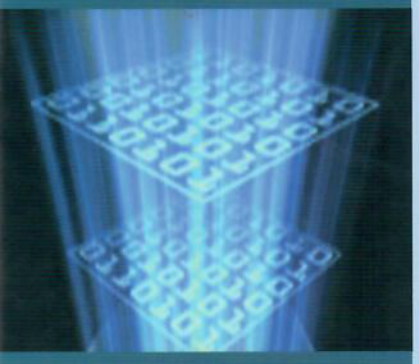

نحو مجتمع المعرفة

سلسلة دراسات يصدرها

مركز الدراسات الاستراتيجية

جامعة الملك عبدالعزيز

الإصدار الحادي والخمسون

مكامن القوى الناعمة للمملكة العربية السعودية وسبل استثمارها محلياً وإقليمياً وعالمياً

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

(ح) جامعة الملك عبدالعزيز، وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، ١٤٣٣هـ
فهرسة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مكامن القوى الناعمة للمملكة العربية السعودية وسبل استثمارها

جدة، ١٤٣٣هـ
١١١ص، ٢٤,٥ سم x ١٦,٥ سم
ردمك: ٧-٤٦٩-٠٦-٩٩٦٠

مكامن القوى الناعمة للمملكة العربية السعودية وسبل استثمارها

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٥٢٦٩
ردمك: ٧-٤٦٩-٠٦-٩٩٦٠

تعلموا العلم فإنّ تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله إلى أهله قربة

(الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه)

تصدير

(كلـــــــــــــمة)

معالي الأستاذ الدكتور اسامة بن صادق طيب

مدير الجامعة

من المسلم به أن دخول تقنية الاتصالات والحاسبات بشتى أنواعها إلـى المملكة العربية السعودية في العقود الأخيرة قد أسهم بدرجة كبيرة في إحداث طفرة نوعية في توظيف وتسخير المعلومات للارتقاء بجودة حياة المواطن وتطوره ورفاهيته ، وساعد في تحول قطاعات كثيرة من المملكة عن الأنماط التقليدية للمعرفة بدرجة أو أخرى . ومن المعروف أن مجتمع المعلومات متطلب أساسي لإقامة مجتمع المعرفة الذي نسعى جاهدين لإقامته في بلادنا . و التحول إلى مجتمع معرفي له متطلبات عديدة ، ومن أهمها فيما يتعلق بالجامعة :

- نظام تعليمي يوفر ركائز المعرفة وآلياتها ويعمق توظيفها .
- أجهزة فعالة للبحث والتطوير في كل كيانات الدولة العامة والخاصة .
- خطة إستراتيجية لإحداث تغيير جذري في بنية التعليم العالي وأنظمته .

وتفخر جامعة المؤسس (جامعة الملك عبدالعزيز) بأنها بدأت منذ عدة سنوات مسيرتها على طريق التطوير والتحديث في كل مجالاتها العلمية والتعليمية والبحثية وفي ميادين خدمة المجتمع بعد أن اتخذت من التخطيط الإستراتيجي منهاجاً ، ومن التطوير هدفاً وغاية ، تحقيقاً لمتطلبات مجتمع المعرفة . وقد حققت – بفضل الله – خلال سنوات قلائل نقلات كمية ونوعية على جميع المستويات المحلية والعالمية . وقد شهدت الأعوام الأخيرة توسعات أفقية ورأسية للجامعة ، من إنشاء لوكالات جديدة للجامعة ، وعمادات ، ومراكز بحثية متميزة ، ومعاهد ، وإنشاء كليات وتأسيس جامعات جديدة ، واستحداث أنماط جديدة من التعليم الجامعي ، ومسارات أكاديمية ، وتطوير للمناهج ، واعتماد التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد ، واستحداث برامج جديدة في الدراسات العليا ، وتطوير لبقية البرامج ، وقبل ذلك كله فقد قطعت الجامعة شوطاً بعيداً في مجال تحقيق هدفها للتحول إلى جامعة بحثية وجامعة إلكترونية ، إضافة إلى إقامة شراكات جديدة في مجال التعاون

الرقم : ..... Ref:. التاريخ: ..... Date: المشفوعات: ..... Encl.:

☎: ٦٩٥٢٠٠٨/٦٩٥٢٠٠٩ فاكس: ٦٩٥١٩٩٦ ص . ب: ٨٠٢٠٠ جـــــدة : ٢١٥٨٩ البريد الإلكتروني : E-mail
☎: 6952008/6952009 Fax.: 6951996 P.O.Box: 80200 Jeddah: 21589 president-office@kau.edu.sa

الدولي ، ومؤتمرات ولقاءات علمية متتالية تعقد في رحاب الجامعة وغير ذلك كثير من النشاطات الأكاديمية التي يتطلبها التحول إلى مجتمع معرفي .

وفي إطار السعي نحو مجتمع المعرفة ، فقد تحددت أهداف الجامعة عموماً في التعليم وتنمية المجتمع وإثراء ونشر المعرفة من خلال التركيز على النشاطات البحثية . فتلك هي رسالة جامعات البحث التي يحتاج إليها مجتمع المعرفة .

وإذا كانت جامعة الملك عبدالعزيز ، المعروفة بمبادراتها الرائدة في تطوير الأداء العلمي والأكاديمي والتخطيط الإستراتيجي ، تعرف طريقها إلى مجتمع المعرفة والذي تسير عليه منذ سنوات ، فقد رأت من واجبها وفاءً برسالتها في نشر الثقافة العلمية وثقافة التطوير ، أن تساهم في بناء مجتمع المعرفة في بلادنا ، فبادرت إلى إصدار سلسلة من الدراسات العلمية التي تضع الأسس السليمة لإقامة مجتمع المعرفة في بلادنا ، وتعريف مؤسسات المجتمع المعنية بالآليات والتقنيات التي اعتمدتها الدول المتقدمة في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة ، والتعريف بالمدلولات العلمية الصحيحة للمصطلحات والاتجاهات الجديدة التي شاعت مؤخراً في أدبيات البحث العلمي والتنمية والتطوير التقنية والتي يتعين علينا جميعاً الأخذ بها ، وتطبيق مايصلح منها لمجتمعنا طالما أنه لامناص لنا من اتخاذ التقنية الحديثة والتطوير سبيلاً للتقدم والتنمية ، وطالما أن التعامل مع معطيات العصر وإنجازاته العلمية والتكنولوجية أصبح ضرورة بقاء .

إن جامعة الملك عبدالعزيز لترجو أن تكون سلسلة " نحو مجتمع المعرفة " هادياً ودليلاً لكل من ينشد الدخول إلى مجتمع المعرفة من مؤسساتنا الوطنية والعربية .

نسأل الله السداد والتوفيق في تحقيق التقدم المعرفي لبلادنا وامتنا العربية .

مدير الجامعة

أ . د / أسامة بن صادق طيب

الرقم : ..... Ref:. التاريخ: ..... Date: المشفوعات: ..... Encl.:

☎: ٦٩٥٢٠٠٨/٦٩٥٢٠٠٩ فاكس: ٦٩٥١٩٩٦ ص . ب: ٨٠٢٠٠ جـــدة : ٢١٥٨٩
☎: 6952008/6952009 Fax.: 6951996 P.O.Box: 80200 Jeddah: 21589

البريد الإلكتروني : E-mail
president-office@kau.edu.sa

تقديم المشرف على السلسلة

تقدم سلسلة "نحو مجتمع المعرفة" دراسات علمية موضوعية للمفاهيم المستحدثة والآليات الجديدة التي يعتمد عليها مجتمع المعرفة والتي راجت في العقود الأخيرة من جراء الإقبال واسع النطاق على استخدام تقنيات الاتصالات والمعلومات، والتي كان لها أبلغ الأثر في تحول الاقتصاد العالمي إلى اقتصاد يعتمد أساسا على المعرفة العلمية، أو الاقتصاد المعرفي المبني على المعرفة التي تسفر عنها البحوث المدنية والتكنولوجية، وهي المعارف الجديدة التي تحولت بسرعة إلى سلعة أو خدمة أو هيكلة أو طريقة إنتاج، وأصبحت قدرة أية دولة وثروتها تتمثل في رصيدها المعرفي. وكان لزاما على بلادنا / المملكة، والدول العربية بصفة عامة، أن تتأهل للدخول في مجتمع المعرفة لكي تبلغ المكانة العالية التي تطمح إليها في العصر الحالي.

وقد أدركت حكومة خادم الحرمين الشريفين منذ سنوات أن التقدم التكنولوجي هو الحلقة الحاسمة لتحقيق التقدم الاقتصادي والتنمية المستدامة فبادرت إلى التوسع في التعليم العام والعالي بكل مستوياته وأنماطه الجديدة، وأنشأت الجامعات في كل مناطق المملكة وأقامت لها فروعا في كل المدن والمحافظات، وأعدت برامج طموحة للابتعاث إلى مختلف الدول المتقدمة علميا وتقنيا، وهي البرامج التي بدأت تؤتي أكلها بفضل الله. حيث بدأت طلائع الخريجين تصل إلى المملكة. وأصبح لدى المملكة جامعات حكومية وخاصة الكترونية بالكامل، وجامعات بحثية بالكامل على أعلى مستوى علمي وتقني. وأغدقت في الإنفاق على البحث العلمي وتشجيع العلماء ، في نهضة علمية واسعة النطاق وغير مسبوقة.

وقد ظهر أثر هذه النهضة العلمية المباركة واضحا بصفة خاصة في مؤسسات التعليم العالي في المملكة، وفي مقدمتها بطبيعة الحال جامعة المؤسس (جامعة الملك عبدالعزيز) بما لها من ريادة مبكرة في تطوير التعليم العالي في المملكة منذ نشأتها، وقد نصت في الرؤية المستقبلية للبحث العلمي

على أن تكون الجامعة الأولى للبحث العلمي على مستوى العالم العربي وضمن أفضل خمس جامعات على مستوى العالم الإسلامي في إطار الهدف البعيد للجامعة وهي أن تصبح جامعة الملك عبدالعزيز الرائدة في كافة برامجها على مستوى المملكة والعالم العربي.، وهو ما يتضح من تحولها السريع، في غضون أعوام قلائل، إلى جامعة بحثية وجامعة الكترونية تعتمد التعلم الالكتروني في مناهجها والتعليم عن بعد، وإنشاء مراكز تميز بحثي في التخصصات العلمية والتقنية الجديدة، واعتماد التخطيط الاستراتيجي منهجا لأعمال التطوير في كل القطاعات، وسعيها الدؤوب لاستقطاب العلماء البارزين في التخصصات العلمية الدقيقة والتقنيات الجديدة، وحصول الكثير من برامجها التعليمية على الاعتماد الأكاديمي الدولي، وإنشاء الحاضنات، وعقد شراكات مع الجامعات المرموقة ومراكز البحوث الدولية، وتضاعف أعداد الأوراق العلمية التي ينشرها أعضاء هيئة التدريس في المجلات المصنفة دوليا في نظام ISI، وتوالي الانجازات العلمية والطبية في وحدات الجامعة المتخصصة، وتكاثر براءات الاختراع المسجلة بأسماء الباحثين في الجامعة، وإنشاء مراكز لتشجيع الموهوبين وتنمية مهاراتهم، وراح علماء المملكة وطلابها ومبتعثوها يحصدون الجوائز العلمية في الداخل والخارج ... إلى غير ذلك من مؤشرات وشواهد التقدم العلمي والارتقاء المعرفي الذي تحققه جامعة الملك عبدالعزيز في سعيها الحثيث للوصول إلى العالمية، وهي كثيرة بفضل الله، والتي تعني بكل وضوح أننا قد بدأنا بالفعل في إقامة مجتمع المعرفة الذي دعت إليه وبشرت به سلسلة "نحو مجتمع المعرفة" منذ صدورها في عام ١٤٢٥هـ.

لقد أصدرت جامعة المؤسس هذه السلسلة من الدراسات القيمة كجزء من رسالتها العلمية في نشر الثقافة العلمية الجادة، بهدف وضع الأسس العلمية لإقامة مجتمع المعرفة في المملكة وفي العالم العربي بعامة، من خلال التعريف بالمفاهيم الصحيحة بالآليات المستحدثة والوسائل الفعالة لإقامة التنمية الشاملة والمستدامة، والتنظيمات المؤسسية والمبادرات التطويرية والمنتجات الرقمية وغيرها من ركائز النظام المعرفي العالمي، وصولا إلى تأسيس مجتمع معلومات عربي على أسس علمية وقواعد وقيم سليمة. ومن هنا فإن هذه الدراسات تتوخى دائما تحديد إمكانية تطبيق هذه المفاهيم واستخدام

هذه الآليات الجديدة في المملكة وكيفية الاستفادة منها في تنفيذ برامجها التنموية التزاما بمبدأ التفاعل مع احتياجات المجتمع والمساهمة في حل مشكلاته بالطرق العلمية، وهو الهدف الأسمى للبحث العلمي بأنشطته وبرامجه ومشروعاته المتنوعة التي ترعاها جامعة الملك عبدالعزيز.

المشرف على سلسلة "نحو مجتمع المعرفة"

أ.د. عصام بن يحيى الفيلالي

تنويه

يود الباحث الرئيسي التنويه بفضل الباحثين والمفكرين السعوديين الذين اعتمدت هذه الدراسة على كتاباتهم ومؤلفاتهم، والذين نقلنا عنهم الشيء الكثير مع بعض التصرف الذي تطلبه السياق العام لهذا الكتاب.

المحتويات

المحتـــويـــات	رقم الصفحة
تصدير لمعالي مدير الجامعة	**ز**
تقديم المشرف على السلسلة	**ط**
الفصل الأول: مقدمة	**١**
● مقدمة	٣
● نشأة مفهوم القوة الناعمة	٤
● تعريفات مختلفة للقوة الناعمة	٧
● انتقادات لمفهوم القوة الناعمة	١٠
● ظهور مفهوم "القوة الذكية"	١٣
● القوة الناعمة في المنظور الإسلامي	١٥
● ممارسة المملكة للقوة الناعمة والقوة الذكية	٢١
● خصائص مميزة تنفرد بها القوة الناعمة السعودية	٢٧
● مكامن القوة الناعمة للمملكة	٢٨
الفصل الثاني: المحور الديني والحضاري	**٣٣**
● الحج والعمرة	٣٦
● تطوير وحماية المقدسات الإسلامية	٣٨
● العلماء والدعاة	٤٠
● تطبيق الشريعة	٤٣
١- السرقة	٤٧
٢- القتل	٤٩

المحتويات	رقم الصفحة
● تجربة المملكة في حماية الأخلاق	٥٢
- الحوار وأثره في الأمن الفكري	٥٦
- العمل الخيري والإغاثي والإنساني	٦٨
- برامج التطوع الدولية	٧٠
الفصل الثالث: المحور الدبلوماسي	**٧٥**
● العلاقة مع المجتمع الدولي	٧٩
● العلاقة مع الشعوب العربية والإسلامية	٨٤
● العلاقة مع الأقليات المسلمة	٨٨
● محور الدبلوماسية الشعبية داخل المملكة	٩٣
الفصل الرابع: المحور الجغرافي	**٩٩**
● المساحة وعدد السكان بالنسبة لمنطقة الخليج	١٠٣
● الحدود البرية والبحرية	١١٠
● الدول المجاورة	١١١
الفصل الخامس: المحور الاقتصادي	**١١٧**
● النفط	١١٩
● الثروات المعدنية	١٢٣
● المدن الاقتصادية	١٢٥
● مناخ الاستثمار	١٢٨
● القوة الاقتصادية	١٣٢
● المعونة الاقتصادية	١٣٣

المحتويات

المحتـــويـــات	رقم الصفحة
الفصل السادس: المحور الإعلامي والثقافي	١٣٧
● الصحافة	١٤٢
● القنوات الفضائية	١٤٣
● الإذاعات الموجهة	١٥٠
● الإنترنت	١٥٢
● الأنشطة الثقافية	١٥٤
● العمالة الوافدة	١٦٢
الفصل السابع: محور التنمية البشرية	١٦٥
● برنامج الابتعاث الخارجي	١٦٩
● تأهيل القيادات المجتمعية	١٧٠
● القوى البشرية	١٧١
الفصل الثامن: النتائج والتوصيات	١٧٥
(أ) النتائج	١٧٧
● تغير مقاييس الدول العظمى Great Powers	١٧٨
● المملكة العربية السعودية مؤهلة لدور ريادي في عصر جديد متعدد الأقطاب	١٨١
● دوافع	١٨٥
● خطة استراتيجية لتفعيل آليات القوة الناعمة السعودية	١٩٠
(ب) التوصيات	١٩٢
● تنشيط مكامن القوة الناعمة للمملكة واستثمارها	١٩٢

المحتـــويـــات	رقم الصفحة
– محور الدعوة	١٩٢
– المحور الدبلوماسي	١٩٧
– المحور الاقتصادي	١٩٨
– المحور الإعلامي والثقافي	١٩٩
– محور التنمية البشرية	٢٠٠
المراجع	**٢٠٣**

الفصل الأول

مقدمة

- مقدمة
- نشأة مفهوم القوة الناعمة
- تعريفات مختلفة للقوة الناعمة
- انتقادات لمفهوم القوة الناعمة
- ظهور مفهوم القوة الذكية
- القوة الناعمة في المنظور الإسلامي
- ممارسة المملكة للقوة الناعمة والقوة الذكية
- خصائص مميزة تنفرد بها القوة الناعمة للمملكة
- مكامن القوة الناعمة للمملكة

مقدمة

ترجع أهمية موضوع القوة الناعمة في المملكة العربية السعودية إلى ندرة الكتابة فيه باللغة العربية، على الرغم من أن المملكة لها باع طويل في ممارسة القوة الناعمة عملياً، وقد حباها الله، عز وجل، بالكثير من مقومات القوة الناعمة مما لا يملكه غيرها، وتتوافر لديها من عناصر القوة الناعمة ما تنفرد به دون غيرها من دول العالم أجمع. كما أنها تعتمد في سياستها الداخلية والخارجية على القوة الناعمة، وتمارسها بنجاح قبل ظهور مصطلح القوة الناعمة بسنوات طوال، ولها اجتهادات مشهودة ومبادارات عديدة وتجارب رائدة في هذا المجال.

ويهدف هذا الكتاب إلى التعرف على عناصر القوة الناعمة التي تمتلكها المملكة العربية السعودية ورصدها، من واقع سياسات المملكة منذ نشأتها في الداخل والخارج، وما حظيت به سياساتها الناعمة من تعليقات ودراسات في المؤسسات البحثية الغربية، وفي كتابات المفكرين والمحللين السعوديين في الصحف الوطنية ومواقع الانترنت، والتي كشفت النقاب عن وجود مكامن كبيرة وكثيرة -بفضل الله- للقوة الناعمة لدى المملكة مما يتطلب تسليط الأضواء عليها وإبرازها والتخطيط لاستثمارها على الوجة الأكمل لتعزيز مصالح المملكة وخدمة قضاياها الاستراتيجية وتأكيد مكانتها الدولية وريادتها في خدمة الإسلام ورعاية مصالح المسلمين، مع الاستفادة في هذا المجال من تجارب الدول الأخرى في توسعة آفاق ونطاق قوتها الناعمة. وهو موضوع حيوي لا يهم المملكة العربية السعودية وحدها، بل ويحظى باهتمام المسلمين جميعا في كل بلاد العالم.

لقد أصبح الاقتصاد السعودي يمثل إحدى الرافعات الكبرى للاقتصاد العالمي، وتتمتع المملكة بإعتراف المجتمع الدولي بنفوذها العالمي كقوة اقتصادية، وبنفوذها كقوة سياسية، وبنفوذها في العالم الإسلامي كقوة عقائدية، من واقع اسهامات المملكة في التنمية المحلية والتعاون الدولي في شتى المجالات الاقتصادية، والمساعدات الانمائية ومساهمتها الفاعلة في المنظمات الاقتصادية الإقليمية والدولية، وعضويتها في المجالس التنفيذية لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، إضافة إلى عضويتها في

مجموعة العشرين (G20) لأكبر الاقتصادات في العالم مما يتطلب استثمار هذه الثروة الهائلة من عناصر القوة الناعمة الكامنة والتي تخول المملكة لمركز الصدارة على الصعيد الدولي، خاصة وأن معايير القوة على الساحة الدولية تحولت في الآونه الأخيرة من النمط القديم القائم على التفوق في القوة الحربية عدة وعتادا، إلى نمط جديد قائم على دعائم القوة الناعمة التي تؤهل الدولة للتمتع بنفوذ دولي بناء على قدراتها الاقتصادية والدبلوماسية ومنزلتها الثقافية ومكانتها الإعلامية وموقعها الجغرافي.

نشأة مفهوم القوة الناعمة

ظهر مصطلح القوة الناعمة أول ما ظهر في بريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر وتبلور مفهومه إبان الحرب الباردة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حينما التزمت الدول الغربية بتطبيقها مع الشعوب التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفيتي قبل انهياره. ولقد تحددت سمات القوة الناعمة بصورة أكثر جلاءً في العقدين الماضيين وبخاصة بعد حرب تحرير الكويت، وبرز هذا المصطلح وما يزال يبرز في ميادين السياسة الدولية في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد اتضحت مجموعة من ملامح سياسة القوة الناعمة الأمريكية من خلال ما أطلقه باراك أوباما من وعود كثيرة لتطوير العلاقة مع العالم الإسلامي في خطابه في جامعة القاهرة في يونيو ٢٠٠٩م بعد توليه الرئاسة.

ورغم شيوع ممارسة القوة الناعمة في الكثير من المعاملات سواءً في الحياة الشخصية أو الجماعية على مر التاريخ تحت أسماء مختلفة مثل الكيد، الدهاء، والمكر، والتحايل، واللين، والمسايسة، والدبلوماسية والحكمة، فإنه لم يكن أحد حتى نهاية القرن العشرين يعتبرها سياسة راقية، أو أنها القاعدة الأساسية الصحيحة لجميع الممارسات السياسية وخصوصا الخارجية منها. وما تغيرت هذه النظرة الدونية إلى القوة الناعمة إلا عندما نظر بعض الباحثين للقوة الناعمة وتطبيقاتها في السياسة الخارجية الأمريكية

بأسلوب أكاديمي وهو البروفسور جوزيف ناي* Joseph S Nye الذي بدأ في التفكير في القوة الناعمة في السبعينيات من القرن الماضي بناء على الاجتهادات التي ظهرت في مجال النظرية السياسية، أبرزها الرؤية الراديكالية للقوة، كما تحدث عنها ستيفن لوكس[١] Steven lukes في كتابه (Power: A Radical View) الصادر عام ١٩٧٤م، والذي عرف فيه القوة الناعمة باعتبارها (القدرة على تحديد الأجندة، وتوجيه دفة العلاقات الدولية والتأثير النهائي في صياغة الأطراف المختلفة لأهدافها).

ويشير هاك[٢] إلى أن تعريف القوة ارتبط تاريخيا بالقوة في الحرب، حيث اعتبرت عناصر مثل السكان، والأرض، والموارد الطبيعية، والقوة الاقتصادية، والاستقرار السياسي، والقوة العسكرية، هي المكونات الرئيسة لمفهوم القوة، فإذا كان لدى الدولة أسطول قوي وجيش مدرب بشكل جيد، وكذلك قوة ديموجرافية واقتصادية فمن المحتمل أن تكون قادرة على إجبار أو إكراه، أو حتى رشوة جيرانها، ومن ثم دفعهم إلى الامتثال لأهدافها.

غير أن كثيرين ومن بينهم جوزيف ناي[٣] انتقدوا حصر القوة في هذه العناصر، فالذي يملك عناصر القوة الغاشمة قد لا يحصل بالضرورة على النتائج المرجوة وإن حصل عليها فستنزع منه بالقوة لاحقا، ومن ثم قسم ناي القوة إلى نوعين "صلبة" أو التي تتمثل في استخدام العصا والجزرة، وأخرى "ناعمة".

وفي تقدير ناي فإن هناك خمسة تحولات دولية ساهمت في تراجع دور القوة الصلبة، أو على الأقل قللت من فاعليتها، وتمثلت في خمسة جوانب:

١) المصالح الاقتصادية المشتركة: الاعتماد الاقتصادي المتبادل جعل من الصعب استخدام القوة في صورتها القهرية، لما يمثله ذلك من خطر على النمو الاقتصادي والمصالح المالية.

* البروفيسور جوزيف ناي أستاذ كرسي سلطان عمان للعلاقات الدولية في مدرسة جون إف كنيدي الحكومية بجامعة هارفارد والعميد السابق لها، والذي عمل رئيسا لمجلس الاستخبارات الوطني الأمريكي ومساعدا لوزير الدفاع في عهد الرئيس بيل كلينتون. وهو عضو في مجلس العلاقات الخارجية الذي له نفوذ كبير في وضع السياسة الخارجية الأمريكية، وعضو في ائتلاف التوجيه لمشروع إصلاح الأمن القومي. والحاصل على جائزة شجرة الحياة من الصندوق القومي اليهودي. وفي استفتاء قامت به جامعة ويليام وماري في فرجينيا عام ٢٠٠٨م عن ١٧٠٠ عالم في العلاقات الدولية جاء ناي السادس في الترتيب كأكثرهم تأثيرا في العقدين الماضيين كما أنه الأكثر نفوذا في السياسة الخارجية الأمريكية.

٢) عولمة العنف: تعدد القوى المسيطرة فمنها ما هي قومية، ومنها ما هي غير قومية، ومنها الشركات متعددة الجنسية، والمنظمات الدولية سواء الحكومية أو غير الحكومية، وحتى الجماعات الإرهابية، أصبحت قادرة على ممارسة أنواع من القوة كانت مقصورة في السابق على الدول القومية.

٣) صعوبة السيطرة على النزعات القومية: صعوبة استخدام القوة في وجه الزحف القومي، فقد كانت بعض المواقع العسكرية الصغيرة فيما مضى قادرة على إدارة إمبراطورية مثل الإمبراطورية البريطانية، أما في الوقت الحاضر، فالولايات المتحدة الأمريكية غير قادرة على إخضاع العشائر الصومالية، أو تهدئة الوضع في العراق، حتى مع زيادة عدد قواتها.

٤) انتشار التكنولوجيا: تطور الأسلحة النووية، والأسلحة التي تطبق تكتيكات غير متماثلة، في تعادل قوة الأطراف في أرض المعركة، بغض النظر عن الاختلافات الحقيقية في القوة بينهما.

٥) تعقد القضايا السياسية وقضايا العلاقات الدولية: القوة العسكرية أقل قدرة على حل المشكلات المعاصرة، فامتلاك أقوى جيش لن يحل على سبيل المثال قضايا مثل الفقر أو التلوث أو انتشار الأوبئة، كما أن استخدام القوة العسكرية أصبح مكلفا جدا مقارنة بما كان عليه في القرون الماضية.

وكان أول من وضع مصطلح القوة الناعمة هو البروفيسور جوزيف ناي[٤] عندما اشترك مع زميله أستاذ العلاقات الدولية روبرت كوهين Robert Keohane في نشر كتاب بعنوان Power & Interdepence (القوة والاعتماد المتبادل: السياسة الدولية في لحظة تحول) عام ١٩٧٧، والذي يطرح فكرة مركزية هي الاعتماد المتبادل وغير المتماثل على أدوات متنوعة للقوة مما يوجد مساحة للتأثير والنفوذ يمكن في ظلها توظيف وسائل جديدة للوصول إلى الغاية.

وتقول الدكتور هبة رؤوف عزت[٥] أن كوهين قام لاحقا بتطوير أفكاره في اتجاه الاقتصاد السياسي في حين اهتم جوزيف ناي بالإعلام والتعليم وبناء النموذج الثقافي للدولة للتأثير في الفاعلين الآخرين ودفعهم لتبني سياسات تخدم مصالحها. وينتمي الاثنان إلى مدرسة في العلاقات الدولية تنتقد مسلمات المدرسة الواقعية الكلاسيكية

بشأن دور الدولة القومية المركزي في العلاقات الدولية، وافتراض أن الدولة كيان متجانس له مصالح محددة. وأن القوة هي وسيلة تحقيق المصالح، أي أن تلك المدرسة تتجاوز نموذج الدولة القومية لفهم العلاقات الدولية وكل ما تأسس عليه من إعلاء مركزية القوة الصلبة. وقد ميز جوزيف ناي بين التأثير غير المباشر والمستتر للعوامل الثقافية والعقائدية والاقناعية والدبلوماسية ومنظومة القيم على سلوك الدول الأخرى وتوجهات شعوبها، وبين الضغوط السياسية والعقوبات الاقتصادية التي تندرج تحت تصنيف وسائل القوة الخشنة، في كتابه بعنوان "القوة الناعمة : وسيلة النجاح في السياسة الدولية"

تعريفات مختلفة للقوة الناعمة

رغم حداثة ظهور مصطلح القوة الناعمة نسبياً وتعدد المفاهيم لعناصر هذه القوة الناعمة بحسب الميول الفكرية للباحثين والكتّاب، فمن الواضح أن مفهوم القوة الناعمة واسع وفضفاض، وهو يشمل بصفةعامة كل عناصر القوة غير الصلبة أو الخشنة أو الغاشمة. وعلى ذلك فإن التعريف الذي يعتمده هذا الكتاب للقوة الناعمة بمختلف عناصرها أنها " قوة التأثير الحضاري والثقافي والعقلي والوجداني المباشر وغير المباشر بين الشعوب والدول"، حيث يركز مصطح القوة الناعمة على البدائل المتاحة لحل المشكلات عن طريق الجاذبية بدلا من الارغام أو إنفاق الأموال. وقد بدأ المنظرون في العلوم السياسية والاجتماعية يضيفون إلى هذا المصطلح سمات وأبعاداً أخرى تمتد إلى الاقتصاد والدين والثقافة والتعليم والإعلام، وصاروا يفتحون آفاقا متنوعة لكسب الشعوب مثل نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان والمعونات الاقتصادية. ويروج جوزيف ناي للقوة الناعمة التي يدعو إليها بقوله : "ليست العبرة بعدد الأعداء الذين تخضعهم بل بعدد الأصدقاء الذين تكسبهم".

وأشار الدكتور الشبيلي[٦] إلى أن معظم الكتابات التي تحدثت عن القوة الناعمة - على الرغم من قلتها – ربطت مفهوم القوة الناعمة ربطا وثيقا مع السياسات الخارجية للدول. غير أن الكتابات الحديثة صارت تدعو للأخذ بها في مجال السياسات الداخلية وفي جهود التغيير والإصلاح الدستوري والإداري والاجتماعي. بل إن الدكتور أحمد

زويل[٧] – الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء – يعتبر ما جرى من انتفاضات سياسية في أنحاء العالم العربي شكلا من أشكال القوة الناعمة في التغيير السياسي.

ومن منظور الدكتور الشبيلي[٨] فإن القوة الناعمة تتنوع في الواقع التطبيقي بتنوع مقوماتها الذاتية التي تسوق سمعتها وتحدد علاقاتها مع الشعوب، حيث تتراوح عناصرها عند بعض الدول والشعوب من قوة صناعية كما في اليابان، إلى قوة اقتصاد كحال الصين، وقوة معلوماتية كما في فنلندا، وقوة حياد ومفاوضات سلام أممية كما في سويسرا أو النرويج، وقوة إدارية كما في سنغافورة وماليزيا، وقوة فنون وإبداع كما في إيطاليا وفرنسا، وقوة بطولات رياضية كما هي في الأرجنتين والبرازيل". وربما كان هذا إشارة إلى أن تركز كل دولة على نقطة قوة ترتكز عليها في توظيف القوة الناعمة، ومن هذا المنطلق يمكن القول عن المملكة العربية السعودية إنها تملك قوة دينية وعروبية (قومية)، أو قوة روحية ونفطية، حيث إن اسم المملكة مقترن بالنفط والعرب والإسلام، وإن كانت لديها مصادر قوة ناعمة أخرى متعددة.

وفي الواقع أن هناك من يحصر تعريف القوة الناعمة في التصرفات المعتمدة في مجال القيادة والتحكم، وبهذا يتناسى التركيبة الثانية لوجه القوة الناعمة وهي القدرة على الحصول على النتائج المرجوة دون إرغام الناس على تغيير سلوكهم من خلال التهديد أو دفع المال.

وتختلف القوة الناعمة عن القوة الشديدة التي تعتبر تاريخيا المقياس الواقعي الغالب للقوة القومية، والتي يمكن تحديدها كميا بمعايير مثل تعداد السكان، أو كمية وقدرات الأسلحة التي تملكها القوات العسكرية، أو مجمل الناتج القومي؛ غير أن امتلاك مثل تلك المصادر من مصادر القوة لا يحقق بالضرورة النتائج المطلوبة للدولة. هذا بينما يمكن قياس تأثير توظيف القوة الناعمة على الشعوب، أو درجة اجتذاب الآخرين وجس نبض التداعيات التي ترومها الدول باستخدام قوتها الناعمة، بمقاييس كمية عن طريق الاستفتاءات العامة، أو الحوار مع النخب المثقفة، أو عن طريق الدراسات الميدانية. ووفق رؤية الدكتور العثيمين[٨] فإنه من الممكن الحصول على نتائج قياس غير كمية للقوة الناعمة عن طريق إجراء "المقابلات المعمقة مع النخب الثقافية والسياسية

والاقتصادية المؤثرة في تلك الدول، أو عبر الدراسات الفرديّة".

وهناك بالطبع قوى ناعمة نظيفة ولكن تأثيرها طويل المدى وقد لا يجدي في تحقيق أي هدف، في مواجهة قوى ناعمة أخرى غير نظيفة. هذا لأن عمل الخير مثلا يمكن له تأليف القلوب؛ ولكن الجانب الآخر يمكن أن يحاربه بإشاعة أنه دعم للإرهاب، وبهذا يقوض كل نتائج عمل قوة ناعمة نظيفة.

وتحدث الدكتور العثيمين[٨] عن تطوّر مفهوم القوّة الناعمة، وتحديث "أساليبها ليصبح في يد الدول الغربية سلاحاً أكثر فتكاً وتأثيراً.. بل وتحوّل إلى علم وفن يُدرّس في الجامعات، وأصبحت "سياسة مُعلنة لتلك الدول، كان آخر تقليعاتها إحداث منصب سياسي رفيع، في وزارة الخارجية الأمريكية، باسم "مساعد وزير للدبلوماسية العامة". كما عبر عن تداعيات "التأثير الكاسح للقوّة الناعمة الأمريكية"، بأنه وصل إلى حد أن الولايات المتحدة الأمريكية "دولة وأسلوب حياة؛ ليست بحاجة إلى استخدام القوة العسكرية للتأثير على العالم وخدمة مصالحها الاستراتيجية، بل عبر قوّتها الناعمة التي بسطت نتفاً من نماذجها". وهذا الاستنتاج مخالف للواقع إذ أنه لو كان صحيحا فلماذا تلجأ إلى استخدام القوّة العسكرية؟ ولماذا الرأي الشعبي الأمريكي متحيز ضد القوّة العسكرية وضد سياستها؟

بل إن العلمي[٩] يذهب بعيدا إلى حد القول بأن القوة الناعمة في واقعها "مصطلح عسكري يعتمد على مزيج من الإغراء والجاذبية، لتكون الركيزة الثابتة للشخصية المحبوبة والثقافة والقيم السياسية التي يراها الآخرون مشروعة أو ذات سلطة معنوية أخلاقية، ولتصبح القيادة في الميدان أقل تكلفة وأكثر كفاءة".

ومن هذا المنطلق يرى العلمي أن القوة الناعمة هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن الإطاحة بالرئيس المصري، "الذي كان يعتبر الحليف الأول للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط"، ومع ذلك لم تأسف الولايات المتحدة الأمريكية مطلقاً على رحيله. كما أن القوة الناعمة هي التي قضت على الرئيس التونسي المخلوع، "الذي كان من أعز أصدقاء فرنسا، ومع ذلك لم تتهاون فرنسا أبداً في رفض استضافته". ونفس القوة الناعمة هي التي أطاحت بالرئيس اليمني، "الذي كان الذراع الأيمن للغرب في مطاردة

فلول القاعدة المشردين في بلاده، ومع ذلك لم يبالِ الغرب كثيراً جراء تنحيه ورحيله بشؤونه وشجونه".

ويرى كابلي[١٠] أن مبدأ القوة الناعمة قد أصبح "جزءاً لا يتجزأ من نظريات العلاقات الدولية، بل وبدأت مسألة الاستثمار في بناء القوة الناعمة تبرز بنفس قوة الطلب على بناء القوة الصلبة لما أثبتته القوة الناعمة من إحداث تأثير كبير قد يتعدى ما للقوة الصلبة من فوائد في الوقت الذي تكون التكلفة فيه أقل بكثير سواء من الناحية المادية أو الناحية البشرية". ومؤخراً تقوم الصين وتحت إدارة الرئيس "هو جينتاو" باستثمار جزء من فوائض أموالها في بناء قوتها الناعمة واستخدام ما حققته من مكاسب سياسية واقتصادية وثقافية لبناء صورتها كقوة عالمية عظمى وعاقلة. ووفقا لديون لورانس[١١] (Dune Lawrance) ستقوم الصين باستثمار ما يقارب من ٦,٦ مليار دولار لتوسيع نطاق قنواتها الإعلامية الرئيسة لتشمل القناة الصينية الأبرز سي سي تيفي (CCTV) اللغة العربية والروسية إضافة إلى اللغات الأخرى الموجودة وهي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية. كما قامت الصين أيضاً بافتتاح ٢٩٥ معهدا لكونفوشيوس في ٧٨ دولة وذلك لتعليم التاريخ واللغة الصينية.

انتقادات لمفهوم القوة الناعمة

أشار هاك[٢] إلى أن مفهوم "القوة الناعمة" قد تعرض لانتقادات عديدة، من بينها:

- القوة الناعمة مفهوم شديد العمومية
- من الصعب تحديد الآثار التي تنتجها القوة الناعمة
- القوة الصلبة، من وجهة نظر الواقعيين، تظل الأكثر تأثيرا في العلاقات بين الدول والأحداث الجيوبوليتيكية أو الجيوسياسية.

وانتقد الدكتور العثيمين[٨] قصر مصطلح القوّة الناعمة على وصف "قدرة أي دولة، على التأثير غير المباشر والمستمر في سلوك الدول الأخرى وسياساتها ومصالحها، وكذلك التأثير على توجّهات نخبها وشعوبها، عبر توظيف جملة من الوسائل: مثل الأدوات الثقافية والدينية والعقائدية، وغيرها من الوسائل التي تشكّل في مجموعها

منظومة مؤثرة بطرق ناعمة، بعيداً عن وسائل القوّة والضغط." هذا بينما الواقع يشير إلى أن استخدام القوّة الناعمة لا يقتصر على التأثير "غير المباشر"، بل إنها تشمل التأثير المباشر، بوسائل مثل الدبلوماسية، والإعلانات والآليات الثقافية الخاصة. فبعض الوسائل التي ذكرها الكاتب مثل "الأدوات الثقافية، والوسائل الإعلاميّة، والمؤثرات العقائدية (الأديان)، والصحف والمطبوعات ومعاهد نشر اللغات، والمنتجات الفنية، وموصّلات الوشائج الشعبية، خاصة على المستوى الشعبي والمؤسساتي، ومع مؤسسات المجتمع المدني؛ تعتبر وسائل مباشرة في السيطرة على الشعوب تستهدف الاستحواذ على محبتها ورضاها عامة"؛ و"لنشر أنماط حياتها السياسية، وأديانها، وثقافاتها، وأساليب حياتها، وتسويق مُنتجاتها المادية وغير المادية، والعمل على تثبيت صورة ذهنية إيجابية عن دولها ومجتمعاتها بين الأوساط الشعبية والنخب في الدولة المُستهدفة".

ويثير الدكتور العثيمين قضية هامة، تتمثل في ظروف سياسية طارئة تعطل أو تحيد فعالية القوة الناعمة في تحقيق أهدافها، خاصة لو كانت موجهة من حكومة معادية أو متغطرسة أو مهيمنة إلى حكومة الدولة المستهدفة وليس إلى شعبها، "حيث إن الظهور بصورة الصداقة لدولة أجنبية يعتبر قبلة الموت السياسي محليا". وواقع الأمر أن صداقة النظام الحاكم لدولة أجنبية ليست منبوذة بالضرورة من الناس ولا تشين مكانة الحكومة في نظر الشعب إلا إذا كانت تلك الصداقة داعمة للنظام ضد مصالح الشعوب خاصة لو أدت الصداقة بين الحكومات إلى تحيز سافر لقضايا تتعارض مع الصالح العام للدولة المستهدفة، أو إلى مظاهر تتضارب مع تقاليد الجماهير وأعرافها، أو إلى اتفاقيات غير معلنة فيها تواطؤ على القيام بإجراءات قد لا ترضي غالبية الناس.

والقوّة الناعمة في منظور الدكتور العثيمين[٨] خرجت من تحت عباءة السياسة الخارجية للدول الكبرى، حيث اهتمت مختلف دوائر صناعة القرار بها كذراع فعّال في إدارة سياستها الخارجية، خاصة "عند تعاملها مع الدول والشعوب الأخرى، لخدمة مصالحها الاستراتيجية طويلة المدى"، وإن كان استخدام مصطلح القوّة الناعمة لا يقتصر بأية حال على مجال السياسة الخارجية فهي أسلوب يستخدم في السياسة الداخلية وفي إدارة المنظمات الخاصة، وفي التعليم، وفي الترويج للبضائع، وفي الدعاية

الانتخابية، وفي التبشير الديني، إلخ.

ويؤيد الدكتور العثيمين في هذا المنحى فواز العلمي[٩] الذي يعتبر القوة الناعمة اليوم من أهم الوسائل المؤثرة في السياسة الخارجية بجميع مكوناتها ومدلولاتها، حيث تستخدم القوة الناعمة في التأثير الثقافي للترويج لأنماط سلوكيات معينة من الأغذية والأغاني والدعاية والمأكولات والإعلان، "فالسيطرة والهيمنة على شؤون العالم السياسية والاقتصادية والتجارية أصبحت تخضع في العصر الحاضر لاستراتيجيات دولية ذات أدوات ومقومات وأحكام قلما يعرف مبادئها وقواعدها خبراء السياسة الخارجية في العالم العربي".

ويرى العلمي أن القوة الخشنة تكمن في القدرة على الإجبار والإكراه الناتجة عن القوة العسكرية والقدرات الاقتصادية. بينما القوة الناعمة يتأتى تأثيرها من جاذبيتها الثقافية والإعلامية الناتجة عن نشر الأخبار في الفضائيات، وإشاعة المعلومات على الانترنت.

ومع خشونة الضغوط السياسية والعقوبات الاقتصادية فإن وقعها على الدولة المستهدفة يكون أهون من وقع الكثير من وسائل القوة الناعمة التي قد تؤدي إلى عواقب وخيمة مثل زعزعة ثقة الشعوب في طبيعة أنظمتهم القائمة أو تشويه صورة القائمين عليها، أو إغرائهم جميعا بمزايا الأنظمة الأخرى التي تسعى للخلاص والثورة. كما أن الاذاعات الموجهة للشرق الأوسط من إطلاق المحطات التلفزيونية والإذاعية مثل (سوا) و(الحرة) كلها وسائل بروباجندا تدخل في إطار الأفكار الميكيافيلية، ولا تعتبر من وسائل القوة الناعمة لما يعوزها من مصداقية.

والهدف من ممارسة القوّة الناعمة؛ في نظر الدكتور العثيمين[٨]، يقتصر على "تمكين الدولة من الحصول على ما تريد من الدول الأخرى بطرق غير مباشرة"، وذلك عن طريق "إحداث تأثير مستمر على تلك الدول، وعلى توجهات سياساتها الخارجية، واتجاهات الرأي العام بين مواطنيها". أما آليات القوة الناعمة فتتضمن "أساليب جذّابة لاستمالة عقول وقلوب الشعوب ونخبها على المدى البعيد". وبتوظيف القوة الناعمة يمكن للدولة تأمين مصالحها "في مواقف متعددة مثل: حالات الحرب والسلم، وفي

أوقات الأزمات، وفي تليين المواقف المُعلنة، وفي التصويت لصالح الدولة في المحافل والمنظمات الدولية، وفي درء شرور الدولة المستهدفة ونواياها، خاصة إذا كانت تربطها بها حدود جغرافية مباشرة". هذا بالإضافة إلى إبقاء "الدولة المُستهدفة في حالة علاقات مستقرّة، وشعوبها في حالة تعاطف دائم، حتى عندما يتغير رئيس الدولة أو الحكومة فيها". ويذهب الدكتور العثيمين بعيدا إلى أن "تأثير تصويب أسلحة القوة الناعمة على دولة يمتد إلى دول أخرى عبرها، ذات صلة مباشرة بتلك الدولة المُستهدفة".

ويرى سعود عبدالعزيز كابلي[١٠] أن الدافع وراء ترويج جوزيف ناي، لفكرة الجذب والاختيار (co-option and attraction) في السياسة الخارجية يرجع إلى إيمانه بوجوب التحول في السياسة الخارجية الأمريكية من مبدأ "العصا والجزرة" والذي يعتمد على القوة الصلبة أو القوة التقليدية المتمثلة في المركز السياسي أو الاقتصادي أو العسكري، وتعويضها بمبدأ القوة الناعمة أو القوة المتمثلة في الإقناع والثقافة والإعلام. وهو أمر قد يهم الولايات المتحدة الأمريكية " للنظر إليه باعتبار أن سياستها الخارجية الصلبة تسببت في تدني الشعبية الأمريكية حول العالم أجمع" في حين أن هناك مقومات هائلة للقوة الناعمة الأمريكية.

ظهور مفهوم "القوة الذكية"

وقد أدت هذه الانتقادات إلى تقديم مفهوم "القوة الذكية"، كمزيج من القوة الصلبة والقوة الناعمة، وهو المفهوم الذي تبناه تقرير بعنوان "أمريكا أكثر أمنا وذكاء"، صادر عن لجنة مختصة بدراسة القوة الذكية تابعة لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية [٢]. لكن التقرير أشار إلى وجود ثلاث عقبات تواجه استخدام القوة الذكية، تتمثل في:

- أولا: اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية المفرط على القوة الصارمة لأنها تعتبر مصدرا للقوة المادية وسهلة الممارسة.
- ثانيا: لم تتطور أدوات القوة الناعمة بالشكل الكافي، حيث لم تحظ بالتمويل المناسب من قبل الولايات المتحدة الأمريكية..
- ثالثا: السياسة الخارجية الأمريكية تعاني من التجزئة في المؤسسات؛ وبناء

على ذلك، يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن تفكر مليا، في كيفية ممارسة القوة الذكية في المستقبل.

وبمتابعة أفكار ناي سجلت الدكتورة هبة عزت[٥] أنه قد التفت إلى أبعاد القوة الصلبة في تحولها في العقود الثلاث الماضية، فانتقل "من الاهتمام بالدبلوماسية الشعبية ودور المواطنين في صناعة قوة الدولة إلى دور المجال الافتراضي وتحولات وسائط التأثير، إلى محاولته ترويض القوة الصلبة بالقوة الناعمة مع أزمة الآلة العسكرية المتضخمة في أفغانستان والعراق بحديثه عن القوة الذكية، وفي ظل تيار متنامٍ ينتقد عسكرة العلاقات الدولية وما أصابها من "لعنة القوة الصلبة". وفي الواقع إن القوة الناعمة مفهوم مركب، "فالنعومة في الحقيقة أصعب في تعريفها من الصلابة"، ثم إن علاقة القوة الناعمة بالتاريخ وبالذاكرة وبأبعادها النفسية الجماعية والثقافة، "أعظم أثرا من فكرة السيطرة والهيمنة والتحكم البسيطة الصريحة التي بشرت بها الحداثة وقامت عليها فلسفة الدولة القومية بعد صلح وستفاليا (*Westphalia*) في أوروبا في القرن السابع عشر". ولعل نمو مفهوم القوة الناعمة راجع إلى الإقرار "بأن العقلانية النفعية الأداتية التي لا تعرف إلا حسابات القوة المادية لا تكفي وحدها لإدارة علاقات السلطة والحكم الداخلي أو الجوار السلمي أو الصراع الخارجي".

وبزوغ القوة الناعمة لا يعني أن أدوات القوة الصلبة ستختفي، فلكل لحظته المناسبة، وترى الدكتورة هبة عزت[٥] أن القوة الناعمة ستعمل في الغالب "في إطار من التبادل والتوافق مع أدوات القوة الصلبة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وإلا كانت النعومة مرادفة للضعف والعجز، فلا تكون بذلك خيارا بل تكون اضطرارا، وهو ما يفقدها في الغالب قوتها حتى في بعدها الرمزي، فتندرج تحت بند العلاقات العامة أكثر منها العلاقات السياسية بمعناها المركب، وتنأى عن العلاقات الدولية بالمفهوم العلمي الدقيق".

ووفق تنظيرات ناي الأساسية لمفهوم القوة، فإنها تكمن في القدرة على التأثير على الآخرين للحصول على النتائج التي تريدها. وهناك ثلاث وسائل رئيسة لتحقيق ذلك:

- الوسيلة الأولى: التهديد بإكراههم على فعل ما تريد؛ أي باستخدام العصا.
- الوسيلة الثانية: التلويح لهم بجائزة مادية؛ أي باستخدام الجزرة.

- الوسيلة الثالثة: اجتذابهم واحتواءُهم بحيث يريدون ما تريد دون إشهار عصا أو التلويح بجزرة.

فإذا "استطعت اجتذاب الآخرين لأن يريدوا ما تريد؛ أي أن تساعدهم على تحديد تفضيلاتهم بحيث توائم رغباتهم رغباتك، فهذا سيكلفك أقل بكثير مما قد تنفقه على الجزر والعصي".

القوة الناعمة في المنظور الإسلامي

لم يكن مصطلح القوة الناعمة الذي شاع استعماله في العصر الحديث بعد انتهاء الحرب الباردة بين القطبين الدوليين (الأمريكي والسوفيتي) قد وضعته الولايات المتحدة الأمريكية كسلاح حديث بديلا للقوة الخشنة كما ادعى البروفيسور جوزيف ناي أول من صك هذا المصطلح (لفظا)، فأوروبا سبق لها أن استخدمت سلاح القوة الناعمة، حتى قبل ظهور هذا المصطلح حديثا، بوسائل متعددة مثل حملات التبشير، والتطبيب، والدعوات الثقافية والفكرية، والقوافل التجارية بين الشرق والغرب على مستوى الشعوب، والبعثات التعليمية، والاستشراق، ومن خلال الاذاعات الموجهة للشرق كأدوات فعالة ووسائل لفهم الشعوب والتأثير عليها وكسب تعاطفها. وقد تطور مفهومه حديثا ليصبح في يد الدول الغربية الكبرى سلاحا أشد فتكا وتأثيرا، بل تحول إلى علم وفن يدرس في الجامعات والأكاديميات السياسية والعلمية الكبرى، كما أصبح من السياسات المعلنة والمعترف بها لتلك الدول.

والمفارقة هنا كما يقول محمد أبو رمان[١٢] في أن الحديث عن القوة الناعمة والموازنة بينها وبين القوة الصلبة جاء متأخرا قرونا عديدة عما طبقه المسلمون فعلا عندما فتحوا القارة الآسيوية نفسها بأخلاق التجار وممارساتهم الواقعية، مما يدحض الادعاء بأن الإسلام انتشر بالسيف، ومما يؤكد أن القوة الناعمة هي السلاح المفضل للدعوة إلى الإسلام. وقد استخدمها الإسلام كوسيلة رئيسة في نشر مبادئه وقيمه النبيلة في ربوع العالم التزاما بمنهج الدعوة الذي حدده المولى في قوله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾(النحل من الآية ١٢٥)، وفي قوله

تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (الإسراء - الآية ٥٣)ويأمر أتباعه بحسن المحاورة وجميل المناظرة ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (فصلت ٣٤)، كما قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران ١٥٩) وقوله تعالى ﴿ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (العنكبوت ٤٦)

وتتجلى الدعوة إلى استخدام القوة الناعمة بوضوح في أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون للرجوع عن جبروته وطغيانه وتذكر قدرة الله عليه والدعوة إلى الخشية منه بالقول اللين ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه ٤٢ - ٤٤)

ومن العجب أن يتوقف البعض عند آية حد قطع يد السارق التي جاءت في موضع واحد معلق على شروط المجتمع العادل والعدالة في توزيع الثروة، وهي شروط غير متوافرة في مجتمعات تعيش في أدنى مستويات الفقر، ولا يجوز فيها تطبيق حد السرقة لعدم توفر شروطه، ولا يلفت نظرهم تلك الأوامر التي تترى وتتخلل القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تأمر بالمحبة والتقوى والرحمة والبر واللين والعدل والرأفة والتسامح والعفو والإحسان والتآخي والموعظة الحسنة، وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي بعث نبينا الكريم ليتمها (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق).

بالقوة الناعمة انتشر الإسلام

لقد انتشر الإسلام في معظم أنحاء القارة الأسيوية بدون سيف وبدون جيوش، وبدون حكام تربعوا على العروش وقهروا الناس وبدون قوة خشنة أو صلبة، وإنما دخل أصلاً وأساساً من خلال تجار مسلمين لا سلطة لهم ولا جاه ولا صولجان، وما كانوا خطباء أو وعاظا أو دعاة وكل ما فعلوه أنهم كانوا قدوة طيبة أحبها الناس فسألوهم: ما دينكم، قالوا مسلمون، قالوا: علمونا دينكم، فعلموهم. وها نحن نجد في القارة الأسيوية الشاسعة

دولا بأكملها إسلامية مثل تتارستان وبنجلاديش وإندونيسيا وجزر القمر. وهكذا في بقية قارات العالم انتشر الإسلام بالقوة الناعمة أساسا. وهذا الانتشار الواسع والسريع يرجع إلى خصوصية إسلامية ينفرد بها الإسلام عن غيره من الديانات، وهي منهجه الشامل الذي يجعله بديلا حضاريا وليس مجرد عقائد وعبادات.

فمن الثابت تاريخيا ومن الآيات العديدة في القرآن الكريم مدى حرص الإسلام على هداية الناس أجمعين بالحجة والإقناع، لا بالإجبار والإكراه، بكل أساليب القوة الناعمة، فقد ظل نوح عليه السلام (أبو الأنبياء من بعده) يدعو قومه بالحسنى أكثر من تسعمائة سنة من عمره المديد، لا قوة له ولا سلاح إلا الرأي والحجة .. يدعوهم بالكلمة في برلمان مفتوح يقول فيه وهم يسخرون منه ويهددونه بالرجم. وحينما بُعث النبي ﷺ (آخر الأنبياء) قال الله تعالى له: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾(الكهف ٢٩)، ﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾(فاطر ٢٣)، ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الغاشية ٢١-٢٢).

إن الادعاء بأن الإسلام توسع بالسيف وأكره شعوبا على الدخول فيه بالقوة، يلغي أو يتجاهل أكثر من عشرين ومائة آية في القرآن الكريم، أولها قول الله تعالي: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ... ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

ويقول الدكتور كامل سلامة الدقس[١٣] في كتابه "العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الاعجاز البياني في سورة التوبة"; إن الإسلام في جهاده للمشركين لا يعلنها عليهم حرب قتل وإبادة، بل يدفعهم إلى الهداية دفعا. وهو لا يحارب المشركين الأفراد الذين لا يربطهم تجمع جاهلي يعادي الإسلام ويحارب المسلمين، بل كانت حربه موجهة إلى أئمة الشرك والمشركين وصناديدهم الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون الأفراد من سماع كلام الله بالترغيب والترهيب، فقال تعالى في سورة التوبة ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(التوبة: الآية ١٢)

فالسيف في الإسلام لا يمتد إلى الأفراد والشعوب التي لم تتجمع لمحاربة الإسلام بل

إن الخدمة الوحيدة التي أداها السيف للإسلام هي إزالة الحواجز والعوائق بين الإسلام وشعوب الدنيا كلها لسماع كلمة الله في حرية تامة دون خوف أو وجل من أعداء سيف الله والإسلام أو سيف سلطانهم الجائر. ولهم اختيار ما يريدون ويقتنعون به دون إكراه أو ضغط، لأن وظيفة السيف هي حمايتهم وإجارتهم وتأمينهم على أنفسهم وعقيدتهم. فهو لا يرهبهم ولا يقتلهم بل يؤمنهم ويحرسهم ولا يغرر بهم حتى لو رفضوا منهج الله ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون ٦).

فالذين يتحدثون عن الجهاد ويتهمونه بأنه يكره الناس حتى يكونوا مسلمين، وأن سيف المقاتل هو الذي يجبر الناس على الاعتقاد، والذين يتصدون لرد هذه التهمة بقولهم إن الإسلام لا يقاتل إلا دفاعا عن النفس والوطن في حدوده الإقليمية المحدودة. هؤلاء وهؤلاء مخطئون. وما أحراهم أن يتأملوا هذه القمة العالية التي يمثلها هذا التوجيه الكريم: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التوبة الآية ٦)، فهذه الآية تدل على أن الاعتقاد بأصل الدين يجب أن يكون علما يقينيا لا ظنيا ولا تقليدا. وفي ذلك يقول الامام الفخر الرازي في تفسير الآية: "اعلم أن هذه الآية تدل على أن التقليد غير كاف في الدين، وأنه لا بد من النظر والاستدلال وذلك لأنه لو كان التقليد كافيا لوجب ألا يمهل هذا الكافر بل يقال له: إما أن تؤمن وإما أن نقتلك. فلما لم يقل له ذلك، بل أمهلناه وأزلنا الخوف عنه ووجب علينا أن نبلغه مأمنه، علمنا أن ذلك كان لأن التقليد في الدين غير كاف، بل لا بد من الحجة والدليل فأملهناه وأخرناه ليحصل له مهلة النظر والاستدلال".

ولا تعارض بين استخدام القوة الناعمة في الدعوة إلى الإسلام وبين التوجيه الإلهي بإعداد القوة المادية والصلبة للردع في نفس الوقت، فالقرآن الكريم الذي يدعو إلى اللين في الدعوة هو الذي يأمرنا ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنفال ٦٠) . وهو الذي يأمرنا بأن نكون على حذر من أعدائنا دائماً ﴿ ... وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ ... ﴿١٠٢﴾ ﴾ (النساء : من الآية ١٠٢)

وقد أشار الدكتور الشبيلي إلى أن القوة الناعمة شكل من أشكال القوة وأن الفشل

في دمجها في الاستراتيجية الوطنية يعد غلطة خطيرة. هذا مع التمييز بين مصطلح "القوة الناعمة" ومصطلح "القوة الخشنة" أو "القوة الصلبة" التي تعني - بشكل أساسي - الأخذ بخيار القوة العسكرية سبيلا لحل النزاعات الدولية. بل على الدولة أن تملك زمام"القوة الذكية" التي تمزج بين جانبي القوة الناعمة والصلبة.

ورغم أن الكثير من العاملين في السياسة العالمية في عقود خلت تعارفوا على أن سياسة الردع ما هي إلا تعبير عن القوة الخشنة، فإن الدكتور الشبيلي[٦] يؤكد على "أن الحديث عن استثمار القوة الناعمة لأي دولة، لا ينبغي أن يكون بديلا عن التسلح لحفظ الأمن بالقوة الرادعة"، لكن في لغة السياسة، وعلوم الاتصال، ومدارس الأخلاق، تتفوق الدول بالقوة الناعمة في اجتذاب الشعوب والحفاظ على جسر التواصل بينها. هذا لأن الاحتلال العسكري مصيره إلى زوال ولن يبقى، وإن كانت القوة الناعمة في منظور أبو رمان[١٢] ما هي إلا "محصلة قوة الأمم وقدراتها في المجالات المختلفة، سياسياً واقتصادياً ومعرفياً"...

أما الشيخ سلمان بن فهد العودة[١٤] فيرى أن أسلحة القوة الناعمة الموجهة إلى صدور المسلمين أخطر وأبعد أثراً من أسلحة القوة الغاشمة، فهي لا تقتل ولا تجرح ولا تشوه الجسد، ولكنها "تنخر في عظام الأجيال وتتخلل عقولهم وأخلاقهم وسلوكهم ببطء وتأثيرها أكيد، وبدون مقاومة". ومن هذا المنطلق ينعى الشيخ العودة على من يعتقدون أن مفتاح النهضة والرقي يتلخص في كلمة واحد هي "القوة" وأن القوة تتلخص في كلمة واحدة هي "السلاح المادي" فهو كلمة السر التي بها هزمنا وعلى وقع تحصيلها ننتصر. ويلفت النظر إلى (قوة المعرفة) التي أصبحت هي ميزان الثقل اليوم، فأثمن سلعة وأعظم ثروة هي (سلعة المعرفة) التي يرجع إليها نحو ٥٠٪ من ثروات الدول المتقدمة.

ويضيف الشيخ العودة بأن قوة الإعلام تحدث تأثيراً تراكميا في العقل والوجدان يتحول إلى سلوك عن قناعة وحب. وهو أخطر من الدبابة والصاروخ والقنبلة، حتى لو كانت القنبلة النووية. قد تنهزم عسكريا وتنتصر بقيمك وأخلاقك وإصرارك على مبدئك، قد تنهزم عسكريا ولكنك لا تحسن توظيف هذا الانتصار. ويعزز الشيخ العودة رأيه في نبذ القوة بما ورد في القرآن الكريم من الامتنان على الناس بتحصينهم من

آثار السلاح المدمر الذي هو (بأس) الإنسان ضد أخيه ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء : ٨٠). فهذا نبي الله داود يعلمه ربه صنعة الدروع السابغات والخوذات وغيرها مما يتحصن به الإنسان ضد السلاح الفتاك.

وحين يذكر الله تعالى الحديد يقول: ﴿... وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ﴿٢٥﴾﴾(الحديد الآية ٢٥) وليس في ذلك مدح، لأنه يوظف غالبا في البغي والظلم والاعتداء، بينما عقب بقوله ﴿... وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحديد الآية٢٥) فكأن ما قبله ليس فيه منافع للناس كما في الآية الأخرى ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾(النحل من الآية ٦٧) فالسياق يشي بأن السَّكر ليس من الرزق الحسن.

ولم تكن سيرة النبي ﷺ قاصرة على المغازي فقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشرة سنة محظورا عليه وعلى أتباعه المؤمنين القتال ليتجردوا من حظ النفس والانتصار لها نفسيا وليستنفدوا الوسائل السلمية الممكنة، ثم كانت حياة المدينة مليئة بالمناشط الحيوية في البناء والتجارة والمؤاخاة والتعليم والدعوة والمصالحات الواسعة والعلاقات الإنسانية مع المجاورين حتى اضمحلت الوثنية دون قتال ومات النفاق.

ويستنكر العودة هذا الانحياز لعسكرة الحياة الذي أصبح أسلوبا في التفاعل مع أولادنا وأزواجنا في الأوامر والفرمانات التي لا تقبل المراجعة، وفي مدارسنا التي غلب عليها طابع التشديد والتهديد، وتلاشت عنها علاقة الحميمية والعلاقات الودية ... إننا حين نفكر في إصلاح أحوال الأمة عبر التاريخ يتبادر إلى أذهاننا القواد العسكريون والانتصارات العسكرية وكأنها هي التي صنعت الأمة. أما القواد العلميون والتربويون والإصلاحيون فكأنه لا وجود لهم في عقولنا ولا تاريخنا حين نفكر بمعالجة الاخفاقات.

وحين نتحدث عن التأثيرات الأجنبية نشير إلى قادة الحروب والمعارك ضدنا أو الحروب والمعارك العالمية وننسى صانعي السيارة وتأثيرهم الهائل في الحياة الفردية والمدنية والعمارة والعلاقات والعبادات، وننسى صانعي الهاتف، وصانعي المطبعة والتلفاز وتأثيرهم الضخم في الحياة الإنسانية.

ممارسة المملكة للقوة الناعمة والقوة الذكية

في سياق الحديث عن وسائل القوة قال الدكتور أنور بن ماجد عشقي[١٥] رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية: "لا توجد دولة في الشرق الأوسط تستخدم القوة الناعمة مثل المملكة". ولفت النظر إلى أن استخدام المملكة للقوة الناعمة قد تمثل في قضايا العدالة والقيم، "لذلك فإننا نجد أن المملكة لم يعرف عنها أنها خالفت أي تشريع من الشرائع الدولية، وتأتي في السياق ذاته دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لحوار أتباع الأديان، وهو ما رد عن المسلمين أضرارا كبيرة، كما أن المملكة لم تدخل في تحديات وحروب مع دول أخرى إلا ما أضطرت إليه للدفاع عن حدودها، ومعنى ذلك أنها تسخر القوة الناعمة وتفعلها بشكل جيد". هذا بينما تضع المملكة نصب عينيها الحرص على امتلاك القوة الذكية التي تعني استخدام القوة الناعمة المتمثلة في العمل المعنوي إلى جانب القوة الصلبة متمثلة في السلاح والعمل العسكري.

وأشار الدكتور عشقي إلى أن المملكة "هزمت الإرهاب بالقوة الذكية حينما استخدمت القوة الناعمة والقوة الصلبة في آن واحد، كما استخدمت في ذلك أيضا رجال الأمن في ملاحقة المجرمين وقدمتهم للعدالة، مما أسهم في تراجعهم، كما أنها وظفت القيم في ذلك أيضا واستعانت بعدد من الوسائل كالمنابر الدينية والأقلام الإعلامية ومقاعد الدراسة". ويرى ضرورة التوازن بين القوتين الناعمة والصلبة؛ حيث إنه من الخطأ استخدام القوة الناعمة وحدها، كما أن من المؤكد أنه لا يمكن لدولة أن تكسب الحرب باستخدام القوة الصلبة وحدها لعدم جدواها بمفردها، ويضرب هنا مثلا بهتلر الذي كمنت هزيمته وراء استخدامه القوة الصلبة بمفردها وكذلك نابليون. وهذا ما يؤكده كبار القادة العسكريين والاستراتيجيين أمثال رومل والجنرال ماكارثر وغيرهما.

وهكذا ركز مصطلح القوة الناعمة على البدائل المتاحة لحل المشكلات عن طريق الجاذبية بدلا من الإرغام أو إنفاق الأموال، حيث بدأ المنظرون في العلوم السياسية والاجتماعية يضيفون على التعبير سمات وأبعادا أخرى تمتد إلى الاقتصاد والدين والثقافة والتعليم والإعلام، وصاروا يفتحون آفاقا متنوعة لكسب الشعوب مثل نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان والمعونات الاقتصادية.

ويحذر الدكتور العثيمين[١٦] السعوديين من التقوقع على أنفسهم داخل بلادهم إيثارا للسلامة ودفع الحرج كرد فعل لما حاق بهم من هجوم إعلامي في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ إن الوضع الدولي الحالي "أصبح أكثر إلحاحاً من ذي قبل للانطلاق والتوسع في المجالات الخيريّة والإنسانيّة والتطوعيّة والإغاثيّة حول العالم"، غير أنه حذر من القيام بنشاط فردي لما يعتوره من الأخطاء والزلاّت الكثيرة ولما قد يسببه من الإحراج السياسي للمملكة. ووصى بالعمل عبر عمل مؤسسّي منظّم ومُراقب ومُحكم وموثوق بمن يقوم على شأنه. بمعنى أن على المملكة القيام بإطلاق قواها الناعمة وتفعيل كل آلياتها ولكن ضمن قواعد منضبطة لتلافي الارتكاسات في الجو العام الضبابي المفعم بغيوم الشكوك.

بينما يؤكد الدكتور الشبيلي[٦] على أن "مصداقية المملكة وعلاقاتها الناعمة" كانت على المحك إذ أوشكت "أن تتأثر في أعقاب أحداث سبتمبر، بانتماء عناصر متطرفة إلى جنسيتها، كما عانت سمعتها من بعض التشويه نتيجة تمسكها بخط إسلامي ملتزم". وبطبيعة الحال، هب المغرضون لمهاجمة ذلك التوجه الإسلامي إلا أن حدة الهجوم بدأت تضمحل عندما كثفت المملكة من أنشطتها السياسية في توضيح موقفها من الإرهاب، وتبيان "حقيقة ما يسمى بالوهابية، وتذكر في كل مناسبة أنه ليس ديانة ولا مذهبا ولا طريقة"؛ كما أن "المملكة أوفدت الآلاف من البعثات الطلابية سفراء لها في أكثر من عشرين بلدا حول العالم"، لتأكيد نقاوة مجتمعها من الإرهاب. وفي الواقع أن المملكة تعرضت هي نفسها، كالعديد من دول العالم، لموجة من الإرهاب، وتعاملت معها بما تتطلبه من الحزم، لكن ما أثار إعجاب المجتمعات عقب ذلك، هو تبني المملكة منهجا تربويا إصلاحيا "يقوم على مخاطبة الفكر المنحرف والرأفة بأسر المنحرفين والتعامل معهم بأسلوب إنساني من منظور المواطنة والحضن الرؤوم، وهو نهج يقوم على القوة الناعمة".

ومن الآليات الفعالة للقوة الناعمة قيام المملكة، أو شخصيات مرموقة من المملكة بدعم كراسي أستاذية وإنشاء مؤسسات بحوث في الجامعات الأمريكية والأوروبية واليابانية الكبرى وغيرها من مؤسسات البحوث والتعليم المتميزة مثل:

- مركز الملك فهد لدراسات الشرق الأوسط والإسلام بجامعة أركنساس
- معمل عبد اللطيف جميل لمكافحة الفقر في قسم الاقتصاد بمعهد ماسشوستس للتقنية أو إم آي تي بكمبريدج بولاية ماسشوستس
- برنامج سلطان بن عبدالعزيز آل سعود للدراسات العربية والإسلامية
- كرسي الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية
- كرسي الملك فهد لعلم الأورام وطب الأطفال
- إنتاج كميات هائلة من المصحف الشريف (مجمع الملك فهد لإنتاج المصاحف) وتوزيع أكثر من ١٢١ مليون نسخة، منها ٥٨ مليون نسخة مترجمة، في جميع أنحاء العالم، مما يعد مؤشرا واضحا على جاذبية القوة الناعمة في هذا المجال.
- استحداث جوائز عالمية علمية وأدبية وثقافية، لخدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية :
  - جائزة الملك فيصل العالمية، وهي تقدم في مجالات خدمة الإسلام واللغة العربية والعلوم والطب.
  - جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز في مجال السنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة .
  - جائزة خادم الحرمين عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة، وتقدم في المجالات التالية:
    * جائزة الترجمة لجهود المؤسسات والهيئات
    * جائزة الترجمة في العلوم الطبيعية من اللغات الأخرى الى اللغة العربية
    * جائزة الترجمة في العلوم الطبيعية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى
    * جائزة الترجمة في العلوم الإنسانية من اللغة العربية إلى اللغات

الأخرى.

* جائزة الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية.

- جائزة الأمير سلطان بن عبدالعزيز العالمية للمياه، وتشمل خمسة فروع هي : المياه السطحية، المياه الجوفية ،الموارد المائية البديلة، إدارة الموارد المائية، حماية الموارد المائية ،بالإضافة إلى فرع عام يسمى جائزة الإبداع في موضوعات المياه المختلفة.
- جائزة المملكة العربية السعودية للإدارة البيئية، وهي من أهم وأرفع الجوائز المعنية بالبيئة في الوطن العربي .
- جائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للتراث والثقافة، حيث تم الإعلان مؤخراً عن موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز على تبني جائزة عالمية للباحثين والمهتمين بمجال التراث والثقافة على المستوى العالمي لتكون ضمن أهم فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الأعوام القادمة.

ومن الواضح من التخصصات العلمية والثقافية لهذه الأنشطة أن هذه الجوائز العالمية ليست لأهداف سياسية أو غيرها، وأنها بنيت أساساً لتحقيق مصالح الدولة ولنصرة الإسلام والمسلمين، وأن ما استحدث منها مؤخراً ينطلق من رؤية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في الدعوة إلى مد جسور التواصل الثقافي بين الشعوب، وتفعيل الاتصال المعرفي بين حضارات العالم وثقافاته، مما يسهم في تعزيز القيم الإنسانية التي تتبناها المملكة. والدليل على ذلك نوعية جنسيات الفائزين بهذه الجوائز، وحتى أديانهم، وكذلك نوعية القرارات التي تتخذها اللجان المختصة بهذه الجوائز.

- وإلى جانب هذه القائمة الطويلة من الكراسي العلمية والمؤسسات البحثية والجوائز العالمية التي ترعاها المملكة العربية السعودية في المجالات العلمية والثقافية والحضارية فإن المملكة لها اسهامات فاعلة ومقدرة في المجالات الاقتصادية والسياسية على المستوى العالمي، مما جعلها -كما يقول مايكل شيفر[١٧] - تتمتع باعتراف المجتمع الدولي بنفوذها العالمي كقوة اقتصادية،

وبنفوذها في العالم العربي كقوة سياسية، وبنفوذها في العالم الإسلامي كقوة عقائدية.

- تقديرا لإسهامات المملكة في التنمية المحلية والتعاون الدولي في شتى المجالات الاقتصادية حصلت المملكة على جائزة (ميدالية انمريكولاز) في مجال التنمية الزراعية ومكافحة الفقر من منظمة الفاو للأغذية في سبتمبر ٢٠١٠م للملك عبدالله بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين، كأول جائزة عالمية في هذا الشأن يحصل عليها زعيم عربي تقديرا لجهوده من أجل التنمية البشرية ومكافحة الفقر.

- يشير محمد إبراهيم الحلوة[١٨] إلى أنه خلال الفترة ما بين ١٩٧٣ – ٢٠٠٩م بلغ إجمالي ما قدمته المملكة من مساعدات إنمائية ٩٩,٧ مليار دولار استفادت منها ٩٥ دولة نامية. وتسهم المملكة بشكل فاعل في المنظمات الاقتصادية الإقليمية والدولية، حيث إنها تسهم بحصة الأسد في البنك الإسلامي للتنمية، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وصندوق الأوبك للتنمية الدولية. والمملكة عضو في المجالس التنفيذية لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي بحصة تصويت ٣,١٦٪ من الصندوق و٢,٧٩٪ في البنك الدولي. وتمثل مساهمة المملكة سابع أكبر حصة في مساهمات الصندوق والبنك بعد الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا والصين، إضافة إلى عضوية المملكة في مجموعة العشرين.

- أما سليمان نمر[١٩] فيرى أن اتباع المملكة لسياسة بترولية مرنة مع مستهلكي البترول من أجل عدم زيادة أسعار النفط في الأسواق العالمية زيادات تضر بالمستهلكين وبالاقتصاد العالمي، أوجدت للسعودية مكانة اقتصادية عالمية جعلتها عضوا أساسيا في إدارة صندوق النقد الدولي، وفي مجموعة الدول العشرين الاقتصادية.

- أعرب مجلس الوزراء السعودي[٢٠] في جلسته الأسبوعية بتاريخ ٢٢ صفر ١٤٣٣هـ عن تقديره لما أبدته الأمم المتحدة من شكر للمملكة العربية السعودية على جهودها وشراكتها مع برنامج الغذاء العالمي، وإقامتها معرضا للصور في مقر الأمم المتحدة في جنيف يسجل خمسة عقود من الشراكة بين المملكة

العربية السعودية والبرنامج، تقديرا من المجتمع الدولي للدور الإنساني الذي تقوم به المملكة بوصفها أكبر الدول المانحة للتبرعات للبرنامج، مما كان له الأثر الكبير في رفع المعاناة وإطعام الجوعى في مختلف دول العالم التي تعرضت للكوارث.

- تلقى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز إتصالا هاتفيا (يوم ٢٠١٣/٨/١٧م) من الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون أعرب خلاله عن شكره وتقديره لتبرع المملكة السخي بمبلغ مائة مليون دولار لدعم المركز الدولي لمكافحة الإرهاب وتفعيله تحت مظلة الأمم المتحدة. وسوف يساعد هذا الدعم المركز على تحقيق أهدافه والتزود بالامكانات والكفاءات البشرية [٢١]

ولا شك أن هناك عائداً كبيراً يعود على الدول والشعوب من الاستفادة من القوة الناعمة للدول الأخرى بما في ذلك القوة الناعمة التي توظفها في حماية مصالحها، أو التوسع في رقعة نفوذها، أو للحصول على مكاسب سياسية عاجلة أو آجلة، حيث إن هناك تداعيات ثقافية وتجارية وسياسية إيجابية عديدة لتوظيف القوة الناعمة. فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة الاقتصادية الإلكترونية[٢٢] وصف مسؤول اقتصادي ياباني العلاقات بين الرياض وطوكيو بالشراكة التي ازدادت عمقا، مشيرا إلى أن العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين مرضية، وداعيا في الوقت نفسه إلى استفادة المملكة من القوة الناعمة لبلاده. وخلال اجتماع لمجلس الأعمال السعودي - الياباني في الرياض عبر المشاركون من كلا الجانبين عن رضاهم عن علاقات الأعمال القائمة بين البلدين.

كما عبر مدير مكتب الشرق الأوسط وإفريقيا في وزارة الاقتصاد والتجارة والصناعة اليابانية مينورا ناكومورا عن اعتقاده بوجود إمكانات كبيرة متاحة أمام المملكة لاستخدام القوة الناعمة لليابان مثل الموارد البشرية، والتقنية وطرق تعلمها، ولا شك أن عتاد القوة بألوانها يجتمع في عنصري الموارد البشرية، والتقنية. غير أن الفارق الأكبر هو أن هذين العنصرين يعملان على التدمير في أحيان كثيرة تحت لواء القوة الخشنة ويكونان دعامتين مهمتين في التنمية والتعمير والتقدم تحت لواء القوة الناعمة. وبهذا فإن الاستفادة من مثل هذه العناصر يقود حتما إلى المزيد من الترويج لعلاقات الأعمال بين الدول وإلى اكتشاف فرص أعمال جديدة.

خصائص مميزة تنفرد بها القوة الناعمة السعودية

إذا كانت بعض شعوب العالم تفخر بما لديها من آثار وتحف وتماثيل حجرية معينة من مخلفات حضارات قديمة تعرضها في المتاحف، فإن معالم الحضارة الإسلامية، ومشاهدها، ولا نقول آثارها، ما تزال نابضة بالحياة وستظل قائمة شامخة إلى يوم الدين، وتزداد على مر الأيام بهاءاً واتساعا وتطويراً لأنها مقدسات ترتبط بشعائر ومناسك المسلمين وعباداتهم، وتهفو إليها أفئدتهم في كل بقاع الأرض. وتمثل هذه الحضارة الإسلامية أهم المقومات الرئيسة لعناصر القوة الناعمة للمملكة. فعلى الرغم من أن العمر الحضاري الحديث للمملكة لا يزيد على قرن من الزمان، فإن هذا العمر الحضاري للمملكة جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية الكبرى، بل هو امتداد لهذه الحضارة العريقة التي أسسها الرسول ﷺ منذ أكثر من أربعة عشرة قرنا من الزمان.

وهذه المقدسات الإسلامية هي أماكن العبادة للمسلمين، يقرأون عنها في كتاب ربهم، ويعرفون تاريخها، وتهفو نفوسهم لزيارتها مرات ومرات، فهي مرتبطة في وجدانهم دائما وأبدا. ومن أبرز هذه المقدسات والمعالم التاريخية والمشاعر الإسلامية:

١) بيت الله الحرام والكعبة المشرفة وهي قبلة المسلمين في جميع أنحاء الأرض، والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة من أركان الحج والعمرة.

٢) المسجد النبوي الشريف حيث كان بيت رسول الله ﷺ، وقبره الشريف عنده، وكذلك قبر صاحبيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عنهما، وكذلك الروضة بين قبره ومنبره التي هي واحدة من رياض الجنة.

٣) مسجد قباء وهو أول مسجد بني في الإسلام في المدينة، والصلاة فيه تعدل عمرة.

٤) أماكن التعبد الخاصة بالرسول ﷺ قبل البعثة مثل غار حراء، وغار ثور الذي آوى إليه الرسول - صلوات الله عليه - وصاحبه أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة وتجلت فيه آيات الله.

٥) أماكن نزول الوحي "القرآن الكريم" على النبي ﷺ.

٦) مشعر عرفة والوقوف به هو الركن الأساسي للحج، والمشعر الحرام بمزدلفة، والجمرات في منى وكلها من مناسك الحج.

٧) الأماكن التي شهدت البيعات للنبي ﷺ، وعقدت فيها المعاهدات المشهورة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

٨) مواقع الغزوات الكبرى التي تمثل معالم بارزة في تاريخ الدعوة الإسلامية "أحد وبدر"، وفيها الخندق أحد المعالم العسكرية الإسلامية في التخطيط العسكري.

٩) محافظة هذا البلد وتمسكه بأهم دعائم الحضارة الإسلامية وهي نظام الحكم المبني على العقيدة الإسلامية شرعة ومنهاجا وتطبيقا، وجعل شعاره كلمة التوحيد (لا إله الا الله محمد رسول الله)

١٠) اختص الله تعالى هذا البلد الكريم بشرف خدمة وفود الرحمن قيادة وشعبا وحكومة، ويفخر مليكها بلقب خادم الحرمين الشريفين.

١١) الدور والمكانة الفاعلة للمملكة في خدمة القضايا الإسلامية والإنسانية والدفاع عن المقدسات، والحفاظ على سلامة منهج كتاب الله وسنة رسوله من لوثات الطوائف الشاذة عن الفهم السليم للكتاب والسنة، بالإضافة إلى دورها الرائد في الحفاظ على الدعوة الإسلامية، ورعاية الأقليات المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها.

١٢) توجد على أرضها مقرات أهم المنظمات الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية، ورابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

مكامن القوة الناعمة للمملكة

مع اختلاف التعريفات القديمة والحديثة للقوة الناعمة وتشعباتها، وعلى ضوء التعريف الذي تعتمده هذه الدراسة بأنها (قوة التأثير الحضاري والثقافي والعقلي والوجداني المباشر وغير المباشر بين المجتمعات). ونظرا لخصوصية مكانة المملكة العربية السعودية ودورها البناء في العالم، وما حباها الله من مكامن القوى الناعمة فإن

بمقدورها، حكومة وشعبا، تصعيد عملية الاستفادة من هذه النعم التي أنعم الله بها عليها، سواء في إدارة شؤونها أو في تعاملها مع الآخرين، بما يعزز مكانة المملكة ومركزها الحضاري والثقافي والسياسي في العالم.

وقد أكد خبراء ومختصون سعوديون في استطلاع أجرته جريدة عكاظ[١٥]، ضرورة استثمار وتفعيل القوة الناعمة للمملكة بما تملكه من عناصر تشكل دعامة لهذه القوة، من وحي مركزها وثقلها الديني والاقتصادي والسياسي الذي تستطيع من خلاله التأثير والضغط غير المباشر على الدول الأخرى، وتعزيز موقفها السياسي في القضايا التي تهمها، مع إدراك دور المملكة الريادي، وأهمية تفعيل واستثمار هذه القوة المؤثرة من خلال الآليات والوسائل التي تحظى بها.

ويرى الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين[١٦]، وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، في مقال له عن القوّة الناعمة للمملكة العربية السعودية أن المملكة لديها مخزون هائل من القوّة الناعمة الفريدة، التي تكمن في قدراتها السياسّية والاقتصاديّة والإعلاميّة والثقافيّة والدينيّة، يمكن استثماره لخدمة قضايا المملكة الاستراتيجية بما يعزز مكانتها الثقافية والحضارية والسياسية على مختلف الأصعدة ويحقق ريادتها العالمية. واستثمار هذا المخزون الكامن من القوّة الناعمة يقتضي خطة إستراتيجيّة شاملة توضع على أعلى مستويات المسؤولية لتعكس القوّة الحقيقيّة للمملكة، وإقرارها من صانع القرار السعودي، ثم تفعيلها بصورة ترقى بمنزلتها "في عين الشارع العربي وبين مختلف شرائح الرأي العام في العالمين الإسلامي والغربي، خدمة للمصالح الحيويّة الاستراتيجية السعوديّة، على المدى المتوسط والبعيد".

كذلك يرى الإعلامي السعودي الدكتور عبدالرحمن الشبيلي[٦] أن النموذج الذي يشكل في مجمله القوة الناعمة للمملكة العربية السعودية، يضم في مكوناته البعد الديني والاقتصادي والحضاري والإنساني، كما أن القوة الناعمة للمملكة تتمثل في النموذج التنموي وفي علاقاتها الثقافية والسياسية. وفي الواقع فإن المملكة بطبيعة مركزها، سواء في المجتمع الدولي أو العالم العربي والإسلامي أو في المجال الإقليمي، لديها من الملكات الحضارية والقدرات المؤسساتية القائمة على أسس ثقافية وتراثية عميقة

الجذور، ما يمكنها من توظيف القوة الناعمة في كثير من المجالات السياسية والدبلوماسية بل والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بما يحمي مصالحها ويحقق طموحاتها.

وفي المهرجان الوطني للتراث والثقافة عن سياسة المملكة الخارجية، أكد الدكتور الشبيلي[١٩] أن القوة الناعمة ليست سمة ضعف، كما قد يؤدي مسماها من انطباعات أولية، بل هي من سمات القوة. والمملكة تملك عنان هذه القوة التي قد لا تقدر عليها دول أخرى. هذا لتميز المملكة وعلاقاتها الوطيدة بدول العالم قاطبة، حيث استطاعت على مدار الوقت الاحتفاظ بقدرتها على التأثير على المزاج العالمي، والحفاظ على علاقات متوازنة مع كثير من دول العالم في آن واحد، وبالأخص في محيطها العربي والإسلامي.

من هذا المنطلق على ضوء عرض مفاهيم القوة الناعمة نتعرف فيما يلي على مكامن القوى الناعمة للمملكة وسبل استثمارها محليا وإقليميا وعالميا من عدة محاور هي:

- **المحور الديني والحضاري:** ومن أبرز معالمه : إعتماد الشريعة الإسلامية في الحكم والقضاء مما أدى إلى شيوع الأمن والحد من الجريمة. العلماء والدعاة وأئمة الحرمين، الحج والعمرة، حماية المقدسات الإسلامية، الحوار وأثره في الأمن الفكري (برنامج المناصحة)، تجربة المملكة في حماية الأخلاق.
- **المحور الجغرافي:** المساحة وعدد السكان بالنسبة لمنطقة الخليج، إتساع الحدود البرية والبحرية، وتعدد وتنوع الدول المجاورة.
- **المحور الاقتصادي:** النفط، الثروات المعدنية، المدن الاقتصادية، مناخ الاستثمار.
- **المحور الإعلامي والثقافي:** بعض القنوات الفضائية، الإذاعات الموجهة، والمطبوعات.
- **محور التنمية البشرية:** برنامج الابتعاث الخارجي، تأهيل القيادات المجتمعية، التوسع في فتح الجامعات الجديدة.
- **برنامج المنح الدراسية :** تخصيص ٥ ٪ من المقاعد الدراسية للطلاب غير السعوديين في الجامعات السعودية.

وبالطبع فإن التعرف على مكامن القوة الناعمة إنما هو عرض عام لهذه القوى الناعمة، غير أن التطبيق يقتضي الإجابة على أسئلة محددة، منها:

- ما هو الهدف أو الأهداف التي تريد المملكة تحقيقها على وجه التحديد عن طريق توظيف ما لديها من عناصر القوى الناعمة؟
- هل أهداف تطبيق القوة الناعمة أهداف داخلية، أم خارجية، أم أن منها ما هو خاص بالتعامل الداخلي، وجلها موجه إلى التعامل الخارجي؟
- هل الهدف من تفعيل القوة الناعمة الكامنة هو ملاحقة الفئة الضالة والقضاء عليهم داخل المملكة واجتثاث جذورهم، أم التعرف عليهم وإعادة تأهيلهم ومنع تسللهم إلى المجتمع، أم السعي إلى إيجاد جو واق من العناصر المنحرفة والتعامل مع الإرهاب في مهده؟
- ما هي القوى التي تحاول المملكة مواجهتها بالقوة الناعمة كبديل للقوة الغاشمة، والتي تسعى المملكة إلى تأليفها؟ وما هي القوى الصديقة التي تسعى المملكة إلى الحفاظ على صداقتها بالقوة الناعمة؟ وما هي القوى الحيادية التي تسعى المملكة إلى استقطابها بالقوة الناعمة؟
- هل الهدف من تفعيل القوة الناعمة الكامنة هو أن تصبح المملكة رائدة العالم الإسلامي وتحافظ على مكانتها في العالم العربي؟
- هل تطمح المملكة في أن تكون في مقدمة القوى العظمي في العالم؟

هذه التساؤلات لا تحمل جوابا واحدا شافيا يصلح لجميع الظروف ويزيل جميع الملابسات، كما أن الأجوبة التي تتعلق بالمستقبل تتطلب وضع بدائل متعددة تأخذ في الحسبان التغيرات المتفاعلة للمجتمع الدولي، والاتجاهات العالمية المتغيرة، ثم تأليف الاستراتيجيات الملائمة لكل منها.

ولعل أكبر متغير في المجتمع الدولي الآن هو إمتداد تيار العولمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، إلى جانب امتداد سيطرة الشركات العالمية والمؤسسات الدولية كبديل للدول الكبرى. فلقد كانت القوة الخشنة هي المسيطرة على سياسة العالم القطبية في فترة مضت، ثم وظفت القوى العظمى القوة الذكية وسياسة العصا والجزرة في

الصراع على فرض سيطرتها على المسرح العالمي. ولكن التنبؤات تشير إلى أن المستقبل سيكون للدول التي تملك أضخم رصيد من آليات القوى الناعمة، ومن أهم تداعيات ذلك التحول الجذري انحسار ظاهرة القطبين وحلول ظاهرة القطب الواحد في واقع السياسة العالمية، وتقلص سلطة نادي الدول الخمس النووية التي تحظى بالعضوية الدائمة وحق الفيتو في مجلس الأمن، والمجموعات الصغيرة التي تمثل الاقتصادات الكبرى مثل مجموعة الثمانية (G8) القائمة على الحجم الاقتصادي وتعداد السكان وعلى القوة الاقتصادية والعسكرية.

إن مكامن القوى الناعمة الهائلة تفسح المجال للمملكة العربية السعودية لأن تؤدي دورها الطبيعي كإحدى القوى المؤثرة في عالم جديد متعدد الأقطاب، إلى جانب عضويتها في مجموعة العشرين (G20) لأكبر الاقتصادات في العالم.

الفصل الثاني

المحور الديني والحضاري

- الحج والعمرة
- تطوير وحماية المقدسات الإسلامية
- العلماء والدعاة
- تطبيق الشريعة
- إقامة الحدود وأثرها في الحد من الجريمة
- تجربة المملكة في حماية الأخلاق
- الحوار وأثره في الأمن الفكري
- العمل الخيري والإغاثي والإنساني
- برامج التطوع الدولية

لا شك أن العلاقة بين القوة الناعمة للدولة وتوجهاتها الدينية أو العقائدية تشكل نوعا من التحديات التي تواجه المكانة العالمية للدولة. هذا لأن العوامل الداخلية والثقافية داخل القوى الكبرى تنتج عقائد متعددة ومتنافسة لكل منها قواعدها وتفسيرها وآليات تنفيذها. وفي هذا الصدد يطرح مايكل شيفر [١٧]، تساؤلا يفرض نفسه عالميا يتعلق بالتنافس الديني أو العقائدي بين الدول، وعما إذا كان ما يزال حاضرا كما كان في العهد الماضي؟ فلقد شاهد العالم حقبا طويلة من الصراع بين الأديان والحضارات التي تكمن خلفها منافسة على بسط السيطرة والسلطان على الآخرين .

ولقد توقع "صموئيل هنتينجتون" (Samuel Huntington)؛ الذي تأثر بطرحه كثير من المفكرين العرب، في عام ١٩٩٣ عهدا من صراع الحضارات، وتلاه في ذلك "روبرت كاجان" (Robert Kagan) الذي تناول الانقسام الحاصل في العالم والصراع طويل الأمد بين الديموقراطيات الغربية والمحور السلطوي المتمثل في روسيا والصين على أنه صراع أيديولوجي من الدرجة الأولى. ووضع عالم السياسة البلغاري "إيفان كراستيف" (Ivan Krastev) مفهومه عن صدام الحضارات بين دول ما بعد الحداثة ودول ما قبل الحداثة غير الليبرالية. ورأى "كراستيف" بوادر هذا الصدام في التدخل الروسي في جورجيا عام ٢٠٠٨؛ "حيث نظر إليه باعتباره عودة لمنهج النفوذ الذي كان متبعا في القرن التاسع عشر، مما يثير علامات التعجب حول إعلان روسيا عودتها كقوة عظمى؛ فالتدخل العسكري الروسي في جورجيا ذكر العالم بأن قوة روسيا العسكرية من الدرجة الأولى لا الثانية كما ظن البعض بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١". وبهذا فإن "هناك خطرا لا يمكن إنكاره في تنافس القوى الكبرى عبر الخطوط العقائدية؛ فالاقترابات المختلفة والمتنافسة للدول الكبرى تجاه قضايا السيادة والشرعية والتدخل واستخدام القوة قد توجد نوعا من الخلاف، وربما تؤدي إلى نتائج أسوأ".

ولقد استطاعت المملكة بفضل القوة الناعمة التي تملك مقاليدها أن تتجاوز العديد من ملاحم الصراع الأيديولوجي سواء في المنطقة أو في الساحة العالمية. فالمملكة لم تتأثر بالمد الشيوعي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية والذي شارف على حدودها

بل أسهمت في التصدي له؛ ولم تستدرج إلى الدخول في معارك القومية العربية في ستينيات القرن العشرين. كما أنها استطاعت من خلال دعائمها الدينية والحضارية أن لا تنجرف في الصراعات المذهبية والطائفية والدينية سواءً على مستوى المنطقة أو على مستوى العالم بأسره، فاستطاعت تخطي تحديات ما أعقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية من تجاذبات دينية وحضارية على الصعيد العالمي، ومحاولات لاستدراج المملكة للخوض في مواجهات دينية وعقائدية. بل إن المملكة احتفظت بدورها الريادي في العالم الإسلامي في وجه العديد من الأزمات بفضل توظيفها للجانب الديني والحضاري لقوتها الناعمة.

الحج والعمرة

إن الحج والعمرة من العبادات المتكررة والمجالات الخصبة التي تنفرد بها المملكة لتفعيل دور القوة الناعمة لاستمالة قلوب ملايين المسلمين المقبلين على المملكة طوعا من شتى أنحاء المعمورة، والتأثير الإيجابي على أفئدتهم وأفكارهم تجاه المملكة، حكومة ومواطنين؛ بحيث من الممكن أن تنعكس رغباتهم في رغبات المملكة فتصبح مصالح المملكة من المصالح التي يحرصون عليها كمصالح خاصة لكل منهم. هذا لأن القوة الناعمة المؤثرة والجاذبة الأكبر للمملكة هي "القوة الروحية المتمثلة في عبادة الحج والعمرة"، كما يؤكد الدكتور الشبيلي[٢٣]. بعبارة أخرى إن وفود ملايين المسلمين إلى المملكة للحج والعمرة سنويّاً يعتبر "فرصة سياسية، وميزة اقتصاديّة، وقيمة ثقافيّة مُضافة، وبعداً أيديولوجياً عميقاً للقوة السعوديّة الناعمة، لا يمكن أن ينافسها عليها أحد من العالمين - سواء حاضراً أم مستقبلاً".

ومن هذا المنطلق يعيب الدكتور العثيمين[١٦] على المملكة أنها "لم تستثمر هذه القوّة" الناعمة "بما يتناسب مع ما لها من المزايا". حيث إن "المأمول أن يكون الحج والعمرة والزيارة مناسبات تستثمر الدولة فيها القوّة الناعمة بأبعادها الدينيّة والاستثماريّة والثقافيّة والاقتصاد المعرفي، لخدمة أهداف ومصالح المملكة العليا مع الدول الإسلامية على المدى البعيد". وبهذا فإنه يرى أن على المملكة أن لا تكتفي بالاستقبال "الرسمي لكبار الضيوف، وندوة الحج الكبرى،" لأن تلك الاستقبالات "ما زالت محدودة المدّة

والمدى والعدد والانتشار ونوعيّة الفعاليّات"، كما أنها تهتم بالشكليات دون المضمون.

وبدلا من الاستقبال الرسمي لكبار الضيوف، أو بالإضافة إليه، يرى الدكتور العثيمين أن على المملكة أن تجنح إلى تركيز الاستهداف السياسي الناعم من حيث الترحيب والاستضافة، والتمكين من الحج والاعتمار، والزيارات المتكرّرة على مدار العام "على النخب السياسّية والدينيّة والثقافيّة والاقتصاديّة لمختلف القيادات في العالم الإسلامي، أو بين أوساط الأقليّات المسلمة وقياداتها في الدول غير المسلمة"، ذلك إلى جانب "الاهتمام بقيادات مؤسسات المجتمع المدني في تلك الدول، بما في ذلك العناصر الشبابيّة فيها". وبالفعل فإن المملكة قد استضافت وفدا من الشيشان للحج خلال احتدام أزمة الحرب بينها وبين روسيا، مما كان له أثر طيب في تهدئة الأزمة، وكان في ذلك طمأنة لمشاعر المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي.

ومع فتح باب العمرة على مدار العام، يحبذ الدكتور العثيمين[٨] قيام المملكة بدعوة تلك النخب" للحج والعمرة بشكل متكرّر"؛ بهدف "الاستفادة من هذه القوّة الناعمة عند الضرورة". إذ يمكن أن "تتحول مناسبات الحج والعمرة والزيارة إلى تظاهرة ثقافيّة وإعلاميّة ووشائجيّة مع دول ومجتمعات العالم الإسلامي، وإلى موسم عالمي لتبادل المنافع التي تخدم مصلحة البلاد". ويضيف الدكتور الشبيلي[٦] بضرب مثل حي: "إن لنا أن نتخيل مدى تأثير وجه دبلوماسي مضيء بالبشاشة يسهل للحجاج والمعتمرين من كازاخستان مهمة وفادتهم".

بالطبع هناك من يخشى من أن "الحج والعمرة ما زالا هاجساً أمنيّاً، وعبئاً إنفاقيّاً، ومشكلة (لوجستيّة)" . إلا أنه في موازنات القوة الناعمة عادة ما ترجح كفة المكاسب الاقتصادية والمعنوية والسياسية للمملكة على كفة المخاطر التي قد تتعرض لها المملكة خلال موسم الحج. ولعل أكبر ضامن لتلك الموازنة قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: ١٢٦)؛ وقوله تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾(سورة إبراهيم؛

الآية: ٣٧)؛ وقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (سورة قريش).

تطوير وحماية المقدسات الإسلامية

إن المقدسات الإسلامية من مكامن القوة الناعمة للمملكة المتمثلة في النموذج التنموي الذي ترعاه وفي علاقاتها الدينية والثقافية والسياسية. وقد أكد الدكتور عبدالرحمن الشبيلي[٦] على أن القوة الناعمة المؤثرة والجاذبة الأكبر للمملكة هي "القوة الروحية المتمثلة في خدمة الحرمين الشريفين وفي وفادة الحج والعمرة، وفي احتضان المؤسسات الإسلامية الدولية والشعبية، وفي الحفاظ على قيم الإسلام". هذا إذا "ما استثمرت عن يقين ووظفت عن أصالة وصدق، للوصول إلى شعوب الأرض كافة، بوصفها رسالة من أرض الإسلام إلى كل القلوب المحبة للسلام". هذا لأن التجارب أثبتت يقينا أن "كسب الحرب أسهل من كسب السلام، وأن القوة الناعمة ضرورة لكسب السلام".

وتطوير وحماية المقدسات الإسلامية أمانة تكفلت بها المملكة العربية السعودية نيابة عن المسلمين في أرجاء المعمورة دون إسهام مادي من أي من حكومات الدول الإسلامية أو من الجاليات المسلمة حيث توجد أقليات مسلمة. ومن هذا المنطلق، يرى الدكتور الشبيلي أن العالم "يسجل لهذه المملكة منذ تأسيسها كل الخطوات العمرانية والتموينية لتطوير المشاعر المقدسة وتحسين الخدمات فيها". وبالطبع هناك شراكة فنية ومعمارية من دول أخرى، لكن المملكة هي التي تنفق على ذلك وعلى التعمير والتوسعة والصيانة. وبهذا فإن الحرمين الشريفين اللذين "لا تفيهما كاميرات التلفزيون حقهما في النقل والتصوير"، يظلان الشهادة الحية على أرض الواقع "الأكثر جذباً موقعاً وخدمةً وإنجازاً" على جهود المملكة في هذا المضمار. هذا رغم أنهما الأبلغ ازدحاما على مدار الساعة "خاصة في المواسم"، كما أنهما الموقعان الأكثر تعقيدا في توفير الخدمات، وفي حفظ الأمن والنظافة وتوفير الغذاء. وطبقا لوصف الدكتور الشبيلي "فهما مدينتان داخل مدينتين، تحتضنان كل المرافق والخدمات والتسهيلات التي قد لا يقدرها إلا من يقضي سويعات بين أحضانهما". كما أنهما "جامعتان تنثران إشعاعهما الديني والفكري

في أرجاء المعمورة".

ويؤكد سليمان نمر [١٩] على وجود حرص إسلامي على التقرب للمملكة لما تحظى به المملكة من الريادة الروحية في أنحاء العالم الإسلامي، بسبب وجود الحرمين الشريفين على أرضها "وما تقدمه الحكومة السعودية من خدمات يشهد لها بها ملايين المسلمين ممن يحجون ويعتمرون". كما أن المملكة العربية السعودية استطاعت أن تتبوأ منزلة دينية متميزة زاد منها "حرص المملكة على رعاية ودعم التضامن الإسلامي ومؤسساته السياسية والثقافية والاقتصادية". ومما قوى من الدور الريادي الديني للسعودية "النشاط "الدعوي" الإسلامي للجمعيات السعودية، الذي تجلي في شكل تقديم المعونات الإنسانية والخيرية للمجتمعات الإسلامية الفقيرة. كما يرى نمر أن هذه الريادة الدينية "كانت واحدة من أهم أدوات السياسة الناعمة للسعودية، خصوصا في مواجهة محاولات إيران لتصدير الثورة بعد عام ١٩٧٩، والتشكيك في الريادة السعودية في العالم الإسلامي".

غير أن نمر يرى أن أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ وما تلاها من موجة حرب على الإرهاب أثارت الريبة حول النشاط الدعوي والخيري السعودي، مما أدى إلى "حل الكثير من الجمعيات الخيرية والدعوية السعودية بناء على طلب أمريكي، مثل "جمعية الحرمين" التي انتشر نشاطها في العالم، وأساء إليه المتطرفون الإسلاميون الذين أصبحوا إرهابيين في نظر العالم وصاروا "وهابيين" متزمتين في نظر المجتمعات الإسلامية المنفتحة". من بعد ذلك أصبح "كل هم السعودية الآن التأكيد على وسطية الدين الإسلامي وتبرئة نفسها من التزمت، بل وحتى من الوهابية كمذهب" وتوضيح حقيقة حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنها ليست مذهباً دينياً ولم تخالف الكتاب والسنة، بل دعت إليهما بجلاء.

وقد شهد الجميع بحرص المملكة على توفير سبل الراحة والطمأنينة وكل مافيه مصلحة عامة لخدمة الحجاج والمعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف والذي تزداد أعدادهم عاماً بعد عام، مما يتطلب من حكومة المملكة توسعة الحرمين على فترات متقاربة وكان آخرها مشروع التوسعة الكبرى للمسجد النبوي من الجهات الشمالية والشرقية والغربية، الذي اعتمده خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – بتاريخ

٢٠١٣/٣/٧م، وسوف يستغرق تنفيذ هذا المشروع الكبير مدة أقصاها سنتان، وسوف يستوعب بعد تنفيذه أكثر من مليون وستمائة ألف مصل[٢٤].

وعند تفعيل دور المملكة في حماية المقدسات الإسلامية كآلية من آليات القوة الناعمة من المهم إدراك أن تأثير ذلك قوي على عامة المسلمين لما للحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة من مكانة روحية وفطرية في نفوسهم، ولما لخادم الحرمين من إجلال في نفوسهم لما يضفيه عليه اللقب من منزلة رفيعة في قلوب الناس.

العلماء والدعاة

لعل من أهم آليات القوة الناعمة غير المباشرة التي تنعم بها المملكة والتي يمكنها توظيفها في تجميع قلوب المسلمين في أنحاء العالم حولها وتجنيدهم تلقائيا لرعاية مصالحها عن رضى وحرية إرادة، وطلباً للمثوبة من الله وحده، العلاقة الروحية والعاطفية والعقائدية والفكرية التي تربطهم بعلماء المملكة ودعاتها، خاصة أئمة الحرمين، سواء شرفوا بلقائهم والاستماع إليهم عن قرب أو تابعوهم عبر وسائل الاتصال والإعلام والوسائط المتعددة. أولئك لهم من الحظوة والتأثير على عامة الناس وخاصتهم ما لا يمكن لدبلوماسي أو سياسي أن يبلغه مهما أوتي من البلاغة وحسن الخطاب. وتأثير بعض هؤلاء كثيرا ما يتخطى المسلمين إلى غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى إذا ما أتيح لهم المجال للاستماع إليهم.

وقد ساعد على تفعيل تلك القوى الناعمة الكامنة في المملكة بث الصلوات من الحرمين على موجات الأثير، وخاصة صلاة الجمعة وصلاة العشاء وصلاة القيام (التراويح) في رمضان الكريم إلى جانب صلاتي وخطبتي العيدين. إن هذا البث يقوي من حبال التواصل مع المملكة، خاصة وإن كثيرا من المسلمين، يتتبعون تلك المناسبات بحرص ولهفة عبر الفضائيات حول العالم؛ لما تعطيهم من فضاءات روحية طيبة.

كما يغذي فعاليات القوة الناعمة الدينية وآثارها المحمودة توافد علماء المملكة على مريديهم خارج المملكة، واللقاء بهم في الندوات وحلقات الوعظ والإرشاد إلى جانب ظهور بعضهم على المحطات الفضائية بصورة دورية عبر القنوات الرسمية والقنوات

الدينية. بل إن بعض أئمة الحرمين وعلماء المملكة ذاع صيتهم حول العالم فحظوا من الشعبية بين المسلمين ما لم يحظ به بعض أو معظم مشاهير نجوم السينما ولا نجوم الغناء الساطعة (Superstars). ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى مثال واحد لعله يكون أبلغ دليل على مدى تأثير فعالية العلماء والدعاة بوصفها إحدى مصادر القوة الناعمة الدينية السعودية خارج المملكة، وهذا المثال هو فضيلة الدكتور محمد بن عبدالرحمن العريفي خطيب مسجد البواردي بالرياض ومن أظهر المؤشرات ما أحدثته زيارته لمصر من آثار واسعة المدى، داخل مصر وخارجها، وما لقيه الشيخ من ترحيب فائق من كل الفئات شعبياً ورسمياً،واهتمام وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها بتغطية تحركاته، وتعليقات كبار الكتاب والصحفيين على خطبه القيمة وأسلوبه الفذ، كما يتضح من التعليق التالي الذي كتبه رئيس تحرير جريدة (المصريون)[٢٥] على ما أسماه "ظاهرة العريفي":

" لو أن المملكة العربية السعودية خصصت عدة وزارات ومعها جيش من الخبراء والدبلوماسيين والإعلاميين؛ من أجل الوصول إلى قلوب وعقول ملايين المصريين بسرعة، لما نجحت بعشر ما فعله الشيخ محمد العريفي خلال أسبوع واحد، هناك في مصر الآن ظاهرة تسمى "ظاهرة العريفي"، فمنذ خطبته الرائعة (فضائل مصر) التي قدمها في صلاة الجمعة بمسجد في الرياض حتى تناقلتها وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت على نطاق هائل، وقد دخل العريفي قلوب ملايين المصريين بسرعة الضوء، وقد نشرت العديد من الصحف الخطبة، كما بثتها عشرات القنوات الفضائية المصرية وأعادت بثها مراراً، والغريب أن العريفي اجتمعت عليه قنوات الإسلاميين وقنوات المعارضة على حد سواء، كما تلقى عشرات الدعوات من مؤسسات رسمية وأحزاب سياسية ومنظمات مدنية ووزارات وشيخ الأزهر الذي احتفى به كثيراً، ثم خطب العريفي خطبة الجمعة في مسجد "الفاتح" عمرو بن العاص، الذي قاد كتائب الخير والرحمة ودين الحق لـ"فتح مصر"، لتصبح بعد ذلك إحدى أهم قلاع الإسلام وحصنه المنيع. وقد حضر خطبة العريفي ما تجاوز المليون مصلٍ - حسب إحصائيات متطابقة - احتشدوا منذ التاسعة صباحاً، فأضاف إلى مليونيات الثورة المصرية الشهيرة مليونية جديدة، هي "مليونية العريفي". والقبول الواسع الذي حظي به الداعية المتميِّز ليس فقط

لمعرفته بعاطفة المصريين وكيف يقترب منها وكيف يأسر قلوب أبناء مصر وعقولهم ومشاعرهم، وإنما أيضاً الذكاء الدعويّ الذي جعله يبتعد عن مواطن الخلاف السياسي أو الفكري أو الطائفي، وتركيزه على "المجمَع عليه" بين أهل مصر، كان حذراً ويقظاً في خطابه بصورة مدهشة، وهذا ما ساعد على اجتماع القلوب عليه من كل التيارات والقوى السياسية، باستثناء قلة قليلة من المرتبطين باللوبي الإيراني في القاهرة؛ لأنّ الحضور الطاغي للعريفي في القاهرة حَرَق لهم "مراكب" عديدة كانوا يعملون على تجهيزها لسنوات، العريفي تحدث عن "وهج" مصر التاريخي الذي يجعل الشخص يدخلها بحال ويخرج منها بحال آخر، فما دخلها عالم ولا داعية ولا شاعر ولا أديب ولا إعلامي إلا وتحوَّل إلى نجمٍ، وكان العريفي أميناً في ذلك مع نفسه هو؛ لأن العريفي قبل الرحلة المصرية ليس هو العريفي بعدها بكل تأكيد، لقد أعاد اكتشاف نفسه، كما أعادت الحالة الإسلامية اكتشافه من جديد.

ظاهرة العريفي نجحت في تصحيح صورة أهل الخليج عند المصريين بشكل رائع، كما جعل المصريين يكتشفون أبعاداً من الوسطية والاعتدال والتجرد في الدعوة الإسلامية بالسعودية والخليج حاول كثيرون أن يشوِّهوها بإعادة "تدوير" الخطاب الإيراني/ الصهيوني المتطرف عن الوهابية، واكتشف المصريون أن الخطاب الاستعلائي الذي روَّجه بعض المتغربين عن "الفقه البدوي" في الخليج كان ظالماً وغير أمين، مع واقع دعوي هو أقرب إلى التحضر والاستنارة من كثير ممّن يدّعونها زوراً."

وفي دراسة تحليلية قام بها الباحث السعودي عادل محمد عبده[١٥] يقترح الباحث مؤكداً على ضرورة الاستفادة من مدخرات المملكة الثقافية ومن أئمة المساجد والحرمين الشريفين والرموز الدينية في تفعيل جانب حيوي ومهم من جوانب القوة الناعمة:

- "تفعيل أخلاقيات الإسلام في التعامل خصوصا في المجال السياسي بالرجوع إلى هديه في هذه المجالات"،
- "النهوض بفكر العلماء والمفكرين والمثقفين المهتمين بالسياسة ليعرفوا استراتيجية الدولة والأمة بشكل عام ويقوموا بعد ذلك بخدمتها"،

- "إعداد الشعب ليكون سفيرا حسنا خارج البلاد ومعاقبة من يسيء لسمعتها"،
- الاستفادة "ممن سبقونا من قدواتنا في التجارة ممن كانوا ينشرون الإسلام بأخلاقهم وتعاملاتهم وبحيث يكون تجارنا خير سفراء باستغلالهم في هذا الأمر، وتعزيز التواصل القبلي في أنحاء متفرقة من العالم، فهناك من القبائل من لديها فروع متناثرة في أنحاء العالم، وهذا التواصل يوجد نوعا من الترابط العالمي"،
- حقيقة أن "المملكة لديها أهم منبرين من منابر الإسلام هما الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة"،
- إدراك "الجميع أن الدين لا يجوز أن يستغل لأغراض ومصالح شخصية لكن المطلوب الارتقاء بأخلاقياتنا وفق تعاليم الإسلام لتحقيق غايات مهمة"،
- إنشاء "معاهد لتعليم اللغة العربية الفصحى في مناطق مختلفة في المملكة لتعليم اللغة للوافدين من غير العرب، وهذا سيسهم مباشرة في تعزيز الارتباط الثقافي لكون المملكة العربية السعودية رافدا مهما لها".

تطبيق الشريعة

إن الحديث عن الإسلام لا بد أن يقودنا إلى الحديث عن الدعوة إلى الإسلام. والحديث عن القوة الناعمة للإسلام يقودنا إلى "منظومة متكاملة من العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات التي تقف سداً منيعاً وعالياً أمام منتقديه، وأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وأنه ينتصر دائماً أمام الحضارات الأخرى إذا ما أُحسن طرح حجته ونموذجه ناصع البياض". وبهذا يرى محمد سليمان الزواوي[٢٦] أن المسلمين شرقاً وغرباً إذا ما "استطاعوا تحقيق الحكم الرشيد، الذي يُستقى من أحكام الشريعة الإسلامية"، فإنهم بذلك يكونون "قد أكملوا ترسانة الحضارة الإسلامية"، ويكون الإسلام حينئذ "قادراً على غزو الآخر حضارياً، وحينئذ يستطيع المسلمون أن يقضوا على التشوهات التي حدثت في منظومتهم الأخلاقية والسياسية، وأن يقضوا على كافة أشكال المخدرات السياسية والفنية والخلاعية التي قوضت حضارتهم عقوداً من الزمان"، وأن ينتج العرب والمسلمون منظومة حضارية جديدة تستطيع أن تقدم مخترعات ومنتجات جديدة للإنسانية، ثقافية وصناعية وحضارية، "بعد أن ظللنا عقوداً لا نخترع فيها شيئاً

سوى النرجيلة والحشيش والقات وكافة أشكال المخدرات التي تذهب العقل وتؤدي إلى الهروب من واقعنا الأليم".

ولعل من المآخذ على أتباع بعض المجموعات الإسلامية المتطرفة خارج المملكة، هو عدم إدراكهم حقيقة أن الشريعة الإسلامية تشريعات متكاملة مبنية على القرآن الكريم وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتطبيقات الخلفاء الراشدين، واجتهادات العلماء عبر أربعة عشر قرنا. ومع ذلك حصرها هؤلاء الغلاة في إقامة الحدود، وحتى هذه الحدود اختزلها بعضهم في أربعة حدود فقط وهي:

١) السرقة.
٢) الحرابة.
٣) الزنى.
٤) القتل.

ولم يلتزموا بشروط تطبيق الحدود في الإسلام والتي هي من اختصاص الحكام دون غيرهم، ويعمدون إلى إقامة الحدود بأنفسهم، فقامت جماعة في مصر ببتر أذن شخص شكوا في أنه يدير بيتاً سيء السمعة، وفجرت مجموعة في غزة صالون تجميل للنساء، وقتلوا صحفيا إيطاليا، كما قامت السلطات في ولاية كاتسينا بنيجيريا بالحكم بالرجم على إمرأة في الثلاثين من عمرها لإنجابها طفلاً دون زواج شرعي، إضافة إلى ما يحصل في الصومال منذ عدة سنوات، وأخيرا في ليبيا. وإضافة إلى ما تنطوي عليه هذه الأعمال الضالة من إساءة إلى الشريعة الإسلامية، فإن قادة بعض تلك الجماعات المتحمسة لتطبيق الشريعة الإسلامية يتخذون من المملكة قدوة لهم في أحاديثهم ودعاواهم في تبرير هذه الجرائم، ولا يتورعون عن ارتكاب أعمال التخريب والقتل والتكفير، وينسبون دوافع تفكيرهم المنحرف ظلما وعدوانا إلى المملكة، مما يسيء بالفعل إلى المملكة وعلمائها إساءة بالغة، ويستوجب من الجهات المختصة تتبع تلك الحركات الإسلامية بالترشيد أو التعقيب عليها، ونفي التهم الباطلة التي توجه إلى المملكة وتترسخ في أذهان الناس بالتكرار والإلحاح عليها من جانب وسائل الإعلام المغرضة، والتي تصور المملكة وكأنها مغرقة في ضرب العنق وقطع اليد والرجم

والجلد في الميادين العامة.

ويشير محمد أبو رمان[١٢] إلى أن التركيز لدى بعض الحركات الإسلامية والنشاطات الدعوية يجري دوما على الصدامات والصراعات السياسية الداخلية والعسكرية الخارجية وعلى قضايا جزئية وفرعية، ويتم القفز على المهمة الكبرى والعليا ألا وهي بناء القوة الناعمة الإسلامية على مستوى مجتمعاتنا وعلى صعيد إنساني عالمي بصورة واسعة. ولعل ما لم يدركه الإسلاميون اليوم أن القوة الحضارية للأمم والشعوب لم تعد تعتمد على القوة العسكرية وحدها – بل على التوازن والموازنة بينها وبين القوة الناعمة، بل ومع عصر الإنترنت والاقتصاد والمعرفة والتفاعلات الثقافية صارت للقوة الناعمة أهمية ودور أكبر وأخطر من القوة العسكرية.

والواقع أن علماء المملكة تقع على عواتقهم مسؤولية خطيرة في هذا الصدد ليس لنفي الاتهامات الباطلة الموجهة إلى المملكة فحسب، بل ولتبرئة الشريعة الإسلامية السمحة من هذه الأعمال والجرائم التي ترتكب باسمها ظلما وعدوانا من بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام، مما يوفر مصدرا خصبا للإعلام والمنظمات المعادية للإسلام لتوجيه سهامهم المسمومة إلى الدعوة الإسلامية بصفة عامة وإلى المملكة بوجه خاص، وهم - بفضل الله - حريصون على التوضيح والفتيا في كل وقت وحين ومناسبة في هذه الانحرافات الفكرية والعملية. رغم ندرة هذه الحوادث الشاذة، ورغم أن معظم هؤلاء الغلاة ذهبوا في تطرفهم إلى حد تكفير المملكة نفسها وتكفير علمائها. ولكن الالحاح على إبرازها ونشرها في وسائل الإعلام يستوجب التصدي لها وتفنيدها حتى لا تترسخ هذه المفاهيم الخاطئة والآراء الضالة في الأذهان.

ولبيان خطورة هذا الأمر الذي يجب أن يحظى بالأولوية في هذا الوقت العصيب الذي تمر به الأمة الإسلامية مع صعود التيار الإسلامي في كل المجتمعات الإسلامية، نورد فيما يلي نص الرسالة التي بعث بها رئيس المجلس الأعلى للإفتاء الليبي الشيخ صادق عبدالرحمن الغرياني إلى فضيلة الدكتور سلمان بن فهد العودة الأمين المساعد لإتحاد علماء المسلمين [٢٧]:

"بعث رئيس المجلس الأعلى للإفتاء الليبي الشيخ صادق بن عبدالرحمن الغرياني

بخطاب للشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة الأمين المساعد لاتحاد علماء المسلمين عبر فيه الغرياني عن شكر دار الإفتاء الليبية وتقديرها العميق لعلماء المملكة الذين كانت فتاواهم وتوجيهاتهم السديدة نعْم العون للمجاهدين ضد طاغية عصره الذي أراح الله المسلمين من كيده ومكره في ليبيا وغيرها. وأشار الشيخ الغرياني في رسالته إلى أنه بعد انتهاء معركة القتال بدأت معركة أخرى أشق وهي معركة البناء. وأكد ان السلاح الآن هو في أيدي الناس أكثر منه في يد الدولة ويعيش الشباب يتحلقون حول منهج الجرح والتعديل في العلماء وتنقصهم والتحذير منهم. وأوضح الغرياني ان هؤلاء الشباب يتلقون هذا المنهج عن شيوخ بعضهم في السعودية وبعضهم في بلاد أخرى ويقولون: إن القول في العلم قولهم، ولا يعتدون بمن خالفهم أيا كان قدره في العلم. وأضاف: أن هؤلاء الشباب يقولون عن أنفسهم إنهم في المنهج معصومون، ولا يخطئون، وإن ليبيا ليس فيها علماء؛ لأن علماءنا حسب هذا المنهج (المعصوم) الذي يدعونه – مجرحون من قبل أشياخهم.

وتابع الشيخ الغرياني: إن من أعمال هذه الجماعة أن ما تراه منكرا في نظرها لا تتردد في تغييره بقوة السلاح، ومنهم من يرسل بالجوال رسائل تهديد لعدد من أهل العلم، الذين أحسبهم على السنة، ومنهم من يداهم من يشتبهون في أمره بارتكاب كبيرة السحر ونحوه، بعد خطفه من بيته وتعذيبه، وقد يقيمون عليه الحد بأنفسهم، وهو ربما كان بريئا مما رمى به. وكل ذلك باسم العمل بالكتاب والسنة، ومن المعلوم أن إقامة الحدود من اختصاص الحكام دون غيرهم.

وأضاف الغرياني أن خطورة ما يقوم به هؤلاء الشباب لا تكمن فقط في هذا الأمر، فإن هناك من يغتر من الشباب بهذه الجماعة ويتزايد عددهم كل يوم وصغار السن، ينضمون إليهم تحت الشعار الذي يستهوي كل مسلم (الكتاب والسنة)، ويسفهون من خلال دعوى العمل به كل إمام في العلم من قدامى ومحدثين، إن خالف منهج شيخهم (المعصوم). وأكد الغرياني في رسالته أن المنضمين إلى هذه الجماعات من صغار السن لا يزالون يثقون في علماء المملكة الراسخين، مطالبا علماء المملكة بأن يحيلوا من يستفتونهم من هؤلاء الشباب في ليبيا إلى علماء بلدهم".

لا مراء في أن إقامة الحدود في الدولة عقوبات زاجرة في المجتمع، رغم أنها قد تبدو شكلاً غير ناعمة، وقد أثبتت التجارب أنها من آليات القوة الناعمة التي توظفها المملكة في الحد من الجريمة؛ فإن قوة الحدود الرادعة، والعلانية في تطبيقها، مع التعجيل في إجراء المحاكمات والقضاء فيه تشكل قوة رادعة لا مثيل لها في القوانين الوضعية سواءا أكان القانون المدني المعمول به في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أو القانون العام وخاصة الشريعة النابوليونية المعمول بها في كثير من الدول الأوروبية والعربية والإسلامية وأمريكا اللاتينية.

وهنا ملمح حول بعض الحدود ونظرة على الفوارق بين حكم الشريعة الإسلامية وغيرها فيها :

○ السرقة

إن العقوبات على جرائم السرقة في القوانين الوضعية ليست رادعا لمحترفي السرقة، فربما كانت الحياة في السجن أفضل من الحياة خارجه بالنسبة لهم. ولكن تلك العقوبات قد تشكل رادعا نسبيا لمن قد تحدثه نفسه بالسرقة من الأشخاص العاديين الذين قد تستهويهم أنفسهم للتعدي على ملكيات الآخرين، سواء في ساعات ضعف أو عند الحاجة. والرادع الأكبر للسارق غير المحترف ليست عقوبة السجن بل هو في ظهور أي جريمة صغرت أم كبرت في حافظة السوابق التي تقف حائلا أمامه للحصول على عمل. وهناك مثل غربي شائع "اعمل ما شئت ولكن احذر أن تضبط". وفي كثير من الثقافات الغربية إن القدرة على تفادي يد القانون الطولى خاصة في جرائم الاختلاس والسرقة يعتبر من ضروب المهارة والذكاء.

وجريمة السرقة لها تداعيات ضخمة عند وقوع كوارث طبيعية مثل السيول والعواصف والفيضانات والزلازل وما شابهها حيث إنها تؤدي إلى هلع وفوضى بين الناس، إلى جانب تقويض المباني والمنشآت. كما أنها تفرض قيودا على قوات الأمن والشرطة المشغولة بما هو أهم من السرقة بينما الملكيات مفتوحة ومعرضة للسطو عليها من عامة الناس خاصة من هم في حاجة مؤقتة أو دائمة. وكما يقال في مثل شائع "المال السائب يعلم السرقة". وفي ظل الانفلات الأمني يختلط الحابل مع النابل، وتصبح

يد القانون مغلولة، وتعجز القوانين الوضعية عن مواجهة الطوارئ، لعدم وضوحها ولسهولة الالتفاف عليها. وفي هذه الحالة لا يحول دون تفشي السرقة سوى الوازع الديني أو القانون الرادع.

ومن أمثلة الأوضاع التي تجلت فيها حكمة إقامة الحدود التي تقوم بها المملكة للحد من الجريمة ما حدث في عواقب إعصار كاترينا على الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة مدينة نيو أورليانز، حيث أدت الفيضانات وهول الأعاصير التي صحبت عاصفة كاترينا إلى انهيار جزء من المباني ونزوح الأهالي عن بيوتهم ومحال أعمالهم وتجارتهم وعرضتها للسرقة والتخريب. ولقد أدى ذلك إلى توسع أعمال شركات الحراسة الخاصة في أنشطتها وتكوين شركات حراسة جديدة لحراسة المنشآت وخاصة البنايات المكشوفة.

ومن أغرب ما ورد في أسئلة امتحان الحراس الجدد وفي كتيبات تدريبهم: سؤال افتراضي مؤداه: هل كان الناس الفارون من الإعصار سيخافون على ممتلكاتهم من النهب والسرقة، وهل كانت جرائم السرقة ستزداد أثناء هبوب الإعصار لو تبنت ولاية لويزيانا وولاية مسيسيبي وولاية ألاباما حد السرقة المعمول به في المملكة العربية السعودية، وتم تنفيذ الحد بالحزم المتبع فيها. والجواب هو "لا" لأن السارق تقطع يده بعد محاكمة سريعة، فالعقوبة غليظة رادعة لمن تحدثه نفسه بالتعدي على ملكية الآخرين.

وعلى سبيل المقارنة بالقوة الناعمة المتمثلة في تفعيل الحدود الشرعية الرادعة في المملكة اختارت شرطة مدينة نيوأورليانز بولاية لويزيانا بالولايات المتحدة الأمريكية بدعم من فرق أمن عسكرية خاصة (بلاك ووترز) استخدام القوة الغاشمة لوقف التعدي على الممتلكات فأطلقت الرصاص على جموع فارة من بيوتها الغارقة في المياه بحثا عن ملجأ يأويها من المياه الغزيرة الزاحفة عليهم، فقتل العديد من الأبرياء بينما لم تتوقف عمليات السطو التي شارك فيها بعض رجال الشرطة أنفسهم. وقد عقدت المحاكمات لضباط الشرطة الذين قاموا بإطلاق الرصاص على المواطنين الأبرياء من الفقراء على كوبري دانزيجر (Danziger Bridge) لمنعهم من الوصول إلى بر الأمان في منطقة

تجارية خوفا من أن يقوموا بعمليات سرقة.

○ القتل

إن حد القتل العمد في الشريعة الإسلامية والذي تطبقه المملكة يعتبر مثالا يحتذى به من الدول الإسلامية وغير الإسلامية للحد من جرائم القتل، رغم الدعايات المضادة من بعض الجهات الأوروبية والأمريكية التي تروج بأن حدود القتل في المملكة قاسية وغير إنسانية. والباحث القانوني المتعمق الذي يتتبع ممارسة الحدود الشرعية في المملكة والإجراءات الجنائية المختصة بالقتل في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لا يسعه إلا أن يستخلص أن تفعيل الحدود الشرعية هو من مكامن القوة الناعمة للمملكة.

فقد أوقفت جميع ولايات الولايات المتحدة الأمريكية الحكم بعقوبة الإعدام لفترة قصيرة، ولكن بعض الولايات اضطرت إلى إعادتها لمكافحة جرائم القتل العمد التي استفحلت خاصة مع تأزم الحالة الاقتصادية وميل شرائح كبيرة في المجتمع إلى العنف. أما دول الاتحاد الأوروبي فما زالت تحرم توقيع الحكم بالإعدام على القاتل مهما بلغت بشاعة جريمته، مستعيضة عنها بأحكام طويلة في السجن عادة ما تكون لمدى الحياة. وذلك بدعوى أن القصاص بالإعدام عملية غير إنسانية وتوريط للحكومة بممارسة القتل مثلها في ذلك مثل المجرمين والسفاحين.

وبالطبع هناك خلاف منذ زمن بعيد على أي العقوبتين أبشع: السجن مدى الحياة أم الإعدام، حيث بدأ الجدال حول هذه القضية منذ سجن سقراط في كوة في الجبل وحواره مع تلاميذه. كما ضمن أنطون تشيكوف (Anton Chekhov) الروائي الروسي قصصه ما يؤكد على أن يوما في السجن أشد وقعا على النفس من المقصلة، بناء على دراسته لأحوال المساجين في روسيا. وإذا كان تنفيذ القصاص في القاتل المتعمد مع سبق الإصرار حرمان من الحياة فإن قضاء القاتل لبقية عمره في السجن حرمان من ممارسة الحياة الطبيعية، حتى لو كان الحبس مريحا.

وعموما فإن الهدف من القصاص ليس عقوبة القاتل والخضوع لحرفية القانون فقط فإن العقوبات عموما ذات شقين وهما الردع بما يتخلله من جانب خشن لحماية المجتمع من تفشي الجرائم، وإحقاق الحق بتعويض المجني عليه، والقصاص لأولياء الدم. وهذا

هو الجانب الناعم في القصاص. وبهذا فإن السجن مدى الحياة أو لفترة طويلة ليس فيه قصاص لأولياء القتيل. فإن الأمر لو ترك لأهل القتيل وعشيرته لقتلوا الجاني فإذا تقاعست الحكومة عن رعاية حق ولي الدم وحبس المجني بعيدا عن أيديهم ففي هذا تعدٍ على حق مشروع لهم كفلته لهم الشرائع الوضعية والسماوية كما جاء في قول الله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(سورة المائدة؛ الآية: ٤٥).

لهذا كان في القصاص حياة للمجتمع وحياة لولي القتيل إذ يقول الله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾(سورة البقرة؛ الآية: ١٧٩)؛ على أن يكون القصاص عقوبة كافية تحجز أهل القتيل عن القصاص من أهل القاتل ومن عشيرته. يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾(الإسراء؛ الآية: ٣٣) .

ويؤخذ على حكم الإعدام وأسلوب تنفيذه في بعض الدول، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، عدة مآخذ:

- أولا: أن حكم الإعدام لا يصدر عند وجود أدلة عينية قاطعة بارتكاب الجرم بل قد يرتكز على دلائل استقرائية حيث تغلب في القضايا قوة الحجة على قوة الدليل القطعي، لأن نظام المحاكم الأمريكي نظام قائم على الخصومة بين المدعي العام الذي يمثل حق الولاية ومحامي المتهم أو الجاني. بل إن الحكم بالإعدام كثيرا ما يعتمد على كفاءة محامي الإدعاء وعلى الأصول العرقية للمتهم بارتكاب جريمة القتل. وبهذا فكثيرا ما يصدر الحكم بالإعدام على برئ.
- ثانيا: لا يعتبر القتيل أو أهله طرفا من أطراف النزاع في المحكمة، وبهذا فليس لهم من يمثلهم في المحكمة. وفي هذا إجحاف بأولياء الدم.
- ثالثا: لا ينفذ حكم الإعدام قبل استنفاد كل أوجه الاستئناف والطعن في الحكم والالتماس بالعفو عند الحاكم، وهذا قد يستغرق عشرات السنين التي يقضيها

المحكوم عليهم في جناح المحكوم عليهم بالموت. بل إن التعليمات بإرجاء التنفيذ قد تصدر خلال إجراءات التنفيذ. وفي هذا تعذيب للمحكوم عليهم بالإعدام حتى إن بعضهم يفضل التنفيذ على التأجيل ويلتمس التنفيذ المبكر.

- رابعا: إجراءات تنفيذ الإعدام طويلة حيث إن طريقة التنفيذ تتوخي تخفيف الألم الجسدي مع التجاهل التام للألم النفسي.

أما في الولايات التي ألغت حكم الإعدام وفي البلاد التي ليس فيها قانون يبيح الإعدام فيلجأ غالبية القضاة إلى الحكم بالسجن المؤبد أو السجن مدى الحياة حتى في حالة تهافت أدلة الإدانة، حيث إن إبقاء المتهم على قيد الحياة بعد إدانته يمنحه الفرصة للبراءة إذا ظهرت أدلة على براءته. وفي حالة أصحاب السوابق في جرائم العنف، هناك مقولة شهيرة لأحد قضاة المحكمة الدستورية العليا، "إن المتهم لو كان بريئا في هذه القضية فلا بد أنه ارتكب جريمة أخرى مماثلة يجب أن يعاقب عليها".

مقارنة بذلك النظام فإن حد القتل العمد في الشريعة الإسلامية المطبقة في المملكة يقتضي الثبوت القطعي لوقوع جريمة القتل، إلى جانب سرعة المحاكمة والتنفيذ.

وفي هذا المجال هناك مثل حي لقاض في محكمة جنائية في صعيد مصر، حيث لم تغب ذكرياته عن المنطقة حتى بعد مرور أكثر من نصف قرن على توليه الحكم في قضايا القتل الذي كان مستشريا في المنطقة بأسرها مرتبطا بتقاليد الثأر بين العائلات. كانت أحكام القاضي كلها مستلهمة من الشريعة الإسلامية حيث إن المتهم الذي يقدم لمحكمته إما مذنب بدلائل قاطعة لا غبار عليها ولا يعتريها شك فيحكم عليه بالإعدام أو برئ فيحكم له بالبراءة. ولم يكن يسلّم بالاعتراف بالجريمة دون تحقق من عدم الإكراه أو من قيام شخص لتحمل المسؤولية بالنيابة عن آخر. إلى جانب هذا كان يسعى اجتماعيا للمصالحة بين العائلات التي بينها حقوق دم. أدى ذلك إلى القضاء على كثير من حالات الثأر التي استمرت عقودا طويلة، إلى جانب ما حظي به القاضي من احترام وتقدير من المجتمع بمختلف أطيافه ومن حظوة بين العائلات المتصارعة.

والفارق بين ذلك القاضي المتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية وغيره ممن فضلوا الشريعة البونابرتية أن أولئك القضاة عزفوا عن التحقق في أدلة القتل وكانوا يكتفون

بإصدار أحكام السجن المؤبد على كل من يعرض عليهم متهما بالقتل حتى لو كانت الأدلة هزيلة وقلما حكموا بالبراءة، وكان منطقهم في ذلك أن الجاني سيلقي عقابه والبرئ لن يعدم على أقل تقدير. وكان من جراء ذلك تفشي عمليات الثأر بما في ذلك قيام عائلة القتيل بقتل القاتل في السجن.

وتوقيع عقوبة القتل الخطأ وفق الشريعة الإسلامية تتجلى فيه معالم واضحة للقوة الناعمة حيث إنه يكاد يقطع دابر القتل الناجم عن الإهمال، بينما يشيع نوعاً من التراضي بين القاتل وأولياء الدم بالعفو أو دفع الدية.

تجربة المملكة في حماية الأخلاق

إن لتجربة المملكة في حماية الأخلاق آلية فعالة وإيجابية من آليات القوة الناعمة، كما أنها وِجاء يقي من استغلال القوة الناعمة في التأثير السلبي على الشباب. فالتجربة السعودية استطاعت القضاء على كثير من مظاهر التسيب العام والخروج السافر على العرف والتقاليد على ملأ من الناس؛ امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾(سورة النور الآية ١٩).

وتجربة المملكة في حماية الأخلاق قائمة على أسلوب القوة الناعمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ انطلاقا من قول الله تعالى﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(سورة النحل؛ الآية:١٢٥)؛ وعملاً بما جاء في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾(آل عمران؛ الآية:١١٠).

وتتضمن تجربة المملكة في هذا الصدد:

- رقابة حكومية على الأنشطة المنافية للآداب العامة

- حظر دخول المواد التي تؤدي إلى الفساد أو الانحراف الخلقي إلى المملكة عبر الحدود والموانئ
- دعم البرامج التوجيهية الإعلامية وبث الخطب والأحاديث التي تدعو إلى مكارم الأخلاق.
- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تشابه الهيئة ما يسمي بشرطة الآداب في الدول الأخرى، غير أن مهمة الهيئة وقائية مقارنة بشرطة الآداب التي لا تتدخل إلا عند وقوع مخالفات أخلاقية، ومباحث الآداب التي تتعقب مرتكبي الجرائم الأخلاقية.

وفي النهج السعودي سياسة حكيمة تعتمد إجراءات وقائية تمنع من اقتراف جرائم أخلاقية في حق المجتمع أو الإخلال بالتقاليد المتعارف عليها قد تدعو إلى اللجوء إلى استخدام قوة عنيفة، على نمط ما يحدث في بلاد عديدة حيث يوجد هناك نوع من التسامح مع تجاوزات أخلاقية قد تؤدي إلى مخالفات قانونية مثل الشغب وتهديد سلامة المواطن. وذلك ناجم عن أن كثيرا من عواصم الدول الغربية يغيب عنها الإجراءات اللازمة لحماية الأخلاق. قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(سورة المائدة ؛الآيات ٧٨-٧٩).

وفي الواقع أن تجربة المملكة في حماية الأخلاق قائمة على أساس توظيف القوة الناعمة التي تشارك فيها منظمات المجتمع المدني مع مساندة قوية من الدولة. وفي هذا المجال تقول الدكتورة هبة عزت[٥]: "ومن ثم فإن الدولة الضعيفة تكون غير قادرة على تنفيذ السياسات العامة وتفتقد الاستقلالية في مواجهة النخب الاجتماعية المهيمنة. كما أن الدولة الضعيفة تفتقد وجود إدارة قائدة تمتلك السلطة الكاملة على عملية صنع القرار، كما أن أجهزتها ليس لديها المعلومات الكاملة ولا تتسم بالمهنية. ومن ثم فإن قوة الدولة ترتبط بوجود إدارة متناغمة وقوية لديها تماسك في رؤيتها لعملية صنع السياسات، ولديها مهارة توظيف المنهج التفاوضي والتشاركي عند اتخاذ القرار. كما أن هذه الإدارة القوية تمتلك المعلومات الكافية بداخلها".

وقد كتب عالم الاقتصاد السويدى جونار ميردال[٢٨] (Gunnar Myrdal)- الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد لعام ١٩٧٤ - عن مفهوم "الدولة الرخوة" أو الدولة الناعمة في تحليله لنماذج التنمية في آسيا، واصفا الدولة الرخوة بأن من صفاتها أنها تصدر القوانين ولا تطبقها، "لأنه في الدولة الرخوة لا تجد من يحترم القانون فيعم الفساد فتفقد الدولة مكانتها". وهذا هو الوضع الشائع في العديد من الدول الكبرى والقوية في مواجهة الأزمات الأخلاقية التي تلم بمجتمعاتها. ولو أنها تبنت النموذج السعودي لأغنت نفسها كثيرا عن تداعيات غير محمودة العواقب.

وقد أكد الدكتور الشبيلي[٢٢] في كتاباته عن المملكة ونظرية القوة الناعمة على أنه في لغة السياسة وعلوم الاتصال ومدارس الأخلاق من ركائز القوة ما قد يتفوق على القوة الخشنة كسياسة للردع؛ ثم ما لها من تأثير في اجتذاب الشعوب وتشييد جسور التواصل بينها. هذا وإن كان استثمار القوة الناعمة لأي دولة "لا ينبغي أن يكون بديلاً عن التسلح لحفظ الأمن بالقوة الرادعة التي تمنع عنها الأطماع والعدوان".

وتقول الدكتورة هبة عزت[٥]: إن علماء السياسة قد اتفقوا على أن الدولة هي الإطار الذي يتوج البنيان الاجتماعي منذ حقبة الفلسفة اليونانية مرورا ببزوغ الفكر الإسلامي ووصولا إلى الفكر الحديث، حيث استقر القول بأن اكتمال الإنسان الأخلاقي لا يتم إلا في ظل الدولة، ومن هنا استمدت طبيعتها التي تنفرد بها وسيادتها على جميع أشكال التجمعات الأخرى. فالدولة في أحد التعريفات المستقاة من نظريات العقد الاجتماعي والمستلهَمة من تاريخ الفكر السياسي الإسلامي "نظام معياري للقيم العامة في المجتمع". وهذا التعريف يعلو بمفهوم الدولة على كونها مجرد كيان مؤسسي وبنية قانونية وإدارية وسلطة حاكمة. لهذا "لم يكن غريبا أن تسعى الدولة القومية إذن لأن تكون فاعلا أخلاقيا كي تكون لها الهيمنة على المرجعية السياسية وتنزعها من المؤسسات الدينية من ناحية والاجتماعية من ناحية أخرى، وتؤسس بذلك سيادتها في مواجهة جميع الأطراف في الداخل والخارج، محتكرة المجال الرمزي والثقافي بقدر ما احتكرت أدوات القوة".

وتؤكد الدكتورة هبة عزت على أن قدرة الدولة تعني بالأساس القدرة على تنفيذ الأهداف الرسمية، والتعبير عن مصالح القوى الاجتماعية، وهذا مخالف للتصور

الشائع بأن الدولة تستمد قوتها من التغلب على المعارضة القوية. ومن ثم فإن العلاقة بين الدولة والمجتمع هي نتاج التفاعل بين الفاعل القومي والفاعل الاجتماعي والأخلاقي رغم أن العلاقة بينهما غير متكافئة.

ويقول أبو رمان[١٢] إنه إذا "كانت هناك قيم إنسانية- كونية يفتخر بها الأمريكيون، فالإسلام نفسه يقوم على منظومة قيم إنسانية والخبرة الإسلامية حافلة بذلك"، هذا فضلاً عن التراث الفلسفي الهائل، الذي يضيع اليوم، ويصبح بلا قيمة في بناء البعث الحضاري الإسلامي. ويرى أن "الفشل الأخطر هو فشل العقل العربي المسلم اليوم في تجديد رسالة الإسلام وتقديمها للعالم بصيغتها الإنسانية الأخلاقية، وفي عكس أبعاد هذه الرسالة في الحياة اليومية، وفي سلوك المسلمين وممارساتهم الأخلاقية والعقدية والاجتماعية".

وبذلك ضاعت القوة الإسلامية الناعمة في زحمة تسييس الدين عندما فشلوا في تجديد رسالة الإسلام وتقديمها للعالم بصيغتها الإنسانية والأخلاقية. والواقع أن المفكر المغربي طه عبدالرحمن لم يذهب بعيدا عندما اعتبر أن من آفات العمل الإسلامي المعاصر تغليب الجانب التسييسي على الجانب التأنيسي. ويؤكد أبو رمان على أن في ذلك إهداراً للرسالة الإنسانية للإسلام، ويرى أن "كفاحية الدعوة الإسلامية لا تكمن فقط في السياسة أو الصراع المباشر، بل في بناء إنسان الحضارة الفاعل، وفي بناء مجتمعات تؤمن بالتقدم والصناعة والتطور، وفي ترسيخ أخلاقيات الإسلام ورحمته وقيمه العليا على أرض الواقع".

كما يضيف أبو رمان أن "ثمة ظلم كبير يقع على الإسلام والقرآن اليوم من قبل المسلمين أنفسهم، ويكمن ذلك في تغييب هذه القوة الناعمة الهائلة، التي لا بد من البدء فوراً في بنائها وتدشينها، وقبل ذلك وضع خريطتها التي تعيد المسلم إلى دورة التاريخ والحياة، بعد أن أثبتت تقارير التنمية الإنسانية العربية والتقارير الدولية أنّنا خارج هذه الدورة، وأنّ المشكلة لا تقف عند تخوم السياسة وحدها". ويرى أن المقدمة لذلك كله العودة إلى آية حكيمة من القرآن الكريم ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴿١١﴾﴾(سورة الرعد الآية: ١١) اتخذها ابن باديس ومن ورائه مالك بن نبي وجودت

سعيد كشعار رفعوه "ليكون عنواناً لرد الاعتبار للفرد المسلم بصفته الركن الرئيس في القوة الناعمة الإسلامية العالمية".

كما أن حماية الأخلاق في المملكة ستحول دون توجيه القوة الناعمة الكامنة في المملكة إلى أهداف غير حميدة سواء في الداخل أو الخارج. وبهذا فإن تحلي الساسة والمسؤولين بمكارم الأخلاق فيه حماية لتوظيف القوة الناعمة فيما فيه صلاح الأمة.

الحوار وأثره في الأمن الفكري

إن التطرف الفكري ظاهرة تاريخية تعاني منها المجتمعات البشرية في كل مكان؛ بعضها تطرف ديني أو عرقي، والشاهد على ذلك مذبحة جزيرة أوتويا (Utoya) بالنرويج في يوليو ٢٠١١ التي راح ضحيتها عشرات المواطنين، والتي قام بها أندرز بيرينج بريفيك (Anders Behring Breivik) وهو شاب يميني متطرف ينتمي لمجموعة مسيحية متعصبة؛ وذلك بدافع العصبية للجنس الأبيض الاسكندنافي إحتجاجا على فتح باب الهجرة والتعامل السلمي مع أجناس وأديان مختلفة.

كذلك قيام تيموثي ماكفاي (Timothy McVeigh) وتيري نيكلز (Terry Nichols)، من اليمين المسيحي المتطرف، بتفجير مبني الحكومة الفدرالية في مدينة أوكلاهوما (Oklahoma City) بالولايات المتحدة الأمريكية الذي راح ضحيته المئات من المواطنين ما بين أطفال وكبار السن وشباب وشيبة. وكان التفجير انتقاما من الحكومة على لجوئها إلى العنف في التعامل مع الدكتور راندي ويفر (Randy Weaver) الذي اعتزل الناس هو وعائلته في جبال روبي ريدج (Ruby Ridge) بولاية أيداهو (Idaho) ورفض دفع ضرائب لاستغنائه عن خدمات الحكومة، وحيازته على أسلحة دون ترخيص، وقد أدت مواجهته مع مكتب التحقيقات الفدرالي إلى مقتل زوجته الحامل وطفله. هذا إلى جانب قيام الجهات الفدرالية بمحاصرة مقر أعضاء فرع الداوووديين (Branch Davidian) التابعين لمدعي النبوة ديفيد كوريش (David Koresh) سنة ١٩٩٣ في ويكو (Waco) بولاية تكساس؛ ثم مداهمته مما أدى إلى انتحار من في المقر وحرقه. وقد قامت السلطات باستخدام القوة المفرطة بذريعة وجود نساء وأطفال مكرهين على اتباع الفرقة الدينية التي أنشأها كوريش بدلا من الحوار

والمناصحة.

في المقابل فقد اتخذت المملكة منهج الحوار وبرنامج المناصحة في التعامل مع التطرف والمغالاة والأفكار المغايرة للفكر المعتدل السائد فيها. بل شجعت بصورة عملية دور الحوار بين الأديان والثقافات على وجه العموم. ويقول الدكتور الشبيلي[٦] إنه رغم ما عرف عن المملكة بأنها بلاد محافظة دينيا واجتماعيا فإنها توجهت بقدر يثير الإعجاب من الجرأة والثقة والإقدام لتبني دعوة لحوار الثقافات والأديان بين شعوب العالم. بل إن المناصحة أصبحت عنصرا مكملا في سمات سياستها الداخلية، والدعوة إلى الحوار صارت جزءا متمما لنشاطها وعلاقاتها الدولية.

ومن الشواهد على ذلك التوجه أنه في يوم الأربعاء الأول من شهر ربيع الآخر ١٤٣١هـ رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود انطلاق المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية في دورته الخامسة والعشرين. وشاركت الجمهورية الفرنسية في جنادرية ٢٥ كضيف شرف المهرجان وشمل النشاط الثقافي العديد من الندوات والمحاضرات التي كان من أبرزها ندوة حول رؤية الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار، والسلام وقبول الآخر، ومحاضرة عن القيم الإنسانية المشتركة أساس لتعايش الشعوب وحوار الثقافات.

مكافحة الإرهاب بالمناصحة والرعاية

ولقد كانت مصداقية المملكة وعلاقاتها الناعمة على المحك عقب أحداث تفجير مركز التجارة العالمي بنيويورك في سبتمبر ٢٠٠١ وتأثيراتها السلبية على الولايات المتحدة الأمريكية وما تعرضت له المملكة خاصة من حملات هجومية وما ألم بها كغيرها من دول العالم من الإرهاب، لكنها، وفق ما قال الدكتور الشبيلي[٢٢] "استطاعت التعامل بحزم وحكمة مع الموقفين وهو ما أثار إعجاب العالم من خلال تبني المملكة لمنهج تربوي إصلاحي إلى جانب حوار الثقافات والأديان بين شعوب العالم وهي واحدة من المبادرات التي لا ينبغي أن تمر دون أن نستعرضها بميزان التأمل والتحليل".

وقد وصف السفير السعودي في اليابان الدكتور عبدالعزيز تركستاني[٢٩] منهج

المملكة في محاربة الإرهاب بأسلوب القوة الناعمة، مشيرا إلى أن "القيادة السعودية لا تتهاون في التصدي للإرهاب بكل ما أتيح لها من إمكانيات أمنية، ولكنها تنتهج بذات الوقت الحوار مع الشباب الضال والمغرر بهم لتصحيح المفاهيم الدينية المغلوطة التي زرعتها القيادات الإرهابية فيهم، وهو ما أثمر عن نجاحات على هذا المستوى اعترفت بها كل دول العالم".

وفي هذا الإطار؛ صدرت دراسة مفصلة قامت بها مؤسسة "كارنيجي" للسلام الدولي[٣٠] (The Carnegie Endowment for International Peace)، في مطلع سبتمبر ٢٠٠٨، تناولت الاستراتيجية "الناعمة" التي اتبعتها الحكومة السعودية لمكافحة الإرهاب وكانت الدراسة حصيلة حلقة نقاش تحدث فيها كل من "كريستوفر بوشيك" (Christopher Boucek)، من المعهد الملكي للدفاع والدراسات الأمنية في لندن، والسفير "ديل ديلي" (Dell L. Dailey)، منسق مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية الأمريكية، وباحثون من مركز كارنيجي من بينهم مارينا أوتاوي (Marina Ottaway). وأشارت الدراسة إلى أن الاستراتيجية السعودية انطلقت من قناعة سعودية مفادها أنه لا يمكن إلحاق الهزيمة بالتطرف من خلال الوسائل الأمنية التقليدية وحدها، بل لابد من خوض "مواجهة فكرية" معه. تلك المواجهة اعتمدت على ثلاثة مقومات رئيسة هي:

- **الوقاية**: اعتمدت السعودية مئات من البرامج التي تهدف إلى توفير الوقاية، وتشمل هذه البرامج نشاطات لتثقيف الجمهور في شأن الإسلام الراديكإلى ومخاطر التطرف، إضافة إلى تحييد الميل إلى التطرف عن طريق توفير البدائل. وتهدف كثير من هذه البرامج، التي تطبق من خلال "إدارة الإرشاد" في وزارة الداخلية، إلى مواجهة التطرف من خلال تشجيع ونشر تفسير للعقيدة الدينية هو أكثر حصافة وخلوا من التكفير ومستمد من الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الغراء.
- **إعادة التأهيل**: يشكل برنامج الإرشاد(المناصحة) لب الاستراتيجية السعودية لإعادة التأهيل، ويهدف إلى إعادة تأهيل وتثقيف المتطرفين والمتعاطفين معهم، من خلال نقاشات دينية مكثفة ونصائح نفسية لفك ارتباطهم بالتطرف،

ولتشجيع المتطرفين على إدانة "المعتقدات الإرهابية" والتي لا تستند إلى دليل شرعي، وخصوصا عقيدة التكفير. ولا يقوم برنامج الإرشاد على فلسفة الثواب والعقاب، بل على فرضية "الميل إلى فعل الخير"، بمعنى أن الدولة لا تسعى إلى الانتقام من المتطرفين، من خلال هذا البرنامج، ولكنها تنطلق من قناعة لديها أن المشتبه فيهم تعرضوا للكذب والتضليل من جانب المتطرفين كي ينحرفوا عن الإسلام الحقيقي، ومن منطلق أن المتطرفين يؤثرون سلبا على الأشخاص الذين يرغبون في معرفة المزيد عن دينهم، ومن ثم يفسدونهم من خلال احتكاكهم بأيديولوجياتهم المتطرفة، ولذلك يقدم الإرشاد بوصفه مساعدة لضحايا الميل إلى التطرف لا عقوبة للمخالفين.

- **برامج النقاهة**: تتكوّن برامج النقاهة التي تشرف عليها وزارة الداخلية من مبادرات عدة، من بينها برنامج انتقالي للمعتقلين من أجل تسهيل عودة انخراطهم في المجتمع، وبرامج لإعادة دمج العائدين من معتقل جوانتانامو، وسياسات تساعد في الحيلولة دون قيام المعتقلين الذين يطلق سراحهم بارتكاب جرائم جديدة.

وفي الواقع أن برنامج المناصحة حقق نجاحات كبيرة في مجال الحرب ضد الإرهاب. ولقد أشار على رشيد[٣١] إلى أن التجربة السعودية في مجال مكافحة الإرهاب حظيت باهتمام كبير من قبل العديد من مراكز الأبحاث الغربية والمسؤولين الغربيين، حيث إن النجاح الكبير الذي حققته لا يعود إلى اتباع المملكة نهجا أمنيا صارما في التعامل مع الإرهابيين، بل يعود ذلك في جانب كبير منه، إلى الاستراتيجية الناعمة التي انتهجتها المملكة، والتي تتعامل مع الإرهاب من منطلق رؤية شمولية تأخذ في الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للظاهرة الإرهابية.

وبالنسبة للبرامج الوقائية فقد روى رشيد أن الحكومة السعودية اتخذت عدة خطوات عملية:

- استحداث نشاطات لإشغال الشباب الذين هم أكثر الفئات انجذابا للمتطرفين بالاندماج في المناسبات الرياضية وسباقات السيارات والجمال، والنزهات في الصحراء بواسطة سيارات الدفع الرباعي.

- قيام وزارة الثقافة والإعلام بسلسلة من المشروعات للوقاية من الإرهاب، بعضها للشباب وبعضها الآخر للكبار، مستخدمة في ذلك التلفزيون والصحف ووسائل الاتصال الأخرى، علاوة على إعارة الخبراء للمدارس والمساجد للحديث عن مخاطر التطرف.
- قيام وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بتنظيم محاضرات ودروس بالمساجد في كل أنحاء البلاد، بالإستعانة بالعلماء.
- قيام وزارة التربية بتنظيم محاضرات وبرامج في مدارس المملكة لتعليم وتحذير التلاميذ في سن مبكرة من مخاطر التطرف وآثار الإرهاب والعنف، من خلال توزيع الكتب والنشرات والمواد التي تهدف إلى تنوير آباء التلاميذ وعائلاتهم.
- استمرار البرامج والنشاطات المختلفة في المدارس السعودية بصورة دورية، أسبوعية أو يومية، والتي تهدف إلى تقليص الدعم العلني والسري للتطرف بآلاف المدارس في كل أنحاء المملكة.

كما قامت الحكومة السعودية بتنظيم حملة شاملة للمعلومات العامة والتوعية والاتصال مثلت جانبا أساسيا من البرنامج الوقائي السعودي، وذلك لتعزيز التعاون بين الدولة والجمهور، وتسليط الضوء على الضرر الذي يتسبب فيه الإرهاب والتطرف، ووضع حد لدعم الجمهور وتسامحه مع المعتقدات المتطرفة. ولعل أهم معالم الحملة لافتات ولوحات وضعت في أنحاء المدن الرئيسة، حيث علقت على المفارق والتحويلات في الطرق الرئيسة بهدف تعزيز التعاون بين الشرطة وضباط الأمن العام من جانب وبين الجمهور من جانب آخر، ولفت أنظار المواطنين السعوديين إلى المذابح التي سببتها الهجمات الإرهابية، فضلا عن كشف حقيقة المتطرفين والمتعاطفين معهم بوصفهم أغرابا لا يعملون لمصلحة الناس بل لخدمة أجنداتهم الخاصة؛ وتضمنت اللوحات التي تركز على شرور الإرهاب:

- شعارات مثل "ديننا يرفض الإرهاب".
- صور للفظائع التي ارتكبتها الجماعات الإرهابية جنبا إلى جنب مع صور المصلين وهم يصلون داخل الحرم المكي.

- صور التقطت من مواقع بعض الهجمات وصور أخرى لحطام سيارات مفخخة.

وبالنسبة لبرنامج إعادة التأهيل أشار رشيد إلى قيام الحكومة السعودية بتكوين "اللجنة الاستشارية" في وزارة الداخلية برئاسة الأمير محمد بن نايف، ويتبعها أربع لجان فرعية هي:

١) **اللجنة الدينية**: تعتبر اللجنة الدينية أكبر اللجان الفرعية، حيث إنها تتألف من ١٥٠ عالما سعوديا وأستاذا جامعيا.

٢) **اللجنة النفسية والاجتماعية**: تتكون من حوالي ٥٠ من علماء النفس والأطباء النفسانيين وعلماء الاجتماع والباحثين، وهم مسؤولون عن تقييم الوضع الاجتماعي للسجين، وتحليل أي مشكلات نفسية يعانيها، وتقييم سلوك السجين وطواعيته، ومشاركة المحتجز، في محاولة لتقرير ما إذا كانت عملية إعادة التأهيل تؤتي ثمارها أم لا؟ كما أنها مسؤولة عن تقرير نوع الدعم الذي قد يحتاجه المحتجز وعائلته بعد الإفراج عنه، لتعويض المصاعب التي تسبب فيها سجنه وتقليص فرص تحول أفراد آخرين من عائلته إلى التطرف.

٣) **اللجنة الأمنية**: تؤدي اللجنة عددا من الوظائف، منها تقييم السجناء طبقا للمخاطر الأمنية التي قد يشكلونها، وتقديم توصيات بشأن الإفراج عنهم، عبر الاستعانة بمعلومات من اللجنة الدينية، واللجنة النفسية والاجتماعية. وتقدم اللجنة أيضا المشورة إلى السجناء في شأن كيفية التصرف عند الإفراج عنهم، وكيفية تجنب الوقوع في الأخطاء مستقبلا. كما تعمل على مراقبة المحتجزين بعد مغادرة السجن حيث يتم إبلاغ خريجي البرنامج، ممن سيفرج عنهم قريبا، بأنه ستتم مراقبتهم سرا وعلانية.

٤) **اللجنة الإعلامية**: تأخذ اللجنة على عاتقها توفير المواد الخاصة ببرنامج الإرشاد، إلى جانب المواد التعليمية الأخرى لاستخدامها في المدارس والمساجد، ويتم توصيل القسم الأكبر من عمل اللجنة إلى عامة الناس عبر المساجد وبعض الفعاليات، كالمحاضرات والحلقات الدراسية التي تُعقد في

المساجد. وتقوم اللجنة بتوفير الكتب والنشرات والمواد الأخرى المستخدمة في البرنامج، كما تساهم بالتنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ووزارة التربية، في تنظيم المحاضرات في المساجد والمدارس.

ويقوم أعضاء اللجان بزيارة السجون في أنحاء البلاد ويلتقون مع المحتجزين فيها ولا ينتهي دورهم بعد خروج المعتقلين من السجون حيث يبقى أعضاء كل من اللجنة الدينية واللجنة النفسية والاجتماعية على اتصال مع خريجي البرنامج، وتستمر الزيارات الدورية من قبل أعضاء اللجنة الاستشارية للمشاركين السابقين في البرنامج لضمان أن تسير الأمور كما هو مخطط لها وللتأكد من عدم وجود أية مشاكل.

وبالنسبة لمرحلة النقاهة أشار رشيد إلى قيام الحكومة السعودية بتسهيل عودة السجناء إلى المجتمع وانخراطهم فيه وذلك بنقل الذين اجتازوا عملية إعادة التأهيل بنجاح وحازوا رضا الشيوخ والأطباء وعلماء النفس المسؤولين عن البرنامج، إلى "مركز الرعاية لإعادة التأهيل"، وهو مركز متخصص خارج السجن يضاهي ما يسمي ببيت منتصف الطريق (half way house) في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث إنه يعتبر مرحلة انتقالية بين السجن وإطلاق السراح؛ ويتميز بالخصائص التالية:

- يوفر المركز بيئة مختلفة تماما عن بيئة السجن، فعلى سبيل المثال تتاح للسجناء إمكانية التمتع بساحات عشبية والخروج إلى الهواء.
- حراس المركز لا يرتدون اللباس الرسمي الموحد، وغالبا ما يختلطون مع المشاركين في البرنامج ويشاركونهم بعض أنشطتهم.
- توجد هواتف تتيح للمعتقلين التحدث إلى عائلاتهم على مدار الساعة.
- يقيم المعتقلون فيه، لمدة تتراوح عادة بين ثمانية واثني عشر أسبوعا.
- يمكن الإفراج عن المعتقلين بشكل مؤقت ليوضعوا تحت رعاية عائلاتهم.
- زيارة العائلات لأبنائها مسموح بها.

ويشير رشيد[٣١] إلى أن الدعم الاجتماعي لا يتوقف بعد الإفراج عن المعتقل من

"مركز الرعاية لإعادة التأهيل"، بل يجري تلبية حاجاته الاجتماعية على وجه السرعة قبل أن تتحول إلى مشاكل تؤرقه، وذلك للحيلولة دون حصول انتكاسة. "وعندما يتم التأكد من أن هذا المعتقل قد تراجع عن المعتقدات التي كان يتمسك بها في السابق، يتم تقديم المساعدة له للحصول على عمل، وعلى بعض المنافع الأخرى، من بينها علاوات حكومية إضافية وسيارة وشقة، كما تساعد وزارة الداخلية أولئك الذين كانت لديهم وظائف حكومية في السابق على العودة إلى تلك الوظائف".

وقد بدأت اللجنة الاستشارية مؤخرا بالعمل مع غرف التجارة والمؤسسات الأخرى لافتتاح دورات تدريبية للمشاركين في البرنامج؛ "حتى يصبح الموقوفون قادرين على تعلم المهارات والحصول على المؤهلات وهم لا يزالون خاضعين لبرنامج إعادة التأهيل أو الاستتابة. ويتم تشجيع السجناء الذين تم تأهيلهم على الاستقرار والزواج وإنجاب الأطفال، لأن الشباب عادة يكونون أقل استعدادا للانخراط في المشاكل بعد أن تصبح لديهم مسؤوليات عائلية. وقد سهلت الحكومة هذه العملية عبر المساهمة في تمويل حفلات الزفاف والتبرع بالمهور، وتغطية النفقات الضرورية للزواج مثل تأمين الأثاث وتجهيز المسكن".

واختتمت دراسة كارنيجي[٣٠] بتقييم لبرنامج الإرشاد الذي تقوم به الحكومة السعودية وإبداء بعض الملاحظات على الاستراتيجية الناعمة التي اتبعتها السعودية:

- أولا: يبرز البرنامج الإرشادي عددا من العوامل ربما تكون جوهرية في أي جهود لفك ارتباط الإسلاميين المتشددين بالتطرف، ومن بين هذه العوامل انخراط عائلة الفرد المعني وشبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة به في عملية إعادة تأهيله.
- ثانيا: أن يعتمد نجاح برنامج إعادة التأهيل، في جزء منه أيضا، على إدراك أن كون الشخص متطرفا لا يعني أنه سيئ بالفطرة.
- ثالثا: من المؤكد أن الاهتمام ببرامج التأهيل سوف يتزايد، وسط الأحوال الخطرة السائدة هذه الأيام، وكثير من الدول سوف تنفذ برامج على النمط المعمول به في المملكة العربية السعودية، حيث تعتبر العملية السعودية أفضل

برنامج مضاد للتطرف في العالم من حيث الشمولية والتمويل والاستمرارية. ويدل على ذلك أن سنغافورة حين بدأت برنامجا لمكافحة التطرف، اعتمدت جزئيا في عملها على النموذج السعودي.

ويشير رشيد[٣١] في تقييمه للبرنامج السعودي الناعم لمجابهة الإرهاب إلى أن حملة إعادة التأهيل وفك ارتباط المتشددين بالتطرف منذ بدئها عقب الهجمات الإرهابية في الداخل السعودي عام ٢٠٠٣ م إلى أن البرنامج حقق حتى الآن نتائج مبشرة، إذ تقدر السلطات السعودية نسبة النجاح من ٨٠٪ إلى ٩٠٪، وتشمل نسبة الفشل أولئك الموقوفين الذين رفضوا المشاركة في البرنامج، إضافة إلى الذين لم ينجحوا في برنامج إعادة التأهيل.

وقد أوضح المدير العام لإدارة مركز الأ مير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية في تصريحات لجريدة المدينة [٣٢] إنجازات المركز منذ إنشائه فيما يلي :

- قام المركز بمناصحة فردية لما يقارب ٨٠٠٠ مستفيد،وبلغت نسبة نجاح معالجة المستفيدين ٩٢٪. وبلغت نسبة رفض تقبل المناصحة حوالي ٠,٥٪، وبلغت نسبة الرافضين لمقابلة الناصحين حوالي ٧,٥٪.
- استفاد ما يقارب ٢٣٣٦ سجيناً من برنامج المناصحة حتى الآن فيما كانت نسبة العودة محدودة (١٢ شخصاً) أي نسبة ٠,٦١٪.وأشـار إلى أن نحو ٥٤٧٠ أسرة استفادت من برنامج الأسرة التي أنشأها المركز،فيما بلغ عدد المستفيدين من برنامج رعاية الخريجين نحو ٣٣٦٠ مستفيداً وذلك للدراسة الجامعية.
- قام المركز بمناصحة ورعاية ١١ إمرأة من أفكار التطرف وتصحيح عقيدتهن عبر فرع المناصحة النسوية التابع له والذي تعمل فيه نساء مؤهلات تأهيلا أكاديمياً.
- قام المركز بمناصحة ٢٢ أسرة ممن هم خارج السجن وذلك بعد أن تبين أن هناك خللاً من أفراد الأسرة وقد يؤثر على الأبناء.
- أفاد المركز نحو ٥١ جنسية كانت مقيمة في المملكة.

ومن الجدير بالذكر أن المركز يدعم المطلق سراحهم بمعونات مالية تجاوزت ملايين الريالات.

مواجهة فكرية للإرهاب

وعلى الرغم من أن الاستراتيجية العالمية لمكافحة الإرهاب تقوم منذ أمد بعيد على القوة الشديدة،فإن الحكومة السعودية نظرت إلى مشكلة الإرهاب من زاوية مختلفة وبطريقة إبداعية، فقد رأت أن الإرهاب مسالة فكرية أساساً،فهو فكر يتحول الى عمل، والفكر لا يقابل الا بالفكر، ومن ثم واجهت ظاهرة الإرهاب مواجهة فكرية تقوم على المناصحة والاقناع للمتطرفين والمغرر بهم وتغيير فكرهم، رغم أنها لم تغفل الحل الأمني في الحدود التي يجب أن يكون فيها بالطبع.

وقد قام الكولونيل عبد الهادي الشهري[٣٣] في دراسة بكلية حرب الجيش الأمريكية، بتحليل دوافع المسؤولين في الحكومة السعودية لاستخدام القوة الناعمة في هذا المجال، إلى جانب التعرف على العناصر التي بنيت عليها قوتها الناعمة. ولقد اشتملت استراتيجية المملكة للقوة الناعمة تعديل المناهج الدراسية، وحملة إعلامية متعددة الجوانب تضمنت حوارا شعبيا ومقابلات وحملة معلومات عامة بالوسائل المتعددة. وقد أكدت الدراسة نجاح المملكة في تبني القوة الناعمة في القضاء على ظاهرة الإرهاب في البلاد، بل إن المملكة قدمت تجربتها إلى الدول الصديقة للاستفادة منها. ومن هذا المنطلق قدم الكولونيل الشهري التوصية باتجاهين واحد يلائم البيئة المحلية في المملكة وواحد للدول الأخرى يلائم البيئة العالمية؛ غير أن المسارين متلازمان؛ هذا إلى جانب توصية ذات صبغة عمومية:

- بالنسبة للمملكة فعليها الاستمرار في حملتها على الإرهاب والسعي للحيازة على مزيد من آليات القوة الناعمة. والخطوة الأولى، وربما الأهم، هي القضاء على مسببات الفقر والبطالة والفساد، حيث إن تلك العوامل هي التي توفر المناخ الملائم للإرهابيين لتجنيد إرهابيين جدد من الشباب بصفة خاصة. كذلك يجب تكثيف الوعي الاجتماعي بأهمية الحوار والنقاش كوسيلة عملية ومفيدة.

- أمابالنسبة للدول الصديقة للمملكة، فعليها استخدام القوة الناعمة كبديل للقوة الخشنة، بحيث توظف القوة الناعمة كوسيلة لتصحيح صورة عدم العدالة التي قد يتخيلها البعض. كما أن على قادة هذه الدول أن يستجيبوا بنفس القدر الذي استجاب به المسؤولون السعوديون. وحجر الزاوية هنا هو مواجهة الخلافات ومسبباتها والسماع للناس. وعلى القادة إدخال إصلاحات على المناهج الدراسية واستخدام الوسائط المتعددة. كل ذلك بناء على تحليل دقيق لمضمون المشكلة الذي يختلف من منطقة إلى أخرى ومن وقت إلى آخر. هذا المضمون يشمل الثقافة والدين، والموارد المحلية المتاحة، وتعاون الناس المحليين، وشكاوى عامة الناس للتأكد من أن الاستراتيجية ملائمة ومقبولة ومجدية، ولتأكيد التنسيق بين النهايات الاستراتيجية وسبلها وآلياتها.
- يجب أن تصبح القوة الناعمة مجالا متخصصا للدراسة وأن تلقى اهتمام الباحثين، خاصة المجال التطبيقي منها.

تقدير دولي لبرنامج المناصحة

- كسب مركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية سمعة طيبة كبيرة على كافة المستويات المحلية والعربية والدولية لما حققه من نجاح كبير في مواجهة الفكر المتطرف وتجفيف منابعه في المجتمع بالتوجه إلى المجتمع بالمحاضرات والندوات، ودعوة الأفراد من ذوي الفكر المتشدد للمناصحة دون إيقافهم، مسجلاً نجاحاً كبيراً في إعادة عدد كبيرمن المغرر بهم والمطلوبين على قوائم أمنية إلى جادة الصواب، مما دعا بعض الدول للسعي لتطبيق فكرته.
- صرح وزير العدل الأمريكي إيريل هولدر أنه أبلغ وزير الداخلية السعودي اهتمامه ببرنامج المناصحة، مؤكداً أن بلاده قد تستفيد منه في محاربة التطرف، وقال إن زيارته للمملكه فرصة لتقويم الجهود المشتركة لمكافحة قوى التطرف. ولقد أتيحت لي الفرصة لزيارة مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية، وبناء على مالاحظته فإن هذه المؤسسة ومثيلاتها من المؤسسات الأخرىتبشر بأمل كبير في مكافحة المعتقدات المدمرة. وأكد أنه بحث مع الأمير محمد الاستعانه ببرنامج المناصحة وتطبيقه في الولايات المتحدة

لمكافحة التطرف وقال: التطرف يؤثر في الجميع، والشبان يتأثرون بالأفكار الراديكالية وينحازون إليها، وسأعمل مع المملكة على تطبيق هذا النظام في الولايات المتحدة [٣٤]. (موقع باب كوم، ١١ مارس ٢٠١٣م)

- أشاد وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس ببرنامج المناصحة الذي نجح في تحقيق ٩٠٪ من أهدافه، حيث لم يعد سوى ١٠ من المعتقلين السابقين في غوانتانامو للالتحاق بمجموعات مسلحة.وقال الوزير الأمريكي: أعتقد أن العمل الذي يقومون به في مستوى أفضل من أي برنامج آخر، وأضاف بأن البرنامج مناسب لأولئك الذين تربطهم علاقات أسرية في السعودية.

- وصفت وكالة الأنباء الفرنسية مركز الأمير محمد بن نايف للرعاية والمناصحة بأنه المركز الذي كانت المملكة أنشأته لتوها من أجل مساعدة أصحاب الفكر الضال على الانخراط مجدداً في المجتمع، وأثنت على البرنامج خلال تقرير بثته عبر لقاء مع أحد العائدين من معتقل غوانتانامو (عبدالعزيز البداح) في برنامج المناصحة الذي تقدمه السعودية.

- طبقت القوات الأمريكية في العراق برنامج المناصحة المعمول به في المملكة على المعتقلين العرب في السجون التابعة لها في بغداد والبصرة. وقال سعدي عثمان مستشار قائد القوات الأمريكية في العراق : إن برنامج المناصحة الذي طبقته الداخلية السعودية على المعتقلين مفيد جداً في إعادة هؤلاء الشباب إلى مجتمعاتهم بشكل طبيعي.(جريدة الرياض، ٢٠١٣/٣/١٢م)

- أكد عضو الكونجرس الأمريكي المسلم "كيث إليسن" عن ولاية منيسوتا، أن المملكة العربية السعودية تملك تجربة ناجحة في مكافحة الإرهاب، ولها رصيد كاف في برنامج المناصحة لذوي الفكر الضال، وأن هذه التجربة من الممكن أن يستفيد العالم كله منها [٣٥].

- أشاد رئيس المحكمة العليا البريطانية ببرنامج المناصحة الذي تقدمه وزارة الداخلية في المملكة لأرباب الفكر الضال، فقال : البرنامج جيد جدا ونتائجه إيجابية، ونعتقد أننا يمكن أن نستفيد منه بدرجة كبيرة، ولكن للأسف لا يوجد لدينا العدد الكافي من الأئمة المتخصصين في العلوم الشرعية الذين يمكنهم أن يتحاوروا مع أصحاب الفكر الضال ولكننا نقوم ببعض التعديلات بوضع

أئمة في السجون التي يوجد بها سجناء لديهم أفكار ضالة، وهؤلاء الأئمة يقومون بعملية مماثلة. وهذه الجزئية بالذات ربما تحتاج لمساعدة المملكة في هذا الخصوص [٣٦].

العمل الخيري والإغاثي والإنساني

لقد لعبت المملكة أدوارا مرموقة في مجال العمل الخيري من خلال منظمات غير حكومية إلى جانب شراكة من الجهات الحكومية المختلفة، فنظمت حملات الإغاثة إلى المناطق المنكوبة حول العالم إثر كوارث طبيعية، كما قدمت المعونات الإنسانية لمتضرري الحروب في أوروبا وآسيا وأفريقيا، إما مباشرة أو من خلال منظمات خيرية سعودية وإسلامية وعالمية. ولعل المنظمات السعودية التطوعية هي أكثر المنظمات نشاطا خاصة في العالم الإسلامي. وبينما يمكن إدراج بعض تلك الأعمال ضمن جهود لتفعيل القوة الناعمة فإن غالبيتها تجري بدافع الأريحية والمشاعر الخيرية الزاخرة التي تجيش بها نفوس المواطنين من منطلق تراثهم ووصايا دينهم.

وقد أكد الأمير نايف بن عبد العزيز[٣٧]، وزير الداخلية السابق -رحمة الله عليه- في استقباله لأمين عام الندوة العالمية للشباب الإسلامي "أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز يتابع باهتمام الجهود التي تبذلها الجمعيات والمنظمات الخيرية ومن ضمنها الندوة العالمية للشباب الإسلامي في المملكة العربية السعودية، التي تنسجم مع رسالة المملكة الخيرية والإنسانية". وأضاف الأمير نايف أن رسالة المملكة التي شرفها المولى القدير بخدمة الحرمين الشريفين "تتماشى مع النهج الإسلامي والإنساني في تدعيم العمل الخيري والإغاثي وفق ضوابط محددة وواضحة". كما كشف الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، "أن المملكة حضت الشركات على تخصيص خمسة في المائة من إيرادها للعمل الخيري" [٣٨].

وفي تقرير بدر الخريف[٣٩] عن ريادة السعودية في الأعمال الخيرية والإنسانية سجل بأن حضورها في الوقوف مع الشعوب العربية والإسلامية وشعوب العالم أجمع فيه استشعار بمسؤولياتها ودورها الحضاري الملموس، حيث إن السعودية قدمت "خلال التاريخ المعاصر الدعم المباشر والفوري للمتضررين، وقامت بنشر الرعاية الطبية

لهم وإعادة بناء الأسر التي شردتها الحروب، إضافة إلى إعادة البناء والإعمار للمناطق المتضررة في العالم، مع تقديم الدعم السياسي والمعنوي والإغاثي لكل الشعوب التي مرت بها المحن، ودعم مؤسسات المجتمع المدني في عدد من الدول للاضطلاع بدورها في تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي وتعميق أواصر الصلة بين مختلف فئات الشعوب المتضررة".

وأضاف الخريف في تقريره أن السعودية حكومة وشعبا سطرت "أروع الملاحم في تبني قضايا المسلمين، فقد شهد العقد الماضي والعقد الحالي سباقا محموما بين الدولة والمواطنين في دعم قضايا المسلمين، حتى إنه - بفضل الله ثم بفضل هذا التلاحم الرسمي والشعبي - تم انتشال الكثير من المستضعفين واحتواؤهم تحت مظلة العمل الخيري".

مساعدات سعودية للاجئين السوريين في الأردن ولبنان

وقد حرصت المملكة على تقديم المساعدات للاجئين السوريين في إطار جهودها لمساعدة اللاجئين في أنحاء العالم، حيث وجه خادم الحرمين الشريفين بإطلاق "الحملة الوطنية السعودية لنصرة الأشقاء في سوريا" والتي شملت تقديم التبرعات النقدية والعينية حيث انطلقت قافلة تتألف من ١٣ شاحنة مبردة تحمل ٣١٢ طنا من المواد الغذائية موزعة على عشرة الآف سلة تبرعاً من رجال أعمال سعوديين لتوزيعها على العائلات السورية الموجودة في عمان وجميع المحافظات الأردنية.

كما قدمت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية المساعدة والعون للنازحين السوريين في لبنان وبشكل مباشر بتقديم خدمات العلاج والدواء والطعام والسكن حيث افتتحت الهيئة قسما جديدا تم تجهيزه بالكامل في مستشفى طرابلس مكوناً من أربعين سريراً يعمل بكل طاقته ويقدم خدماته الإنسانية لعموم المرضى والمصابين السوريين بمختلف حالاتهم، كما قدمت طاولة عمليات جراحية كبرى لمستشفى الحنان الخيري بطرابلس، بالاضافة الى تقديم معدات وأجهزة طبية لعدد من المستشفيات الخيرية لاعانتهم على القيام بمهامهم الإنسانية تجاه النازحين.

قرية بابنكي تدخل في الإسلام بعد عملية فصل توائم

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال عن مدى تأثير القوة الناعمة السعودية في نشر الإسلام في العالم أن قرية بأكملها دخلت في الإسلام. (وهي قرية بابنكي في جمهورية الكاميرون) بعد نجاح عملية فصل توائم لطفلين من أبناء هذه القرية. وقد أجريت هذه العملية في مدينة الملك عبدالعزيز الطبية للحرس الوطني في الرياض عام ١٤٢٨ هـ وكان خادم الحرمين الشريفين قد قام في حينه بزيارة أبويه حانية للتوأم الكاميروني. وكان من تأثير هذه اللفتات الإنسانية أن دخل والدا الطفلين في الإسلام، وتبعهما معظم سكان هذه القرية البالغ عددهم ١٢٠٠. وأصبح في القرية الآن جامع كبير ومركز إسلامي ومدرسة ابتدائية ومستوصف . وقد استضافت المملكة ٣٠ حاجاً من أبناء هذه القرية ضمن ضيوف خادم الحرمين الشريفين في موسم حج ١٤٣٢هـ.

ولقد تطرق الدكتور الشبيلي[٤] "إلى عمليات فصل التوائم التي أجريت في مستشفيات المملكة التي امتدت إلى أطفال بولندا، وإلى أعمال حفر آبار مياه في أعماق الصحراء في أي من أدغال إفريقيا، وأشياء أخرى كثيرة ثقافية ودعوية مستنيرة كلها تلفت الأنظار إلى رسالة المملكة في إشاعة التسامح والأخوة والسلام بين الشعوب، وكيف يمكن لهذه العلائق الإنسانية أن تكون ذراعا يحمل المودة والتآلف بشكل أبلغ وأقل كلفة أحيانا في ميادين العلاقات الدولية".

برامج التطوع الدولية

يرى الدكتور العثيمين[٨] أن الأعمال الخيرية والإغاثية والإنسانية والتطوعية " أذرعة تستخدمها جميع الدول لمدّ نفوذها الناعم عبر القارات". وضرب مثلا بالأعمال التطوعية المؤسساتيّة الناجحة والمؤثّرة التي اضطلع بها المجتمع المدني على نطاق عالمي بدعم مباشر من حكوماتهم: أطباء بلا حدود، ومحامون بلا حدود، ومنظمة أوكسفام (Oxfam). وقبل عدة عقود أطلق الرئيس الأمريكي الأسبق جون كندي (John F. Kennedy) مبادرة المنظمة التطوعية العالمية، فيالق السلام (Peace Corps)، التي "أقبل الشباب الأمريكي على الانخراط فيها، لتقديم خدمات اجتماعيّة وإنسانيّة وتنموية وتعليمية في دول العالم الثالث؛ حيث انخرط فيها قرابة ١٩٠،٠٠٠

متطوع، ذهبوا إلى ١٣٩ دولة للمشاركة في قضايا إنسانيّة وصحيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وإغاثيّة. ويرى الدكتور العثيمين أن "خلف كل هذه المناشط هدف وحيد مُعلن وهو: المساعدة على أن تطل الشعوب الأخرى على الولايات المتحدة الأمريكية، وأسلوب الحياة فيها، ونشر قيمها، وفهمها"، ولا يخفى على لبيب الهدف النهائي لكل هذه الجهود! وهو نشر القوّة الناعمة" للولايات المتحدة الأمريكية "حول العالم بوسائل ناعمة ومغرية ومحبّبة للشعوب".

ولما كانت الأعمال التطوعية من العناصر الأساسية الميسورة لاستثمار القوة الناعمة فإن بإمكان المملكة أن تشارك في مجال التطوع الدولي بكثافة عالية، حيث إن العمل التطوعي من خصال شباب المملكة، وهناك العديد منهم يتطلع إلى المشاركة في فرص للتطوع خاصة في الدول الإسلامية التي هي في أمس الحاجة للمساعدة في مجال التنمية والتطور. ثم إن الوقت يعتبر ملائما في الوقت الحاضر لإحداث ثورة في المجال التطوعي الدولي الذي يمكنه أن يحقق نتائج مبهرة حتى عند مقارنته بالبرامج الأخرى التابعة للحكومة الأمريكية في إطار استخدام "القوة الناعمة". ويتم ذلك من خلال إقرار سياسات ترمي لتعزيز البرامج القائمة بالفعل وإثارة الوعي العام بالبرامج التطوعية في الخارج وتحديد مستوى كفاءة هذه البرامج؛ لأن هذه البرامج تمثل طريقة ذكية لترسيخ جذور المملكة في هيكل هذا العالم الآخذ في التغير بسرعة.

ويشير ليكس ريفل، وسارة زالود[٤٠]، إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية وبصورة عامة تسعى للاضطلاع بدور قيادي من أجل حماية مصالحها القومية الحيوية، وفي الوقت ذاته تسعى إلى التعاون بصورة فعالة مع الدول الأخرى باعتبارها شريكة لها، إذ تتطلب التحديات العالمية القائمة، خاصة الفقر، اتباع سياسات جديدة لتعزيز التعاون والتفاهم المتبادل مع مواطني الدول الأخرى. وقد كشفت السنوات الأخيرة عن مساوئ العمل الفردي أو في إطار تحالفات صغيرة.

ومما لا شك فيه أن العمل التطوعي بالخارج يعد أحد صور "القوة الناعمة" التي تسهم بصورة كبيرة في تغيير الصورة النمطية للسعودية في نظر غير المسلمين، وفي تعزيز منزلة المملكة في قلوب المسلمين، حيث يمكن للمتطوعين العاملين بالدول

الأخرى توطيد علاقات طويلة الأمد مع أبناء هذه الدول، وتعزيز إمكانية التفاهم بين الثقافات بدرجة تعجز غالبية البرامج الأخرى ذات التمويل السعودي عن تحقيقها، كما ينقل هؤلاء المتطوعون إلى المملكة قدرا كبيرا من التفهم تجاه الثقافات الأجنبية، ويسهمون في بناء القدرة المؤسساتية ورأس المال الاجتماعي، وهو ما يساعد على جعل العالم أكثر تقديرا وتفهما بالنسبة للمملكة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وبمقدور المنظمات غير الحكومية والشركات التحرك من تلقاء نفسها لتوسيع نطاق برامجها التطوعية الدولية وزيادة مستوى كفاءتها، لكن من الممكن أن تنمو هذه البرامج بصورة أسرع عبر حملة لإثارة الوعي العام بشأن فوائد العمل التطوعي الدولي، وزيادة مستوى نمط الدعم الذي توليه الحكومة للبرامج التطوعية الخارجية والبرامج التطوعية المحلية الأخرى.

ولكي تبدأ تلك المنظمات بخطى ناجحة يمكن التعلم واستقاء الدروس من التجربة الأمريكية، إذ يقول ريفل وزالود[٤٠] إن بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية أن توجد حواراً أكثر نشاطاً بين الثقافات المختلفة من شأنه تقليل اعتمادها على "القوة الصلبة" التي تشكل عبئا كبيرا على الميزانية، وذلك بتشجيع الأمريكيين على المشاركة في العمل التطوعي داخل الدول الأخرى، الأمر الذي يوجد توجهات إيجابية حيال الولايات المتحدة الأمريكية وقدرا أكبر من التفهم بين الأمريكيين حيال وجهات النظر الأجنبية.

ومن الناحية التاريخية نجد أن الوجه التطوعي للولايات المتحدة الأمريكية قد لقي ترحيبا من العالم على مدى عقود طويلة، مثل مد يد العون لجهود الإغاثة من الكوارث، وبناء المنازل للأسر الفقيرة، وتدريس اللغة الإنجليزية لطلاب الجامعة، والكثير من الجهود الأخرى المشابهة.

وواقعيا تسهم برامج التطوع الدولية بصورة مباشرة وغير مباشرة في أمن وسلامة الولايات المتحدة الأمريكية، وتمثل أحد أفضل السبل التي بمقدور الأمريكيين من خلالها تحسين علاقاتهم بباقي العالم.

وبشكل أشمل، يمكن تقسيم البرامج التطوعية الأمريكية، إلى أربع فئات هي:

- **البرامج العامة:** يتم اختيار المتطوعين بصورة رئيسة على أساس التزامهم بالخدمة في الخارج وتوفير درجات متنوعة من التدريب. ويعتبر معهد إيرث ووتش (Earthwatch Institute) أحد أكبر البرامج في هذه الفئة، ويقوم بتوفير متطوعين للعمل مع العلماء في برامج بحثية داخل الدول الأجنبية.
- **البرامج المهنية:** تجذب المتطوعين الذين يتمتعون بخبرة كبيرة في مجال العمل المهني، وتعد منظمة "أطباء بلا حدود" من أشهر هذه البرامج.
- **البرامج المرتبطة بالشركات:** أسرع فئات البرامج التطوعية نموّاً، حيث يشجع عدد كبير من الشركات متعددة الجنسيات الموظفين على المشاركة في العمل التطوعي داخل مجتمعاتهم المحلية، أو في المناطق التي يكون بها طلب شديد على المهارات التي يتمتعون بها، بما في ذلك الدول الأجنبية.
- **البرامج المرتبطة بالدين:** تستثني البرامج التي ترسل متطوعين إلى الخارج بصورة رئيسة من أجل التبشير بدين ما بحيث لا ترتبط هذه النوعية من البرامج بديانة بعينها، وتقبل جميع البرامج التي تغطيها الدراسة متطوعين من جميع الديانات. ومنها أكبر برنامج لا يحصل على دعم حكومي وهو "هابيتات فور هيومانيتي إنترناشونال" (Habitat For Humanity International).

ومن أجل تفعيل هذه النوعية من البرامج التطوعية التي تؤدي إلى فاعلية السياسة السعودية وتعزيز قوتها الناعمة، يمكن اتباع الآتي:

- **زيادة الوعي العام:** لا يدرك سوى عدد ضئيل للغاية من الشباب وجود فرص للعمل التطوعي بالخارج فيما وراء "فيالق السلام" الأمريكية.
- **تعزيز البرامج القائمة:** ضمان دعم المتطوعين العائدين.
- **حل عقبات معينة:** يبدو أن العقبة الكبرى أمام شباب المملكة فيما يتصل بالعمل التطوعي في الخارج تتمثل في تكاليف السفر والتأمين الطبي، وبالتالي سوف يرتفع عدد المتطوعين في الخارج من الطبقات المتوسطة والفقيرة بصورة كبيرة إذا ما ساعدت حكومة المملكة في تغطية هذه النفقات.
- **تقييم مستوى الفاعلية:** تسعى جميع البرامج نحو سبل أفضل لتقييم مستوى فاعلية المتطوعين لديها، ولا شك في أن توسعة نطاق التعاون بين البرامج

في هذا المجال يساعد على تحقيق إنجازات من شأنها تعزيز الدعوات لزيادة التمويل الموجهة إلى القطاعين العام والخاص.

- **تعزيز التجارب التي أثبتت نجاحها:** الاستفادة من تجارب الدول الأخرى في مجال الأعمال التطوعية وخاصة الولايات المتحدة لكونها رائدة على مستوى العالم في العمل التطوعي.
- **الربط بين الخدمة والدراسة:** يسافر كل عام عدد كبير من السعوديين في سن الالتحاق بالجامعة إلى الخارج للدراسة، ومن شأن تنمية روابط أقوى بين الخدمة والدراسة في الخارج تعزيز تجربة الدراسة في الدول الأجنبية، يمكن تحقيق ذلك باعداد برامج لتدريب الطلاب المرشحين للابتعاث على الخدمات التطوعية المطلوبة وفي مقدمتها تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على سبيل المثال.
- **المساعدة في بناء قدرات البرامج التطوعية في الدول الأخرى:** شرعت الكثير من الدول في برامج تطوعية يضطلع بها أبناؤها. وذلك يقتضي بذل جهود حثيثة لتدعيم البرامج التطوعية في الدول الأخرى، وتنمية ثقافة عالمية للعمل التطوعي، وإيجاد رأس مال اجتماعي.

الفصل الثالث

المحور الدبلوماسي

- العلاقة مع المجتمع الدولي
- العلاقة مع الشعوب العربية والإسلامية
- العلاقة مع الأقليات المسلمة
- محور الدبلوماسية الشعبية داخل المملكة

لا شك أن الدبلوماسية بطبيعتها هي السلاح الرئيس للقوة الناعمة حيث إن من الممكن توظيف جميع آلياتها في تحقيق أهداف الدول على الصعيد العالمي. والدبلوماسية كقوة ناعمة محور ذو شقين؛ الدبلوماسية التقليدية التي تتمثل في التبادل الدبلوماسي بين الدول والمساعي الدبلوماسية بين الحكومات للتخفيف من احتدام الخلافات، ولنزع فتيل الاختلافات التي قد تؤدي إلى توتر أو صدامات تنتهي بحروب تستدعي استخدام القوة الشديدة. أما الشق الآخر من الدبلوماسية فهو الدبلوماسية الشعبية أو الدبلوماسية العامة (public diplomacy) التي لا تكون الحكومات طرفا فيها بالضرورة، أو في حالة وجود حكومة دولة كطرف يكون الشعب والمنظمات المدنية غير الحكومية الطرف الآخر فيها.

وبالنسبة لدبلوماسية المملكة العربية السعودية التقليدية، يؤكد الدكتور الشبيلي[٦] أن المملكة؛ منذ إعلان توحيدها عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، اختارت منحى الحياد وعدم الانحياز، على مختلف العصور والعهود السياسية، ولم تلجأ إلى خيار القوة إلا عند الظروف الضرورية، وكانت الأسرع إلى تبني الوفاق. فهي لا تتدخل إلا بمقدار الحاجة وعندما يطلب منها، ولا تقبل من أحد أن يتدخل في شؤونها أو يملي عليها في قراراتها. ومما يذكر فإن المملكة خلال تاريخ زاخر بالأحداث كانت "طيلة تلك العقود تؤثر بدائل الحسنى وتسلك طرق التصالح والوسطية والصمت والتعقل والتريث والبعد عن الانفعال، ووفرت للفرقاء ملاذا للحوار وحل المشكلات بالطرق المحمودة، وكان لها السبق في توقيع معاهدات المنظمات العربية والإسلامية والدولية، ولم تغفل طيلة تاريخها عن نصرة الشعوب المحبة للسلام، وعن إغاثة البلدان المنكوبة، والإسهام في بنوك التنمية وتوفير المساعدات الإنسانية".

ويؤكد كابلي[١٠] على أن المملكة العربية السعودية هي إحدى الدول التي تتمتع بمخزون هائل من القوة الناعمة فهي دولة ذات سياسة خارجية معتدلة واستطاعت دبلوماسيتها في الكثير من الأحيان أن تعمل على حل الخلافات، وأن تساهم في نشر مفاهيم إنسانية كحوار الحضارات وحوار الأديان، كما أنها من الدول التي تسارع إلى نجدة ومساعدة شعوب الدول الأخرى والمساهمة في تنميتها. إضافة إلى أنها تتمتع بوجود العديد من النخب الثقافية والتجارية والأدبية التي تساهم في بناء صورة جيدة

جداً عن السعودية. في مقابل ذلك فإن الاستفادة من هذا المخزون الهائل من أسباب القوة الناعمة مازالت ضعيفة. وأبرز الأمثلة على ذلك هو ضعف التسويق الإعلامي لما تقوم به المملكة تجاه الكثير من الدول حول العالم.

وهناك من يصف الدبلوماسية الشعبية بالبروباجندا مثل مونرو إي برايس[٤١] (Monroe E. Price)، بينما يفصل الآخرون بين مدلول الكلمتين. أما قاموس تعبيرات العلاقات الدولية الذي تصدره وزارة الخارجية الأمريكية فيعرف الدبلوماسية الشعبية بأنها برامج تدعمها الحكومة بهدف إعلام الرأي العام في الدول الأخرى والتأثير عليه، وآلياته الرئيسة هي المطبوعات، وأفلام السينما، والتبادل الثقافي، والراديو والتلفزيون. ولاحقا أوضحت مجموعة ضم وكالة معلومات الولايات المتحدة الأمريكية للإعلام إلى وزارة الخارجية الأمريكية أن "الدبلوماسية الشعبية تسعى إلى الترويج لمصالح الولايات المتحدة من خلال فهم وإعلام الجماهير الأجنبية والتأثير عليها". وقد تبنى مكتب الأجانب والكومنولث بالحكومة البريطانية هذا المعنى ليعرف الدبلوماسية الشعبية بأنها "عمل يهدف إلى جذب وإعلام أفراد ومنظمات عبر البحار بهدف تصليح مفاهيمها بالنسبة للمملكة المتحدة والتأثير عليها بصورة تتماشى مع أهداف الحكومة البعيدة والمتوسطة المدى". وهذا يتطابق مع ما ذكره ناي[٤٢] بأن "قوتنا الناعمة تتحسن عندما ترى عيون الآخرين أن سياساتنا مشروعة".

وتعرض الدكتورة لينا الخطيب[٤٣]، بعض الحالات الحديثة التي جرى فيها تطبيق الدبلوماسية الشعبية؛ إذ تسببت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في لفت نظر الولايات المتحدة الأمريكية إلى أهمية الدبلوماسية الشعبية، فجددت من اهتماماتها بالدبلوماسية الشعبية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بعد فترة ركود أعقبت الحرب الباردة. وجاءت حرب العراق في عام ٢٠٠٣م كفرصة لتكثيف جهود الدبلوماسية الشعبية الأمريكية وإن اقتصرت في ذلك الحين على الإعلام الحي. ومنذ ذلك الحين والأنظار تتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية على أنها لاعب الدبلوماسية الشعبية الرئيس في منطقة الشرق الأوسط. غير أن الدكتورة الخطيب قدمت دراسة تفصيلية لديناميكية نجاح الدبلوماسية الشعبية وفشلها في المنطقة، مشيرة إلى وجود جهات عديدة حكومية وغير حكومية نشطة في توظيف الدبلوماسية الشعبية في المنطقة.

العلاقة مع المجتمع الدولي

في سياق محاضرة ألقاها الدكتور تركستاني[٢٥] في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة عن الشراكة الاستراتيجية الطويلة بين المملكة واليابان والتي بدأت منذ سنة ١٩٣٠ على يد المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - والتي أصبحت اليوم أنموذجاً للعلاقات الحسنة، استعرض عدداً من المراحل في تاريخ العلاقات بين البلدين، منوهاً بالزيارة المفصلية التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عام ١٩٩٨، حينما كان ولياً للعهد، والتي وضع خلالها استراتيجية جديدة للعلاقات بين البلدين انتقلت بها إلى مستوى أعلى من الشراكة والتعاون، وكشف عن آخر الاتفاقات التي أبرمت بين الجانبين لتفادي الازدواج الضريبي.

ويقول الدكتور العثيمين[٨] إن الولايات المتحدة الأمريكية منذ إعلان حربها على الإرهاب؛ وبالأخص في عهد جورج دبليو بوش، لم تكتف باستخدام آلتها العسكرية لضرب أفغانستان وطالبان والعراق، بل تعدت ذلك إلى مضاعفة نشاطات سفاراتها في الخارج بما في ذلك "إطلاق مختلف أنواع أسلحة القوة الناعمة للتأثير على دول وشعوب المنطقة". غير أن تلك الأسلحة لقيت انتقادا كبيرا وجهه دعاة القوة الناعمة للسياسة الأمريكية؛ على أنها في الواقع أسلحة قوة التهديد أو العصا والجزرة. فعلى سبيل المثال:

- "مشروعات الحريّات المدنية، ونشر الديمقراطية على الطريقة الأمريكية" أرادت الولايات المتحدة الأمريكية فرضها بالإكراه، أي بالعصا أو القوة الشديدة، دون تقبل الشعوب أو الدول. بل إن تلك المشروعات قللت من شعبية الحكومة الأمريكية في جميع أنحاء العالم بما في ذلك الأمريكيين أنفسهم.
- "سياسة الفوضى الخلّاقة" أسلوب الماكيافيلية.
- "تقديم المساعدات المادية"، أسلوب قوة الجزرة.
- "السماح للبعثات الطلابية بالعودة إلى أراضيها من الدول التي ترى أن من مصلحتها استمالة شعوبها على المدى البعيد"، وهذا مخالف للواقع حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية تشددت وما زالت تتشدد في منح فيزا للطلاب

الراغبين في الدراسة، حتى إن الجامعات الأمريكية كادت أن تفلس لانخفاض عدد الطلاب الأجانب الذين كانوا يشكلون غالبية طلبة الدراسات العليا ويدفعون رسوما ضخمة لها. بل إن كثيرا من الطلاب العرب والمسلمين حرموا من مواصلة تعليمهم بعد عودتهم لبلادهم في إجازة. كما أن بعض الطلاب تخوفوا حتى من محاولة القدوم إلى الولايات المتحدة الأمريكية لما رأوا من إجراءات تعسفية قامت بها سلطات الأمن مع زملاء لهم، لم يكن لهم أي نشاط سياسي.

- "مضاعفة نشاطات سفاراتها في الخارج"، وهذا يدخل في بند القوة الناعمة ولكنه لم يصل إلى حد المضاعفة.

وفي سياق نقاش جدية مزاعم استخدام المملكة للقوة الناعمة والمكانة العالمية في خدمة قضاياها الوطنية والعربية والإسلامية أبرز الشد[٤٤] تساؤلين مهمين حول هذه القضية:

- الأول:- "مدى الاستفادة المثلى من مقومات القوة الناعمة الممكنة والمتاحة لمواجهة التدافعات التي تلجؤنا يوما بعد يوم إلى الزوايا الأضيق".
- الثاني:- "مدى توجيه القوة الناعمة المستخدمة نحو الأهداف الكبرى لسياسة الدولة".

بالنسبة للتساؤل الأول يرى الشد أن المملكة لديها بلا شك الكثير من مقومات القوة الناعمة، بما في ذلك الأدوات الثقافيّة والسياسية والاقتصاديّة، والمؤثّرات العقائدية (الأديان)، والوسائل الإعلاميّة بقنواتها الإذاعيّة والتلفزيونيّة، فضلاً عن الصحف والمطبوعات والكتب ودُور النشر. وعند المقارنة بين المملكة وبين الكثير من دول العالم العربي والإسلامي "يظهر التفوق لدينا في حيازة الكثير من تلك الوسائل وغيرها سواء ما يتعلق بالطبيعة الرسالية والتاريخية، أو الثروة الاقتصادية".

كما يرى الدكتور العثيمين[٨] أن المملكة تتوفر لديها قوة ناعمة هائلة، "ولكنها مع ذلك لم تستغلها الاستغلال الأمثل". مثال ذلك عندما اضطرت المملكة لدعوة القوات الأجنبية للمساعدة على درء خطر وتهديد صدام حسين "ثارت ثائرة الرأي العام في

عدد من الدول، سواء بين الأوساط الشعبية أو بين النخب، بل وألّبت صحفهم - البيضاء والصفراء - الجماهير عليها، مما اضطر المملكة إلى إرسال وفود لشرح مواقفها، كانت في أحسن أحوالها مشوبة بنبرة اعتذارية وتبريرية ضعيفة"، ويرى الدكتور العثيمين أن ذلك لم يخدم قضية المملكة، ولم يؤدِّ حتى إلى تقدير موقفها،" فقد كان السعوديون في عين عاصفة سلمهم الله وحده من شرّها".

أما بالنسبة لتساؤل الشد الثاني فيأتي الرد فيما ذكره الدكتور العثيمين من أمثلة شديدة الوضوح على ضعف استغلال المملكة لقوتها الناعمة، "أنه بالرغم من العلاقات الاستراتيجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التي تربط المملكة مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ أكثر من ٧٠ عاماً، لكونها أكبر شريك تجاري للمملكة منذ نصف قرن"، إلا أن العلاقات بين المملكة والولايات المتحدة الأمريكية "مازالت محصورة على المستوى الرسمي، وفي البيت الأبيض تحديداً"؛ أي إن المملكة برعت في مجال الدبلوماسية التقليدية لتقوية أواصر العلاقة بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية ولكنها لم تفعّل قدرات الدبلوماسية الشعبية السعودية وتستغل "هذه العلاقة، والنفوذ المترتب عليها، لبناء أواصر وصلات حقيقية على مستوى المؤسسات التشريعية (الكونجرس)، أو المؤسسات الثقافية، والقوى الشعبية، ومختلف فعاليات المجتمع المدني، كما تفعل إسرائيل عبر أقوى جماعة ضغط (لوبي) عرفتها الساحة السياسية الأمريكية، والمعروف باسم (إيباك).. ولهذا، فإنه عند حدوث أية هزة، أو أزمة، أو خلاف، أو حتى حادثة فردية، أو سوء فهم إنساني أو ثقافي أو حقوقي أو قضائي أو ديني، نجد أن الدنيا تقوم ولا تقعد تجاه المملكة ومصالحها". وهذا يعكس إحساساً بهشاشة هذه الصلات.

والدكتور العثيمين محق بالنسبة لعلاقة المملكة بالولايات المتحدة الأمريكية، وأن من الضروري الالتفات لدور الدبلوماسية الشعبية السعودية وتوجيهها بهدف "بناء أواصر وصلات حقيقية على مستوى المؤسسات التشريعية (الكونجرس)، أو المؤسسات الثقافية، والقوى الشعبية، ومختلف فعاليات المجتمع المدني،". غير أن استخدام مثال منظمة (إيباك) على أنها منظمة تستخدم قوة ناعمة عار عن الصحة؛ فالمنظمة كأقوى جماعة ضغط (لوبي) عرفتها الساحة السياسية الأمريكية، تلجأ إلى قوة العصا والجزرة وهي قوة شديدة، حيث إنها تدعم من يؤيدها بإغراقه بالمال الغزير خاصة في الحملات

الانتخابية، كما أنها تلجأ إلى سياسة الابتزاز والتهديد مع السياسيين وغيرهم، مستخدمة قانون التحريض على جرائم الكراهية والمعاداة للسامية كسلاح.

وبدلا من لوم منظمة إيباك يقتضي الواجب هنا التساؤل لماذا تنجح المنظمة في إقامة الدنيا وعدم إقعادها خلال الضجة الإعلامية في وسائل إعلامية لا تملكها بينما يملك أغلبية أسهمها عرب؟ فرأس المال العربي يملك شريحة كبرى من الشركة الأم لقنوات "سي إن إن"، ويشارك روبرت مردوخ (Rupert Murdoch) في ملكية العديد من القنوات الفضائية العربية، علما بأن قناة فوكس الفضائية التي يملكها مردوخ ويرسم سياستها، هي من أبواق اللوبي لمنظمة إيباك، كما أنها على رأس القنوات التي تقوم بحملات مضادة على المملكة. والأدهى من ذلك أن هناك العديد من الأثرياء العرب اندفعوا للدفاع عنه في فضيحته الأخيرة بالتنصت على القصر الملكي في المملكة المتحدة ورشوة رجال اسكتلنديارد.

أما العلمي[٩] فيقر بوجود ٣٥٠٠ منظمة دولية حالياً فيما يسميه بقريتنا الكونية، "لا يشارك العالم العربي بفاعلية سوى في ٧٢ منها فقط، وذلك لندرة الخبراء وغياب الاستراتيجيات وفي أروقة هذه المنظمات الدولية يتم طبخ قضايا العصر ورؤى المستقبل، التي تغيبت عنها الدول العربية، ولم تهتم بنتائجها المصيرية بقدر اهتمامها بملوحة الطبخة التي تلتهمها غصباً عنها لعدم مشاركتها الفعالة في صياغة أحكام طبختها".

وفي المجال الدبلوماسي التقليدي، يرى الدكتور العثيمين أن "نوعية السفراء وحسن اختيارهم، من أهمّ العوامل التي تحققّ للمملكة أهدافها الاستراتيجية عبر قوّتها الناعمة". ويرى أن التعريف التقليدي للسفير قد تغيرّ، وتغيّر معه الدور المناط بالسفارة، وبهذا فإن على دبلوماسية المملكة أن تتغيّر طبقاً لذلك. ويقول في هذا السياق "لقد أُعيد تعريف وظيفة السفارة، كما تغير دور السفير من كونه يمثّل رئيس الدولة في الشؤون السياسّية الثنائيّة المباشرة، عندما كانت وسائل الاتصال محدودة بين رؤساء الدول إلاّ عبر السفير، إلى سفير يمثّل الدولة كجسم بمختلف مصالحها الاقتصاديّة والثقافيّة والسياسّية، بحيث تتحولّ السفارة إلى (جسرٍ) مؤثر لعبور هذه المصالح المتنوعّة".

ومن هذا المنطلق يوصى الدكتور العثيمين[١٦] بأمرين هامين:

- "الانعتاق من الإسار التقليدي في نشاط السفارات، وفي اختيار السفراء، وضرورة العمل على (انتقائهم) من الأجيال الشابّة والمتعلّمة والمؤهلّة، التي تُتقن لغات الدول المُستهدفة ولغة العصر، وقادرة على (تسويق) القوّة الناعمة السعودية، وفقاً لطبيعة البلد المستهدف".
- أن تكون مباني السفارات نفسها "قلاعاً تعكس مكانة المملكة، ومنصات تعبّر عن دورها الحيّوي في العالم، وتخدم مصالحها الاستراتيجية، في عالم العولمة والانفتاح والانفجار المعلوماتي".

بمعنى أنه من الواجب على المملكة تفعيل قدراتها على الدبلوماسية الشعبية السعودية إلى جانب أجهزتها الدبلوماسية التقليدية.

أما في المجال السياسّي، فإن التوجهات السياسية للقيادة السعوديّة، القائمة على عدم التدخل في شؤون الآخرين، وتبني سياسة الاعتدال، والوقوف على مسافة واحدة من فرقاء النزاعات الإقليمية والدوليّة، تُشكّل في مجموعها، وفق رؤية الدكتور العثيمين "رصيداً سياسيّاً ثميناً، يمكن للمملكة استثماره لدعم قوّتها الناعمة عربيّاً وإسلاميّاً ودوليّاً، وهذا ما نلمس شواهد منه عند ظهور بعض الأزمات.. كما تكتسب (الزيارات الملكيّة) أهمية خاصة في مدّ الذراع الناعم السعودي، خاصة مع الدول التي ترتبط معها المملكة بمصالح وعلاقات إستراتيجيّة، أو تلك الدول المرشّحة لهذا الدور مستقبلاً، سواء لأسباب سياسّية أو اقتصادية أو دينيّة، مثل الصين والهند وروسيا واليابان، ودول آسيا الوسطى، وأفريقيا.. ولعلنا نتذّكر كم كان لزيارات الملك فيصل لدول أفريقيا من تأثير واسع في خدمة مصالح المملكة في ذلك الوقت".

كما أن المملكة بما لها من مكانة اقتصاديّة مرموقة في دهاليز المنظمّات الدوليّة، تعتبر عضواً مؤثّرا في جميع المنظمات الدوليّة الكبيرة. ومع ذلك يشير الدكتور العثيمين إلى أن المملكة " من أقّل الدول استفادة" من تلك المكانة الاقتصاديّة المرموقة، "بالرغم من أن المملكة من أكثر الدول مساهمة ماديّة" في المنظمات الدوليّة الكبيرة، بل ومن أسرعها سداداً لحصصها، "ومع كل هذا لا تُبذل جهود كبيرة في الضغط عليها لتعيين

موظفّين سعوديين فيها، يُمكنهم - مع مرور الوقت - من تسنّم مناصب قياديّة فيها، وبالتالي، التأثير المباشر وغير المباشر على سياستها، وبما يخدم مصالح المملكة، ويعزّز قوّتها الناعمة على المدى البعيد. ويضيف الدكتور العثيمين "كما أننا على استحياء في استثمار القوّة الناعمة السعوديّة، عندما تكون مقرّ تلك المنظمّات الإقليميّة أو الإسلامية لدينا، مثل: رابطة العالم الإسلامي، ومنظمّة المؤتمر الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية.. في حين أن الولايات المتحدة لا تجد غضاضة في ذلك، وترتفع عقيرتها عند إحساسها بأي توجّه تتبنّاه المنظمات الدوليّة لسياسات تُخالف توجهاتها أو مصالحها، بل وتهدّد بالانسحاب منها، أو إيقاف مشاركاتها وحصصها في ميزانياتها.. كما يحصل - دائماً - في تعاملها المتكرّر مع منظمات اليونسكو، والأمم المتحدة، والطاقة الدوليّة".

ومن الجانب الإيجابي فإن هناك دورا مشهودا للسعودية في دول شرق وجنوب شرق آسيا إذ أشار السفير السعودي في اليابان إلى"إن اجتماعاً ضم (٢٥) سفيراً يمثلون السعودية في هذه الدول عقد لأول مرة مؤخراً مما يعكس الاهتمام الكبير الذي توليه المملكة لعلاقتها بهذه الدول"، حيث إن "هذه الدول هي من يسعى لتحويل علاقتنا معها من ثنائية إلى علاقات شراكة استراتيجية لما تعلمه من ثقل المملكة الاقتصادي والسياسي".

العلاقة مع الشعوب العربية والإسلامية

لا شك في أن مخزون المملكة من القوة الناعمة التي يمكن أن توظفها مع الشعوب العربية والإسلامية من الغزارة والتنوع بمكان مما يوفر للمملكة قدرات خارقة على توظيف تلك القوة بصورة أكثر فاعلية وتأثيرا من أي قوة أخرى في تقوية العلاقات مع الشعوب العربية والإسلامية. وهذا راجع إلى ما يجمع المملكة وجميع الشعوب العربية والإسلامية من تراث وتاريخ وثقافة وحضارة ومصالح مشتركة، إلى جانب منزلة المملكة الخاصة في قلوب المسلمين.

وفي الحديث عن البعد العربي والإسلامي للدبلوماسية السعودية يقول محمد بن إبراهيم الحلوة[١٨] إن المملكة تعبر "بشكل عفوي وتلقائي عن عمق هويتها العربية

والإسلامية، حيث تعد منبع العروبة ومهد الإسلام، وتضم المملكة العربية السعودية الحرمين الشريفين حيث يتجه إلى الكعبة المشرفة خمس مرات يوميا أكثر من ١٣٠٠ مليون مسلم، ويوجد في المملكة أكبر مطبعة لطباعة المصحف الشريف، كما يوجد فيها مقرات عدد من المنظمات الإسلامية المهمة، ومنها: منظمة المؤتمر الإسلامي، (والتي سميت مؤخراً بـمنظمة التعاون الإسلامي) والبنك الإسلامي للتنمية، ورابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي. ونظرا لوجود الأماكن المقدسة، وهذه المؤسسات الإسلامية المهمة فقد جسدت المملكة هيبة الإسلام وأصبحت محط أنظار المسلمين".

وعلى هذا؛ فبمقدور المملكة أن تلعب أدوارا ناعمة تبوئها مكانة عالية بين الشعوب العربية والإسلامية، بحكم مكانتها وموقعها الخاص في قلب العالم الإسلامي وقلوب المسلمين. ويحذر الدكتور العثيمين[١٦] بأن المملكة إن لم تستفد من قدراتها في هذا الموقع فسوف "يملأ – حتماً - هذا الفراغ غيرها من قوى إقليميّة أو دوليّة قد لا تكون مُحبّة للمملكة أو مخالفة لتوجّهاتها، وسوف تفقد المملكة - إذا تخلّت عن هذه الأدوار الحيويّة - ميزة إستراتيجيّة سوف تحّد - قطعاً - من نفوذها الناعم في العالم بشكل كبير".

ولما كان المجال التعليمي من القنوات التي تمثّل قناة فعالة لنشر القوّة الناعمة للمملكة حول العالم، وبالتالي نفوذها؛ فإن الدكتور العثيمين يقترح التوسّع في برامج "البعثات للخارج من طلابنا عبر الملحقيّات التعليميّة الذين أصبحوا - الآن – بالآلاف". وفي واقع الأمر فإن إرسال تلك البعثات بمثابة إرسال سفراء للمملكة يجمعون قلوب الناس من حولها. والذي يدعم ذلك أن كثيرا من الدول كانت تمنح أولئك المبعوثين تأشيرات دبلوماسية اعترافا بدورهم في التقريب بين الشعوب، إلى جانب التبادل الثقافي على المدى الطويل.

وقد أعلن وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري، خلال افتتاحه ندوة "التعليم العالي للفتاة في المملكة بجامعة الملك سعود (٢٠١٣/١/١٣) أن عدد المبتعثين السعوديين ارتفع إلى ١٥٠ ألفاً . كاشفاً أن هذا العدد يمثل النسبة الأعلى عالمياً للطلاب الذين يدرسون بمنح حكومية، ويضع المملكة في المرتبة الثالثة بعد الصين والهند في

أعداد الطلاب الدارسين خارج دولهم".

وحسب بيان الميزانية السعودية لهذا العام، فقد بلغ عدد المبتعثين السعوديين ومرافقيهم حوالي ٢٥٧ ألفاً، ويشمل ذلك ١٢٠ ألف مبتعث و ١٣٧ ألف مرافق. ويصل إجمالي نفقات المبتعثين خلال عام ٢٠١١ ما يقارب ٢٠ مليار ريال .

ووصف الدكتور العنقري برنامج خادم الحرمين الشريفين بأنه طموح ومميز، ليس بشهادة المتخصصين بالمملكة وإنما بشهادة المتخصصين في دول العالم التي تستقبل الطلاب السعوديين والمؤسسات التربوية مثل اليونسكو وغيرها الذين أبدو اعجابهم بما تقوم به المملكة من إعداد شبابها من الذكور والإناث داخلياً وخارجياً لبناء مستقبل قوي ومتسلح بالعلم في مختلف التخصصات.

وبظهور مصطلح الاقتصاد المعرفي كأحد أبعاد القوة الناعمة للدول، فإن المملكة -وفق منظور الدكتور العثيمين- "لديها فرصة ذهبيّة لاستثمار هذا البعد، من خلال توفير بُنية تحتيّة معرفيّة تستقطب من خلالها العلماء المبرزين في العالم الإسلامي، من أطباء ومهندسين ومخترعين وطلاب نجباء". ويشير إلى جامعة الملك عبد الله للعلوم "كإحدى المنافذ التي يتوق كل عالم أو مُبدع مسلم إليها حيث ينغمس في بيئة إسلاميّة، ويظل في نفس الوقت على صلة مباشرة بأدوات العلم الحديث من جامعات ومكتبات ومختبرات". ويؤكد على أن العالم المسلم لن يجد "في غير المملكة حضناً روحانياً وبيئةً جاذبة في نفس الوقت إلا في هذه الجامعة". وكذلك الحال مع "الطلاب الموهوبين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، الذين سوف يلتحقون في هذه الجامعة الحضارية الوليدة، والتي سوف تكون أفضل (رمز) للقوّة السعوديّة الناعمة عبر اقتصاد المعرفة جذباً وتأثيراً".

وبينما الدبلوماسية السياسية السعودية كانت وما زالت أداة هامة وفعالة من أدوات القوة السعودية لما حققته من نجاحات هامة عربيا وإسلاميا ودوليا فإن نمر[١٩] يرى أن سياسة "التكتم الإعلامي وعدم الإعلان عن مبادراتها"تضيع الكثير من الآثار الحميدة لانجازات الدبلوماسية السعودية ونشاطاتها عربيا ودوليا. والأهم من ذلك أنها لا تجعل المواطن العربي، ولا حتى السعودي، يدرك أهمية هذه الجهود مما يثير الشكوك حولها.

كمثال حي لذلك ما حدث في العراق، حيث قد كان للسعودية محاولة ليكون لها دور في العراق "بعد احتلاله أميركيا عام ٢٠٠٣م فأرسلت مستشفى ميدانيا إلى بغداد ولكن الحاكم الأميركي للعراق بريمر طلب من السعوديين سحب مستشفاهم وعدم التدخل بشؤون العراق، وعدم الإعلان عن هذا مما جعل العراقيين يتهمون السعودية والعرب بترك العراق لإيران".

ولكن وأمام المتغيرات التي يشهدها العالم العربي وتسارع الأحداث في العالم يري نمر أن "الدبلوماسية السعودية بحاجة إلى مزيد من التحرك والعمل المبادر الذي يستطيع أن ينجح المبادرات التي تطرحها السعودية. حتى ولو كانت هناك عوامل غير سعودية تعمل على عرقلة المبادرات والتحركات السعودية في المنطقة ... والأهم أنها بحاجة إلى توضيح وإعلام العالم بما تقوم به".

ويشيد نمر بما جرى "من تحركات سعودية لتعزيز وتقوية التحالف الخليجي سياسيا وأمنيا للتصدي لمحاولة زعزعة أمن البحرين والرد على إيران بقوة لمحاولة فرض وصايتها على شيعة البحرين وشيعة الخليج، وكذلك الاهتمام الكبير بإيجاد حل لأزمة اليمن".

وقد قام الباحثان كريستوفر س. بوند (Christopher S. Bond) ولويس م. سيمونز[٤٥] (Lewis M. Simons) بدراسة خلصا فيها إلى المطالبة بالعودة إلى مقاربة القوة الذكية بدلاً من الحروب والجيوش في التعاطي مع الظروف والبيئة المحفزة للنشاط الأصولي الإسلامي المعادي للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة الشاسعة في جنوب شرق آسيا، حيث الكتلة السكانية المسلمة الكبيرة جداً هناك. كما يلزم تطوير مفهوم القوة الناعمة في العلاقات الدولية، حيث الفرضية الأساسية فيه أن قوة الولايات المتحدة الأمريكية الحقيقية ليست بالجيش ولا بالعسكر، بل بما أنتجته من ثقافة ومن قيم، وفي أسلوب حياة الأميركيين وإنجازاتهم التي تستهوي قلوب ملايين الناس في مختلف أرجاء الأرض.

العلاقة مع الأقليات المسلمة

اضطهاد الروهينجا في ميانمار

بدأت مشكلة اضطهاد الأقلية المسلمة في بورما (ميانمار حالياً) والمعروفة بشعب الروهينجا، من حوالي سبعين عاما عندما بدأت طلائع الفارين بدينهم من بطش واضطهاد البوذيين والسلطات الحاكمة في بورما، وعلى مدى ثلاثة عقود لاحقة، بالوصول إلى المملكة العربية السعودية، واستمر قدوم أفواج المهاجرين بعد صدور ما يعرف بقانون المواطنة الميانمارية في عام ١٩٨٢ م، والذي ينكر حق المواطنة للمسلمين الروهينجا ويعتبرهم أقلية أجنبية لا تنتمي للشعب البورمي . وقد وجدوا في بلاد الحرمين الشريفين الملاذ الآمن حيث أمر الملك المؤسس- رحمه الله – باحتضان هؤلاء المهاجرين ومنحهم تصاريح إقامة مجانية عندما علم بوقوع مذبحة دامية راح ضحيتها مائة ألف مسلم في أرض أركان المسلوبة. وقد حاولت السلطات السعودية إلحاقهم بإخوانهم اللاجئين في بنجلادش ألا أنهم رفضوا. ولما لم يكن هناك من سبيل لإرجاعهم إلى بلدهم، فقد كان لزاما على المملكة إبقاؤهم ومنحهم إقامات والسماح لهم بالعمل فيها.

وقد سخرت المملكة دبلوماسيتها للدفاع عن قضية الروهينجا على المستويين الإسلامي والدولي لحمل سلطات ميانمار على اتخاذ التدابير اللازمة لاستعادة الاستقرار والاعتراف بالحقوق الوطنية لشعب الروهينجا وإنهاء معاناتهم، بحيث أصبحت قضية هذا الشعب المضطهد مدرجة على جدول أعمال الامم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي. ومازال الاضطهاد والتشريد للمسلمين في ميانمار مستمراً حتى يومنا هذا مع الأسف الشديد.

تصحيح أوضاع الجالية البورماوية في مكة المكرمة

وقد اتخذت حكومة المملكة العربية قراراً تاريخيا بتصحيح أوضاع الجالية البورماوية في مكة المكرمة والتي يبلغ عددها حوالي نصف مليون شخص، بإقامة حفل لتسليم أول إقامة نظامية لأبناء هذه الجالية يوم ٢٠١٣/٣/٢٣م برعاية أمير منطقة مكة المكرمة في إطار تنفيذ الأمر السامي التاريخي الذي أصدره خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله

بن عبدالعزيز بتصحيح أوضاع الجالية البورماوية وتطوير الأحياء العشوائية في مكة المكرمة. وهي تجربة فريدة على مستوى العالم أجمع، حيث لا يقتصر هذا المشروع الإنساني على إعادة تخطيط وبناء وعمران هذه الأحياء بطريقة عصرية، وحل مشكلة البورمانيين بمنحهم إقامات نظامية بدون رسوم، بالاضافة إلى إعفائهم من ال ٥٠٪ من تكاليف تجديدها بعد أربع سنوات. وتحمل الاقامة الممنوحة لهم مسمى (بورماوي مقيم) فيما سيحصل حاملها على ميزات المواطن من ناحية مجانية التعليم والرعاية الصحية والاجتماعية وهي إجراءات غير مسبوقة على مستوى العالم.

ويعتبر مشروع تصحيح الأوضاع حلقة جديدة من حلقات اهتمام خادم الحرمين الشريفين بهذه الجالية حيث سبق أن تبرع جلالته بمبلغ ٥٠ مليون دولار لمواطني الروهينجا. وتجسد عملية تصحيح أوضاع الجالية البورماويه فكر ورؤية خادم الحرمين الشريفين تجاه رعاية الإنسان أياً كان جنسه أو عرقه أو أهله، وأن عملية تصحيح الأوضاع تحقق الأمن والطمانينة والعيش الكريم.

وهذا المشروع الفريد من نوعه يمثل القيم والأخلاق الإسلامية التي تتميز بها المملكة قيادة وحكومة وشعباً حيث تكفلت الدولة من خلال هذا التصحيح بتطوير الأحياء، وتكفلت برعاية إنسانها وتأمين الرعاية الصحية، وتكفلت بتعليم شبابها وبناتها، وتكفلت بتدريسهم وتأهيلهم للعمل، كما تكفلت أيضاً بتأمين فرص العمل لهم عن طريق وزارة العمل والشركات العاملة في المنطقة، وهو مالايتوفر في أي مشروع دولي أو عالمي أو وطني في أي دولة أخرى.

الأقليات المسلمة في أوروبا

العالم الإسلامي مقبل لا محالة على مواجهة مع الغرب إن لم تكن مواجهة عسكرية فهي مواجهة حضارية وثقافية. هذا ما يؤكده الزواوي[٢٣] حيث يستشهد بالعديد من الكتابات التي ترصد المد الإسلامي في أوروبا وزيادة عدد المهاجرين إليها من المسلمين، وكذلك التزايد الديموجرافي لعدد سكان جنوب وشرق المتوسط بنسب تفوق أربعة أضعاف نظيرتها في الشمال الأوروبي. ومن هذا يستنبط حتمية المواجهة الحضارية بين الجانبين. وبالفعل بدأت موجة من كتابات غربية كثيرة تحضّر لمثل

تلك المواجهة "بقصف مدفعي إعلامي وسياسي كثيف يهدف إلى طرد المسلمين من أوروبا بالكلية ومنع الهجرة إليها، والبعض الآخر أراد أن يقوم بعملية الفوز بالعقول والقلوب واحتواء ذلك المد الإسلامي، عن طريق استيعاب المسلمين في أوروبا بتطويع ثقافتهم وحضارتهم وبالتالي – ضمناً - دينهم، ليتم صهرهم في البوتقة الأوروبية لتلافي ذلك الصدام، بأن يتحول المسلمون إلى أوروبيين حضارة وثقافة ويتعايشون بسلام مع الجانب الأوروبي بدون تهديد هويتهم الحضارية".

وهنا تكمن أهمية وخطورة الدراسات التي تتحدث عن الإسلام الأوروبي والإسلام الحضاري، والذي يجمع ما بين الإسلام والديموقراطية والتعايش السلمي. ويرى الزواوي أن أهمية القضية تبرز برمتها "في حقبة ما اصطلح على تسميته بصراع الحضارات، فتلك المقولة التي أطلقها صمويل هنتنجتون في التسعينيات بعد زوال الاتحاد السوفيتي تفتش في أصول الحضارات وتقول إن العالم سينقسم من جديد على الخطوط الفاصلة ما بين تلك الحضارات، وسيتمركز ويتمحور حول سبع حضارات كبرى، وأن المواجهة حتمية مع الإسلام في السنوات القادمة، وهذا يتطلب من المسلمين أن يستعدوا لتلك المواجهة، التي قد تبدأ مواجهة ثقافية، ولكنها قد تنتهي دموية".

ومن أجل ألا تتحول تلك المواجهات والنقاشات الكلامية والفكرية إلى مواجهات دموية، يوصي الزواوي المسلمين بأن يعوا "حقيقة هامة ومحورية في تلك القضية، وهي أن الحضارة الإسلامية تظل هي الحضارة الأعلى بمكوناتها الدينية والثقافية والإنسانية. وعلى الرغم مما يشهده العالم الإسلامي اليوم من الاضمحلال فهو في القمة بحضارته الإسلامية، والتي هي مكمن قوته الناعمة التي لا يقف أمامها شيء".

ويضيف الزواوي - على عجالة - ناعيا تردي حال أصحاب الحضارة الإسلامية وتخلفهم المادي؛ مشيرا إلى أن المسلمين "باتوا يستوردون كل شيء من الشمال والغرب والشرق، وباتوا عالة على المجتمع الدولي في القضايا السياسية.

وفي تلك المزاعم مبالغة غير منصفة وترديد لمزاعم القوى الطاغية على المسرح الدولي التي تروجها في حلبة الحرب الناعمة. فإذا قارنا سلاح القوة الناعمة الغربية بسلاح القوة الناعمة الإسلامية يمكن القول دون مغالاة بأن أهل الشمال والغرب والشرق

البعيد باتوا يستوردون كل المواد الخام والنفط والعمالة من الجنوب والشرق الأدنى.

وفي واقع الأمر أن كل ما يستورده المسلمون من الشمال والغرب والشرق مصنّع من مواد خام أخرجت من أرضهم، وبطاقة انبعثت من حقول نفطهم وبأيد عاملة رخيصة جندت من بلادهم، وكل ما زوده الشمال والغرب والشرق هو القدرة على تجميع تلك الموارد الطبيعية والبشرية كقيمة مضافة في منتجات يتقاضى عشرات أضعاف تكاليفها عندما يبيعها لمن أخرجوها وصنعوها.

أما المهاجرون المسلمون الذين تتضجر منهم أوروبا وتنعي عليهم ارتفاع نسبة الجريمة بينهم فقد أغرتهم الحكومات وشركات الإنشاء الأوروبية عقب الحرب العالمية الثانية بالمساهمة بالدم والعرق والقوة البدنية والفنية في إعمار البلاد التي خربت لقاء أجور زهيدة إسهاما في إعادة بناء الأوطان الأوروبية. وبعد إتمام عمليات التعمير والمشاركة في عودة الحياة الطبيعية بفضل اكتمال البنية التحتية تنكرت تلك الدول لأولئك الذين تركوا أرضهم وأهلهم واستقر بهم المقام فيها واعتبروهم عالة عليهم وعلى اقتصادهم الذي بني بسواعدهم.

وتلك المزاعم التي رددها الزواوي وسلم بمصداقيتها ما هي إلا آلة من آليات القوى الناعمة التي يروج لها الأوروبيون والأمريكيون. فحتى يتمكنوا من الاستيلاء على الموارد الطبيعية بثمن بخس عليهم توظيف القوة الناعمة بأن يبخسوا قيمة البضاعة التي لا تقوم لهم قائمة بدونها، وتهويل دورهم التقني في الاستفادة منها وإضافة قيمة لها. وحتى تتعاظم أرباحهم عليهم استخدام القوة الناعمة في غبن الأيدي العاملة والاستخفاف بدورها حتى لا تمثل لهم مغرما. وعليهم إعلان الحرب الباردة على الأيدي العاملة المهاجرة ورفع الشرعية عنها بالقوة الناعمة بدعوى الهجرة غير المشروعة وما يصحبها من إرهاب وجريمة حتى يستعبدوهم ويجوروا عليهم في الأجور مقارنة بأجور المواطنين تفاديا لقوانين الأجور وحقوق العمالة.

والذي يريد التحقق من خلفيات تلك المزاعم والحملات المصاحبة لها عليه أن يذهب إلى المزارع في الولايات المتحدة الأمريكية ومواقع الإنشاءات الضخمة ومؤسسات الأعمال الدنيا في أوروبا ليجد أن العاملين فيها مهاجرون غير شرعيين يتقاضون

أجورا أقل من معدل الأجر الأدنى القانوني. وفي ذلك ضرورة لدفع عجلة الإنتاج وخفض أسعار السلع الضرورية.

أما الوظائف الفنية العليا مثل وظائف المهندسين والأطباء وهيئة التدريس في الجامعة وخبراء الكومبيوتر فزاخرة بالأجانب من المسلمين، حيث إن هناك قوانين غير مكتوبة أو عرفا بأن يحل هؤلاء محل المواطنين الذين يتقاضون مرتبات عالية ولا يخضعون للوائح والقوانين، ولا يشكلون تهديدا على أصحاب المناصب العليا الأقل كفاءة منهم.

وفي مجال العمل الإسلامي الخارجي، يرى الدكتور العثيمين[١٦] أن من الواجب "توظيفه كإحدى الركائز الأساسيّة في السياسة الخارجيّة للمملكة، ولا ينبغي النظر إلى العمل الإسلامي الخارجي من زاوية محدّدة، وأفق ضيّق كالعمل الدعوي -على أهميته-؛ فالعمل الإسلامي الخارجي شيء أعظم وأشمل بكثير من مجرّد العمل الدعوي"؛ إذ إنه "أفق واسع يشمل الكثير من المناشط والفعاليّات والمشاركات، سواء داخل المملكة أو خارجها، ويتطلّب نظرة متجدّدة لتحديث آفاقه وأطره، وتطوير آليّات عمله، والفئات المُستهدفة منه، وفقاً للظروف المتغيّرة والمستجدّات في العالم الإسلامي، وقضاياه ومشاكله واحتياجاته، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالأقليّات المسلمة في الدول غير المسلمة، التي أصبحت قوى مؤثّرة في بلدانها ومجتمعاتها، ففي فرنسا وحدها يعيش (٥) ملايين مسلم، قريب من هذا الرقم في بريطانيا، والمملكة هي أكثر الدول الإسلامية المرشحة لقيادة هذا الدور الريادي الناعم دون منازع، إذا أخذت زمام المبادرة".

وتشير الدلائل إلى أن المملكة قد نجحت في تفعيل القوة الناعمة بالتواصل مع الأقليات المسلمة في العديد من الدول الأوروبية والأمريكية بإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية وإرسال الدعاة والمتحدثين إليها. بل إنها تقوم بتوزيع الكتب والمصاحف بالمجان على المساجد والمكتبات. بل إن للمملكة دور الريادة في إنشاء مدارس مرخصة تدرس باللغة العربية والجامعات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية بالشراكة مع الجاليات المسلمة إلى جانب دعم مدارس الأحد التي تعلم الدين للأطفال في عطلة نهاية الأسبوع.

ولقد شرح الدكتور حمد الماجد[١٥] السياسة المعتدلة للمملكة مشيرا إلى أن للمملكة قوة ناعمة واضحة، وذلك عائد إلى عدم انجرافها في كل علاقاتها الخارجية إلى الحلول

العسكرية والاستئصالية، وعدم التدخل العسكري في أية دولة أخرى بالرغم من إمكاناتها المادية والعسكرية؛ وبلا شك أن للمملكة نفوذا وكلمة مسموعة وهذا نوع من أنواع القوة الناعمة. وفي هذا المضمار يضيف: "أنا ممن عاشوا في الخارج سنين طويلة وكنت مسؤولا عن أحد المراكز الإسلامية في لندن ولاحظت كيف أن المملكة بنفوذها الشعبي والرسمي الناعم، لها اليد الطولى في التأثير في مجريات الأحوال هناك وعلى نطاق الجاليات الإسلامية في الخارج. وأنا أتكلم من هذه الزاوية بحكم التخصص، فلا نجد ولله الحمد أي مركز أو مؤسسة إسلامية إلا وللمملكة نفوذ ناعم فيها من غير إجبار، فصار لها ولأفرادها ومؤسساتها وطلابها كلمة مسموعة محترمة. وهذه زاوية من الزوايا التي حققتها المملكة قولا وعملا". ويأسف لأن المشروع الإغاثي قد تلقى ضربة قاصمة بعد أحداث ١١ سبتمبر أيضا.

وفي الحديث عن المجتمع المدني يرى الدكتور خالد العجيمي[١٥] أن المملكة لم تستثمر القوة الناعمة بالشكل المطلوب، "فالمفترض أن تكون منظماتنا التي لها أنشطة في الخارج مثل الندوة والرابطة ذراعا للمملكة، من خلال رعاية المجتمعات المسلمة تنمويا وإعلاميا ونشر كلمة الإسلام، ومن جانب آخر الاستفادة من القوة الاقتصادية والجانب الروحي وأئمة الحرمين الشريفين، كل هؤلاء يجب استثمارهم في خضم مزاحمة تيارات التنصير الباطلة، فالمسألة تعتمد على قوتين خارجية وداخلية وكل هذه تسهم في بناء المجتمع ونشر رسالة الدولة بشكل عام، واستطرد قائلا: نحن ندفع مبلغا لصندوق النقد الدولي ويجب أن يكون ذلك مقابل أمر معين تستثمره المملكة أمام هذه الدول النامية، ليرتفع علم المملكة وليس علم صندوق النقد الدولي".

محور الدبلوماسية الشعبية داخل المملكة

الدبلوماسية الشعبية هي أنجع الدبلوماسيات خاصة عندما تدعمها قاعدة وطنية مستنيرة. ولما كان التبادل الثقافي والتفاعل بين الشعوب من الآليات الفعالة للقوّة الناعمة التي يمكن للمواطنين في المملكة الشراكة فيها فإن الدكتور العثيمين[١٦] يقترح التوسّع في برامج المنح لأبناء العالم الإسلامي والأقليّات المسلمة، وتقديم منح تعليمية وتدريبيّة لشباب وقيادات العالم الإسلامي، في المؤسسّات التعليميّة والدينيّة والتدريبيّة السعوديّة؛

"فهؤلاء سوف يكونون سفراء لنا في بلادهم". وفي واقع الأمر إن "البعثات التعليميّة والمنح الدراسيّة والتدريبيّة أدوات طالما استخدمتها الدول المتقدمة لبسط نفوذها الناعم في العالم من خلال طلاب المنح والبعثات، فهؤلاء هم قيادات المستقبل في بلدانهم".

وفي هذا المقام يجب الأخذ في الاعتبار أن من السهل التأثير على أعضاء البعثات التعليميّة والمنح الدراسيّة والتدريبيّة إلى الدول المتقدمة وتجنيدهم بالقوة الناعمة حتى تكون قلوبهم مع الدولة التي استضافتهم، حيث إن أولئك المبتعثين يلقون معاملة ليست متميزة عن المواطنين ولكنها ليست أقل مما يتمتع به أهل البلاد خاصة في المعاملات الرسمية والإجراءات البيروقراطية المتعلقة بدراساتهم ومعيشتهم.

ومن النماذج الواضحة على فاعلية المنح الدراسية لأبناء العالم الإسلامي والأقليات المسلمة كأدوات فعالة للقوة الناعمة، ما توليه مصر من اهتمام ورعاية للطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر، فقد أنشأت لهم في عام ١٩٥٩ م مدينة البعوث الإسلامية على مساحة ٥٠ فداناً للطلاب، ويوجد فيها فرع للطالبات، كما أنشأت مدينة أخرى في الاسكندرية وثالثة في دمياط. كما يجري حالياً إنشاء مدينة بعوث رابعة في محافظة قنا. ويبلغ عدد الطلاب المقيمين في مدينة البعوث ٣٠٠٠ طالب و ٣٥٠ طالبة، من أكثر من مائة جنسية. وقد تم إطلاق الرابطة العالمية لخريجي الأزهر من مختلف دول العالم في عام ٢٠٠٧م، وتأسست لها أفرع في ١١ دولة أوروبية وأسيوية ينشرون فكر الأزهر ووسطيته واعتداله في ربوع العالم. وقد أطلقت جريدة الأهرام على مدينة البعوث الإسلامية صفة "القوة الناعمة لمصر ومنبر الوسطية"، وأشارت إلى أن خريجين من البعوث يتقلدون مناصب رفيعة المستوى في بلادهم، منهم المفتون وعلماء الدين والوزراء والسفراء ورؤساء الحكومات.بل وأصبح بعضهم رؤساء لدولهم مثل أندونيسيا [٤٦].

كذلك فإن المغتربين الذين يعملون في المملكة في مختلف المهن يمثلون خامة طيبة للتأثير عليهم بالقوة الناعمة الكامنة في الشعب السعودي لمناصرة قضايا المملكة ونقل ثقافتها إلى بلادهم. حيث إن أولئك يقضون فترات طويلة من كل عام في العمل مع رفاق سعوديين وتحت إدارات سعودية، حيثما تستفيد المملكة من مهاراتهم وخبراتهم،

بينما يتشبعون هم بصورة غير مباشرة بالروح السائدة في المجتمع ويتبنون أسلوب الحياة الشائع في المملكة. وعند عودتهم إلى بلادهم ينقلون معهم تقاليد وفكرا سعوديا يؤثر على مجتمعهم المحيط بهم. ومع وجود نخب مثقفة وأصحاب مناصب حساسة بين هؤلاء المغتربين فإن ذلك سيؤثر بلا شك على سياسة بلادهم تجاه المملكة عند عودتهم واستلامهم مناصب لها دور في اتخاذ قرارات هامة بالنسبة للقضايا الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية التي تتصل بالمملكة.

وهنا يبرز الدور الشعبي في استخدام القوة الناعمة أو الدبلوماسية الشعبية السعودية، سواء مع الوافدين لتلقي العلم أو لأداء خدمات أو للقيام بعمل في القطاع العام أو الخاص في المملكة، للتأثير غير المباشر على مفاهيمهم بحيث يصبحون سفراء للمملكة بين قومهم. وهذا في حد ذاته يحتاج لتوجيه حكومي لتعزيز القوة الناعمة الشعبية في التأثير على القادمين إلى المملكة سواء للزيارة أو الإقامة؛ حيث إن القاعدة الوطنية السعودية من الركائز الهامة لتلك القوة.

وتأثير المعايشة في العمل، خاصة، تأثير غائر في النفس، فالولاء للعمل يصحبه ولاء للبلد التي يعمل فيه الشخص بصرف النظر عن البيئة التي عاش فيها صغيرا. لهذا يشيع القول بأن الشعب المصري أو الشعب الأردني قد تسعود من خلال أفراد نسبتهم ضئيلة ولكن تأثيرهم محسوس في المجتمع.

وفي دنيا الوطن[٤٧] سرد لوقائع لقاء الأمير سلمان بن عبد العزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع، وحواره مع مجموعة من طلاب جامعة هارفارد بحضور أحد أساتذتهم، حيث "طرح الأمير سلمان في حواره مع الطلاب الأميريكيين، رؤى لكثير من القضايا المحلية المتعلقة بالإصلاح والديمقراطية والمرأة والشورى". إذ ابتدر الأمير سلمان الطلاب الأميريكيين بقوله: "أنا جدا مسرور أن أراكم هنا في المملكة العربية السعودية لكي تطالعوا الأمور والأشياء على حقيقتها وطبيعتها. وطالما قلت: إن المشكلة في (عدم المعرفة).. فمن يعرفنا على حقيقتنا لا مشكلة معه قط، لأن معرفته هذه تقوده إلى فهم أوضاعنا.. ليس بالضرورة أن يوافق على منهجنا، ولكنه يتفهم أن لكل مجتمع خصائصه وتقاليده وأعرافه وقيمه وخياره الحضاري. ولكل مجتمع - كذلك

- حساباته في حركة تطوره". وأجاب البروفسور الذي يقود المجموعة الطلابية من جامعة هارفارد برد هام: "يسرني أن أتكلم نيابة عن نخبة من طلبة هارفارد يزورونكم في صحبتي، وهم نسيج متنوع من الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا الجنوبية، وأوروبا. وهذه (النخبة الدولية) من الطلاب يدرسون الأعمال، وسوف يصبحون في المستقبل في مواقع القرار في بلادهم، ولذلك جاءوا لتخصيب معرفتهم بالتعرف على صناع القرار من أمثالكم وبطريقة مباشرة".

وفي هذا المجال أشار تركي الصهيل[٤٨] إلى أن الأمير تركي الفيصل، السفير السعودي السابق في واشنطن، شدد "على ضرورة الاعتماد على الدبلوماسية الشعبية لتحسين بعض الصور النمطية الخاطئة عن بلاده في كافة دول العالم". كما لفت الأمير تركي الفيصل إلى أن التحصن خلف أسوار الدبلوماسية لم يعد كافيا في عالم اليوم، مقللا من جدوى "الهمس في أذن زعيم الدولة التي تمارس فيه البعثة الدبلوماسية السعودية أعمالها"، فيما رأى أن "المهرجانات الشعبية طريقة مثلى لتأسيس أرضية مشتركة مع الشعوب الغربية في ظل التحولات الاجتماعية السريعة التي تتطلب التخلص من الانغلاق على الذات".

ويرى الدكتور خالد العجيمي[١٥] في حديثه عن المجتمع المدني أن القوة الناعمة لم تفعّل في المملكة بشكل جيد، مشيرا إلى أن عددا من مجالات القوة الناعمة التي يجب توافرها غائبة تماما، ويضرب مثلا بمنظمات المجتمع المدني التي من الممكن أن تكون لها إسهامات كثيرة وذلك لخدمة الشباب والمرأة ومكافحة الفقر، لافتا النظر إلى "أننا نحتاج إلى عدد وفير من هذه المنظمات لدعم هذا الجانب الحيوي والمهم". وأضاف: "آمل من وزير الشؤون الاجتماعية الدكتور يوسف العثيمين الذي تطرق لهذا الأمر من قبل، أن يهتم بهذا المجال وأن نجد استجابة منه لتسهيل التصريح لهذه المنظمات والجمعيات التي تخدم القطاعات المحتاجة في بلادنا". كما أشار إلى وجوب الاستفادة من عنصر الشباب وإشاعة روح التطوع بينهم ليخدموا بلادهم بشكل أكبر، معتبرا أن المجموعات الشبابية التي أقامتها جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، التي عنيت بإقامة مسابقة لتنظيف الشواطئ دليل على ذلك. وأكد أن هناك حاجة شديدة إلى زيادة المنظمات الاجتماعية، مشيرا إلى أن: "في الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها

ما يقارب نصف المليون منظمة اجتماعية تسهم في فتح باب التطوع بشكل دائم، مشددا على أهمية تفعيل صناديق السر التي تسمى في الشريعة الإسلامية بالعاقلة".

الفصل الرابع

المحور الجغرافي

- المساحة وعدد السكان بالنسبة لمنطقة الخليج
- الحدود البرية والبحرية
- الدول المجاورة

إن لمكامن القوة الناعمة علاقة وثيقة بالموقع الجغرافي والطبيعة الجغرافية للدولة وبهذا فإنها مرتبطة بالجغرافيا السياسية التي تبحث في تأثير الجغرافيا على السياسة؛ أي الطريقة التي تؤثر بها المساحة، والتضاريس والمناخ على أحوال الدول والناس. كما أنها تساعد في فهم السلوك السياسي للإنسان، إذ إنها تربط علاقة المكان الذي يشمل جميع مكونات البيئة الجغرافية بالسلوك السكاني بما في ذلك السلطة السياسية وصناع القرار. كما أن الجغرافيا السياسية تمثل علاقة تأثير وتأثر بين الجغرافيا والسياسة بصفة عامة وبالدبلوماسية الشعبية بصورة خاصة.

والرابط بين القوة الناعمة والدبلوماسية الشعبية والعوامل الجغرافية يفتح الباب لمجال علمي جديد يستكشف أفق القوة الناعمة الجغرافية التي تتضمن الآليات الجغرافية للقوة الناعمة والتأثيرات الجغرافية عليها.

والجغرافيا السياسية لا تختص بتأثير الجغرافيا على السياسة فحسب، ولكنها تختص أيضا بتأثير السياسة على الجغرافيا، فهناك الكثير من القرارات السياسية التي غيرت الوجه الجغرافي لمناطق كثيرة بالعالم كشق القنوات الكبرى كقناة السويس مثلا. ولقد كان قرار إنشاء قناة السويس سياسياً بالدرجة الأولى ولكن ما ترتب عليه كان تغيرا في المكان، أي الجغرافيا. وبسبب الجغرافيا كانت أثينا إمبراطورية بحرية، وبسببها أيضا كانت إسبرطة أقرب في طبيعتها إلى القوة البرية. وبسبب الجغرافيا أيضا، تمتعت الجزيرة البريطانية في القرن الثامن عشر بحرية الملاحة في البحار، في حين كانت بروسيا -وبسبب الجغرافيا أيضا - محاطة بالأعداء من جميع الجهات.

الجغرافيا السياسية عموما تشمل المناهج الجغرافية لدراسة العلاقات الدولية والنظم السياسية، كما تتضمن دراسة الأقاليم السياسية التي تنقسم إليها الأرض كظاهرة من مظاهر سطحها سواء أكانت الأقاليم صغيرة أو كبيرة؛ ودراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كظاهرات على سطح الأرض ومقومات وجودها وتطورها معتمدة على خصائص البيئة الجغرافية من حيث قوتها أو ضعفها واستقرارها أو تفككها.

وتعالج الجغرافيا السياسية النمط السياسي للعالم بما في ذلك تعقيدات تجزئة سطح الأرض المتباينة إلى وحدات سياسية تتفاوت في الحجم المساحي والسكاني تفاوتاً كبيراً،

وتغير الأنماط السياسية في حدودها ومقوماتها ومشكلاتها الناجمة عن تفاعل الإنسان ببيئته مما ينعكس على أوضاعها الداخلية وعلاقاتها الخارجية. كما تهتم الجغرافيا السياسية بمواكبة مظاهر التحول في رقعة الوحدات السياسية وسكانها ومواردها وعلاقاتها بالدول الأخرى، لذا فهي تتصل بعلوم أخرى عديدة تتضافر كلها لتحليل القوى الجغرافية طبيعيا وحضاريا واقتصاديا وعسكريا وتحديد علاقتها المتشعبة في المكان والزمان.

ويذكر نايف[٤٩] أن الاهتمام بالجغرافيا السياسية لم يكن موجودا في العصور الوسطى حيث كان كل الاهتمام منصبا على الأمور الدينية، وبدأ الاهتمام بالجغرافيا السياسية في القرن السادس عشر؛ إذ ربط الفيلسوف الفرنسي جين بودان (Jean Bodin) بين طبائع الناس والمناخ أو بين خصائص القومية والمناخ. وإن كان أرسطو أرسى مبادئها في تعرضه إلى الحجم السكاني الأمثل للدولة، والمساحة الأفضل للدولة؛ ثم تناول ابن خلدون لدورة حياة الدولة.

ومن أطروحات المفكر الفرنسي مونتسكيو (Montesquieu)؛ رائد الفصل بين السلطات في نظام الحكم، ربطه بين المناخ والسطح من القارات اليابسة والجزر، ودراسة أثرها على الشعوب والقوانين والنظم السياسية حيث وجد أن المناخ البارد سكانه يميلون إلى الحرية السياسية أما المناخ الحار فسكانه يميلون إلى الاستقرار في الحياة والحكم، بينما سكان السهول الفسيحة يميلون إلى تكوين الإمبراطوريات. أما الجبال والتلال فتعطي الشعور بالاستقلال والنزوح نحو الحرية، وسكان الجزر يميلون إلى الدفاع عن حرياتهم بدرجة أكبر من سكان اليابسة.

وأكثر العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الذين ساهموا في تطوير الجغرافيا السياسية هم من الجنسيات الألمانية، حيث نشر الجغرافي الألماني فريدريك راتزل (Friedrich Ratzel) كتابه (الجغرافيا السياسية) في سنة ١٨٩٧م. والجغرافيا السياسية عندهم تضم مجموعة من المفاهيم السياسية الرئيسة منها: جغرافية المستعمرات، الدولة والإقليم، الأمة والقومية، جغرافية الانتخابات، إضافةً للخطط الاستراتيجية الجيوبولتيكية التي حكمت العلاقات السياسية الحربية القديمة بل والحديثة

على أساس خصائص البيئة الجغرافية. كما روج كارل رتر (Carl Ritter) إلى أن الحضارات البشرية هي وجود عضوي داخل الطبيعة تولد ثم تنمو وتنضج وبعد مدة تموت، فهو ينظر إلى الطبيعة ككل ومن ضمنها هذا الجزء من الطبيعة.

وقد كتبت الدكتورة هبة عزت[٥] عن أن مفهوم القوة الناعمة ليس مفهوما ثابتا بل إنه يتغير بتغير:

- "وسائط وأدوات التأثير الثقافي وتحولاتها النوعية في ظل تحولات مفهوم المكان والجغرافيا".
- "رصيد رأس المال الأخلاقي (زيادة ونقصانا) للدولة التي تريد أن تلعب دور النموذج المحتذى في تطبيق القوة الناعمة".
- "رأس المال العيني الذي تستثمره الدولة في مجال القوة الناعمة من مخصصات وموازنات ليمكنها من ممارسة النفوذ والتأثير".

فالدول قد تضن بالاستثمار الكافي لأسباب توازنات انتخابية أو تحالفات حزبية فتضعف قدرتها على القوة الناعمة، أو تهدرها "بالكلية فتفقد أدوات هامة في تحقيق مصالحها في الممارسة السياسية الإقليمية والدولية، ويبدو الأمر جليا في الأزمات حين ينكشف القصور".

المساحة وعدد السكان بالنسبة لمنطقة الخليج

في عرض للتأثير السياسي لموقع الدولة بالنسبة لدول الجوار يشير نايف[٤٩] إلى أن قرب الدولة من دول أخرى يمنحها بعض الميزات كما يفرض عليها كثيرا من التبعات التي قد ترهقها، خاصة حينما تكون الدولة الكبرى مساحة بجوار دول صغرى، سواء في المساحة أو تعداد السكان، حيث يصبح للدولة الكبرى نفوذ سياسي على الدول الصغيرة القريبة، ولكن ذلك النفوذ تصحبه مسؤوليات جسام. على سبيل المثال الدولة الكبرى قد تطلب من الدولة الصغيرة المجاورة بعض المطالب كأن توقف الدول الصغرى تهريب الأسلحة، أو أن تكون رقابتها أكبر على الحدود، لكن الدول الصغرى تتحجج بإمكانياتها المحدودة، والتي لا تسمح لها بفرض رقابة أفضل، مما يجبر الدولة

الكبرى على تقديم بعض المساعدات - أيا كانت - للدولة الصغرى من أجل حل المشكلة التي بينهما؛ مثال لذلك الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك، والمملكة واليمن.

ويلعب حجم الدولة دورا كبيرا في تحديد قوتها، لهذا يري نايف أن الرقعة الجغرافية لها أهمية كبيرة في قضايا الدفاع فاتساع الدولة مثلا يعطيها ميزة تتمثل في صعوبة السيطرة عليها أو احتلالها. كما أن الحجم مهم أيضا في مدى تغلغل سلطان الدولة، فالدولة قد تعجز عن الحفاظ على الثقافة الموحدة للبلاد، إذا لم تملك آليات التواصل. وقد تستطيع نشر ثقافتها الموحدة إلى كافة أرجاء دولتها عن طريق العديد من الوسائل مثل الإعلام، على عكس غياب تلك الوسائل. كذلك فإن شكل الدولة (شكلها على الخارطة) يفرض عليها بعض السياسات، فالدولة التي لديها توازن في العرض والطول تجد فيها مناخا متنوعا وبالتالي أفضلية على غيرها. كما يخضع توزيع السكان في أغلب دول العالم للمناخ فقد تجد العديد من الأشخاص مثلا ينتقلون من المناطق الحارة إلى المناطق الأكثر برودة. و بالتالي تنوع مناخ الدولة يعطيها أفضلية.

ولقد شدد رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشورى السعودي، الدكتور صدقة يحيى فاضل[١٥] في الحديث عن القوة الصلبة على أن محاولة قياس مدى قوة أية دولة ترتكز أساسا على عناصر أساسية هي:

١) نوعية وتعداد السكان.
٢) الموقع الجغرافي.
٣) الواقع الطوبوغرافى.
٤) الموارد الطبيعية.
٥) قدرات السكان التقنية والصناعية.
٦) الإمكانات العسكرية.
٧) نظام حكمها وإدارتها - النظام السياسي - وهذا هو أهم العناصر.

إلى جانب ذلك توجد عناصر متفرعة أخرى للقوة، وإن كانت أقل أهمية من عناصر القوة الصلبة. "وفي الواقع إن كلا من هذه القوى يمكن إدراجها ضمن عناصر القوة

الصلبة". من بين القوى المختلفة؛ ثلاثة قوى:

١) القوة الناعمة: يمكن اعتبارها ضمن عنصر السكان باعتبار أن الحضارة هي ناتج إنساني.
٢) قوة التأييد الدولي المستمد من صداقات وتحالفات دولية معينة: يمكن إدراجها ضمن عنصر النظام السياسي.
٣) قوة الرضا الشعبي والتماسك الوطني للدولة: يمكن إدراجها ضمن عنصر النظام السياسي.

تلك الأنواع من القوى يمكن جمعها تحت لواء القوة الناعمة، هذا لأن التأييد الدولي والرضا الشعبي أو الوطني لا يتأتى إلا بتفعيل القوة الناعمة في السياسة الخارجية والداخلية.

وحقيقة الأمر، كما يراها الدكتور فاضل، أنه لا يمكن لأية دولة أن تستمر قوية، مهيبة الجانب، محترمة التوجه دون أن تملك قوة ناعمة بمضمون وقدر مناسبين. ولعل أهم عناصر القوة الناعمة "العقائد والقيم والمبادئ السامية، التي يقدرها ويحترمها غالبية البشر الأسوياء، في كل زمان ومكان، وفى مقدمتها مبادئ الحرية والعدالة والمساواة والديمقراطية والتكافل الاجتماعي وغير ذلك من القيم"، ولا يعلو على أهمية هذه العناصر سوى الالتزام الفعلى بتطبيق هذه المبادئ والقيم بحق، "فالتلاعب أو الادعاء بالتمسك بها، والتمويه بشأنها، له نتائج عكسية تماما، على الدولة المدعية، أو المتلاعبة". ويمكن في الواقع اعتبار تأييد الناس ورضا الرأي العام "لأية دولة فيما يتعلق بعناصر القوة الناعمة أن يعطى الدولة قوة ونفوذا، بينما أن السخط والمعارضة لدولة معينة في هذا الشأن ينقص من قدرها ويهز مكانتها ويضعف موقفها وقوتها".

ولعل من أفضل وأوضح الأمثلة التي تدعم هذه الحقائق، وفق ما يقول الدكتور فاضل:

- "ما كان لمصر من نفوذ واسع في العالم العربي بسبب ما كان يتوافر لديها من قوة ناعمة، في العقود الخامس والسادس والسابع من القرن الماضي".

- "ما عانت منه أقوى دول العالم في عهد إدارة الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن، وهي الولايات المتحدة، من ضعف ملحوظ في قوتها الناعمة، فهذه الدولة، تمتلك الآن أقوى قوة خشنة في العالم لكنها تفتقد- وبسبب سياساتها السلبية - تأييد معظم الرأي العام العالمي، خاصة في العالمين العربي والإسلامي، لتلاعبها وعدم التزامها الحقيقي بالمبادئ السامية حتى تلك التي تدعى حمايتها، فهي تشن العدوان تلو الآخر على بعض الشعوب، لتقتل أعدادا منهم، وتدمر بلادهم، دون مبررات صحيحة، وتؤيد الطغاة الصهاينة، وتعمل على تحقيق أهداف بشعة ضاربة بعرض الحائط كل القوانين والأعراف الدولية والإنسانية، ناهيك عن ممارسة الكذب والخداع، واستخدام المعايير المزدوجة". غير أن فشل الاعتماد على القوة الصلبة وحدها دعا الحكومة الأمريكية إلى التحول إلى سياسة تخلط بين استخدام القوة الصلبة والقوة الناعمة لحماية مصالحها حول العالم؛ مع التركيز على القوة الناعمة في الخليج.

ويؤكد الدكتور فاضل في التعقيب على استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لقوتها "هذه الحقيقة تثبت وجود خلل في القوة الناعمة الأمريكية وتضعف بالتالي الموقف العالمي العام لأمريكا رغم صلابة وتنامي قوتها الخشنة، وهذا ما قاله ـ صراحة وضمنا ـ المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما في كتاب أصدره في مارس ٢٠٠٦م بعنوان "أمريكا في مفترق طرق"، ولعل ذلك يؤكد هذه الحقائق، ويبعد عنها شبهة الرؤية المتحاملة كما قد يظن البعض، كما أن هناك تفاؤلا بأن تنجح إدارة الرئيس الحالي باراك أوباما في استعادة قدر كبير من القوة الناعمة الأمريكية التي افتقدتها على المستويين الإقليمي والعالمي".

ويضيف أحمد سلمان النصوح[٥٠] دولة قطر إلى الدول التي تلعب دور القوة الناعمة في المنطقة، حيث إنها تسعى لحل المشكلات في عدد من البلدان في المنطقة العربية والإسلامية. وهذا دليل على أن بإمكان الدول الصغيرة لعب دور القوة الناعمة في الأوضاع المعقدة. وقطر هي إحدى دول الخليج العربية التي لا تزيد مساحتها عن ١١,٤٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها البالغ حالياً نحو ٨٠٠ ألف نسمة من مختلف الجنسيات والإثنيات العرقية؛ وهي كثافة متوسطة للسكان. ولقطر حدود برية وبحرية

مع كلٍ من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، ولها حدود بحرية مع مملكة البحرين وأخرى مع جمهورية إيران الإسلامية. وصغر مساحة قطر وقلة عدد سكانها إلى جانب طبيعة حدودها الممتدة بحريا وبريا يجعل موقعها موقعا استراتيجيا هاما إلى جانب سهولة السيطرة عليها من الخارج. كل تلك عوامل تدفعها إلى تبني القوة الناعمة مع الجوار ومع كل الدول التي يمكن أن تصل لها بحرا؛ فالقوة الصلبة وإن صلحت للردع المؤقت فهي غير كافية لصد أي تعد عليها دون دعم من دول الخليج الأخرى.

وأوضح النصوح بأن قطر الدولة الصغيرة، "لم يكن لها أي صيت يذكر على المسرح السياسي عام ١٩٩٥، حيث كان الكل ينظر إليها باعتبارها دولة صغيرة وعادية، لكن ما حدث فيها بعد تولي سمو الأمير حمد بن خليفة آل ثاني مقاليد الحكم كان تحولا كبيرا، حيث انبثقت بدولة قطر طفرة في السياسة الخارجية والاقتصادية، وتطور العمران والبنى التحتية والتعليم والإعلام الممثل بقناة الجزيرة". وأضاف بأن "كل هذه الإنجازات كانت نتيجة اكتشاف المزيد من حقول النفط والغاز العملاقة في أراضيها أو في المياه أو الجرف القاري المحيط بها، حيث تتربع دولة قطر اليوم على المركز الثاني عالمياً في إنتاج الغاز بعد جمهورية روسيا الاتحادية.

في المقابل فإن البعد الاستراتيجي للمملكة العربية السعودية بحكم موقعها الجغرافي ومساحتها وثقلها الاقتصادي والسكاني يمثل المحور الرئيس في منظومة مجلس التعاون لدول الخليج العربية، كما يمثل محورا مهما في منظومة الدول العربية والإسلامية. وتربط المملكة بحكم موقعها الجغرافي بين قارتي آسيا وأفريقيا، وموقعها على الخليج العربي، والبحر الأحمر، ويمثل كذلك مجال عبور جوي مهم بين الشرق والغرب. وعلى مقربة منها يقع اثنان من أهم الممرات المائية الدولية هما مضيق هرمز، ومضيق باب المندب.

إن التوزيع السكاني ومساحة المملكة الشاسعة وتضاريسها قد كانت وجاءً لها من الحملات الاستعمارية والاحتلال الأجنبي رغم موقعها الاستراتيجي، على عكس بعض مناطق الخليج شرقا وجنوبا والتي كانت محل أطماع للدول الأوروبية. وحتى بعد

اكتشاف النفط وتهافت الأطماع الأجنبية للسيطرة على حقوله، تمكنت المملكة المتوحدة بسياستها الناعمة أن تتفادى المواجهات العسكرية أو الخضوع لقوات محتلة أو لابتزاز الشركات الأجنبية. بل إنها استطاعت الحيازة على الدعم السياسي والأمني من الدول المستوردة للنفط.

بالنسبة لمكامن القوى الناعمة للمملكة العربية السعودية التي تتعلق بالمساحة الشاسعة التي تسيطر عليها وعدد السكان (بالنسبة لمنطقة الخليج) فإن تلك القوى تجلت تاريخيا في القدرة على توحيد الجزيرة العربية على اختلاف مشارب الناس وتوجهاتهم، ورغم وجود القبائل والبطون التي تصارعت في الماضي، ورغم تباعد الشقة بين التكتلات السكانية وترامي أطراف الأراضي التي تحت لواء المملكة، فقد تطلب ذلك قدرا كبيرا من توظيف القوة الناعمة إلى جانب قدر قليل من القوة الشديدة. بل إن الحفاظ على وحدة المملكة منذ تاريخ إنشائها لم يكن ليتحقق إلا بفضل الله ثم بفضل القوة الناعمة. إذ إن من الصعب على القوة الشديدة أن تجمع بين فرقاء من مختلف الهويات القبلية والعرقية وممن تتباين تقاليدهم وأعرافهم أو ترسخ من قواعد حكم يشمل الحضر والبدو. وحتى لو كان ذلك ممكنا لفترة قصيرة فمن الصعب الحفاظ على تماسك الدولة طويلا حيث إن الطبيعة الجغرافية والديموجرافية تحمل في طياتها دوافع التشرذم والتفكك.

هناك من يرى أن عنصر العامل الديموجرافي مكون هام في الحساب التقليدي لمكانة القوى الكبرى، فالصين والهند، الدولتان الأكثر ازدحاما بالسكان على كوكب الأرض، تتمتعان بموارد عمالية لا تنضب، مما يوفر لهما التأثير والنفوذ على الساحة الدولية. غير أن شيفر[١٧] يضرب مثلا مناقضا بما تعاني منه روسيا، في السنوات الأخيرة، من ارتفاع معدلات الإصابة بالإيدز وتناول الكحوليات، مما نتج عنه انخفاض معدل العمر المتوقع عند الولادة إلى ٦٥ عاما، وانخفاض معدل الخصوبة إلى ١,٤٪؛ وهو معدل أقل من معدل الإحلال الطبيعي. أي إن المؤشرات الديموجرافية في روسيا تشير إلى الانحدار مما يطرح التساؤل حول قدرة روسيا كقوى عظمى على وقف هذا التدهور. كما أن الواقع يشكك في أن غزارة السكان واتساع رقعة البلاد من دعائم القوة سواء كانت خشنة أو ناعمة. كما أن مكونات القوة لا تقتصر على القوة الاقتصادية أو عدد السكان فحسب، وإنما هناك عناصر أخرى تفتقر لها كل من الصين والهند وروسيا

الاتحادية في الوقت الحاضر.

ومن نعم الله على المملكة أنها تتمتع بالقوة الاقتصادية والشوكة السياسية رغم قلة كثافة سكانها، وبهذا فقد استبرأت من علل التعداد العالي من السكان وما قد يترتب عليه من صدام وأزمات داخلية توهن قدرة الدولة على توخي سبل القوة الناعمة، أو تضطر الدولة إلى التطلع إلى الخارج لتفرج عن أزماتها الداخلية بالاعتداء على الآخرين. ومن البديهي أن على القوى القائمة على غزارة الكثافة السكانية أن تميل إلى بناء القوة الشديدة كقوة رئيسة تعتمد عليها لتتمكن من منع تفكك الدولة بالردع والتخويف وللحفاظ على مصالحها، مع السعي الحثيث لتطويرها بغية توظيفها إذا خرجت الأزمات الداخلية عن طور التحكم. وفي الواقع أن القوة الشديدة كانت دائما وعبر التاريخ الملجأ الرئيس للدول كثيفة السكان كنوع من التصريف لأوضاع داخلية آيلة للانفجار. كما أن الإنسان في تلك الدول هو جزء من عتاد القوة الخشنة الذي يمكن أن يستبدل بسهولة، فهو مورد لا يكاد ينضب ما زالت الحروب تعتمد عليه رغم التقدم في مجال الأسلحة الذكية.

وقد شدد أستاذ الجغرافيا السياسية في جامعة القاهرة الدكتور عاطف عبدالحميد[٥١] على الاستفادة من القوة الناعمة الروسية ومحاولة التعلم من التعايش المشترك بين القوميات والإثنيات التي تضمها روسيا على مساحة جغرافية واسعة، مذكرا بأن لدى الطرفين العربي والروسي ظروفا متشابهة يمكن استغلالها بشكل مناسب لدفع العلاقات بينهما إلى المستوى المأمول. وحقيقة أن روسيا بوتقة تنصهر فيها الأعراق والعقائد المتباينة مما يشكل نموذجا للوحدة الوطنية في كثير من الدول العربية خاصة مع وجود إثنيات مختلفة على حدودها مع الدول المجاورة.

ومن المكامن الأخرى للقوى الناعمة للمملكة القدرة على حماية المساحة الشاسعة التي تسيطر عليها المملكة من التعديات الخارجية رغم قلة عدد السكان (بالنسبة لمنطقة الخليج)، دون أن تدخل في مواجهات مع دول الخليج في الشرق أو أن تشتبك في معارك متواصلة على حدودها البرية والبحرية الأخرى، فباستثناء فترات استلزمت أخذ إجراءات دفاعية خشنة فإن القوة الناعمة وفرت حلولا سريعة للأزمات. بل إن فاعلية استثمار القوى الناعمة للمملكة محليا وإقليميا ضاعفت من مخزونها الطبيعي للقوى

الناعمة التي يمكنها استثمارها عالميا.

الحدود البرية والبحرية

أظهرت الحرب المحدودة التي اندلعت على الحدود الجنوبية للمملكة بسبب المتسللين من الأراضي اليمنية أهمية المدى الحيوي والاستراتيجي للأمن الوطني ؛ ومن ثم فإن امتلاك جيش قوي بعدته وعتاده لتأمين الأمن الداخلي لا يبدو كافيا؛ ولهذا يرى سليمان العقيلي أن "الأمن الشامل أصبح ضرورة الآن بعد قيام عصابات إرهابية وعنيفة بمشاغلة دول كبرى بالتحديات الأمنية". وهذا الأمن الشامل لا يتحقق بالقوة العسكرية وحدها، إذ إن القوة الشديدة قد تستطيع دفع العناصر المتسللة إلى خلف الحدود حتى تستعيد قوتها، ولكنها غير قادرة على استئصالها خاصة وأنها ليست قوات نظامية ذات أهداف عسكرية واضحة. هذا بينما بإمكان القوة الناعمة والدبلوماسية الشعبية التعامل مع تلك الاختراقات.

وفي نقاش حول علاقة موقع الدولة وأمنها واقتصادها يؤكد علي سيف حسن[٥٣]؛ رئيس منتدى التنمية السياسية ومستشار وزير التخطيط والتعاون الدولي اليمني، على ضرورة توظيف القوة الناعمة في بناء واقع جيوسياسي متين يجمع اليمن مع دول مجلس التعاون الخليجي، يربط الأرض بالأمن والاقتصاد، ويعزز الدور الحيوي لمجمل دول الإقليم. هذا لأن طول الحدود البحرية لليمن ومخاطر تهريب الأسلحة والمخدرات إلى الدول المجاورة خاصة مع وجود صراعات عسكرية في دول القرن الأفريقي المطلة على الجانب الآخر من البحر الأحمر وخليج عدن، وخاصة الصومال واستمرار الصراعات والحروب الداخلية فيها، واستمرار الصراعات في القرن الأفريقي مما يؤدي إلى استمرار تدفق اللاجئين إلى اليمن وما ينشأ عن ذلك من تبعات تمتد إلى دول الجوار.

ويحذر العقيلي[٥٢] من مخاطر الوضع الصومالي على الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية حيث أصبح المرتزقة الصوماليون أدوات لإيذاء أمن الحدود. وبرز أثر تردي العلاقات الإرترية الإثيوبية على الأمن الإقليمي وبالتالي الأمن الوطني. فاستمر الوضع الصومالي بالتردي مما انعكس بالتالي على الأمن اليمني، ثم الأمن على

الحدود السعودية.

وهذا الوضع المتشابك والمعقد لا يصلح التعامل معه بالحلول الأمنية فقط، وليس بمقدور القوة الشديدة وحدها التصدي له، ولكن خبرة المملكة الطويلة في الدبلوماسية الشعبية في التعامل مع القلاقل الداخلية عبر تاريخها الطويل يعزز من قوتها الناعمة في حل هذه القضية، خاصة وأن المملكة تتمتع بوضع متميز مع دول الجوار بما فيها دول القرن الأفريقي. ومن مقومات القوة الناعمة السعودية التي تختلف عن كثير من أصناف القوة الناعمة اللجوء إلى درس جذور المشكلة والدوافع التي تكمن خلف هذه التعديات الأمنية.

الدول المجاورة

إن تأثير الاضطرابات في منطقة القرن الأفريقي لها تداعيات على أمن المملكة، كما هو الحال في الصومال على سبيل المثال. لهذا يؤكد العقيلي بالنسبة للمتسللين على الحدود الجنوبية "أهمية العمق الاستراتيجي في مفهوم الأمن الوطني حيث يظل أمن الدولة جزءا من أمن جيرانها وإقليمها الجيوبوليتيكي. لذا فإن الأمن الإقليمي وما وراء الإقليمي يمثل أولوية كبرى في الأمن الاستراتيجي لأية دولة". كما أن الأمن والاستقرار في اليمن غدا أمرا استراتيجيا هاما للأمن الوطني؛ لأن أمن الجيران يؤثر على أمن بعضهم البعض. ويضرب العقيلي[٥٢] عدة أمثلة على ذلك، تضمنت:

- استمرار القلق السوري من لبنان حتى ضمنت دمشق مصالحها الاستراتيجية والأمنية في لبنان.
- تنامي القلق المصري من الأزمات في السودان رغم أن القاهرة لم تفعل شيئا كبيرا لأمن نهر النيل في السودان وما وراء السودان. بسبب انشغالاتها السياسية، ربما في عملية السلام والوضع الفلسطيني، ثم في أمورها السياسية الداخلية مؤخرا.
- شدة القلق الباكستاني من اختلال موازين القوى في أفغانستان.
- الاختلالات السياسية في الوضع العراقي وأثرها على الأمن والاستقرار في

الخليج العربي. وكيف استفادت بعض القوى المحلية والإقليمية غير العربية من اختلال موازين القوى في العراق.

"لذا فإنه من المهم النظر في إعادة بلورة الأولويات السياسية والدبلوماسية وفق حاجات الأمن الوطني. وعدم القلق كثيرا بشأن ما يسمى الحساسيات الوطنية. لأن السكوت على أوضاع بلد شقيق أمر سيؤثر على الاستقرار والسلام في المنطقة".

وثبت بما لا يدع مجالا للشك أن إهمال الأوضاع في بلد ما بذريعة السيادة الوطنية أدى في بعض الأحيان إلى انهيار الدولة نفسها وزعزعة الأمن والاستقرار في إقليمها والعالم أجمع؛ كما هو الحال في الصومال وأفغانستان. ويضيف العقيلي "وفي النهاية يحصل التدخل الدولي الكامل بكل تبعاته السياسية وما يتركه من مشكلات. ولو أن تدخلا محدودا عن طريق الدبلوماسية أو أية وسيلة من وسائل القوة الناعمة حصل منذ البداية لما تدهور الأمر إلى مستوى الأزمة".

وفي عرض لدور القوة الناعمة في قضية الأيدي العاملة المهاجرة التي تتمثل في مئات الآلاف من اليمنيين العاملين في السعودية، ذكر حسن[٥٣] أن بعضهم أمضوا "معظم أعمارهم هناك (يعني المملكة) بل وولدوا وعاشوا هناك ولا يزالون، ولما لهم من سمعة طيبة فإن كل هؤلاء يمثلون قوى ناعمة في إطار الإمكانات المتاحة لليمن والتي عليها أن توظف هذه القوى الناعمة بخبرتها وعلاقاتها ومصالحها المتشابكة معها أو المتولدة من مصالح خليجية وذلك لتمتين وتوسيع المصالح الاستراتيجية لليمن".

وفي واقع الأمر أن ذلك التواجد اليمني التفضيلي لأهل الجوار يتماشى مع سياسة المملكة الناعمة تجاه جيرانها ويتماشى مع قيم المواطنين في المملكة الذين يؤمنون بوصية الرسول الله عليه الصلاة والسلام بالجار، ويتمثلون بأحاديث كثيرة عن أهل اليمن منها قوله عليه الصلاة والسلام:

- "أهل اليمن أرق قلوبا، وألين أفئدة، وأسمع طاعة"
- "أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يماني، والحكمة يمانية"
- "أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يماني والحكمة يمانية

والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم."

ويتحدث حسن[٤٣] عن دور الأيدي العاملة في توظيف القوة الناعمة بصورة تنفع المغتربين والدول المستضيفة "إن دولا عديدة قد سبقتنا بزمن طويل واستثمرت التواجد الاقتصادي للمجموعات المهاجرة منها والعاملة إلى البلدان الأخرى في توسيع في مصالحها الاقتصادية في البلدان المستضيفة لأبنائها المهاجرين والمقيمين بصورة دائمة وشبه دائمة لما لها من شبكة علاقات ومصالح وبما حققوا من انجازات وبذلوا من جهود، واستعدادهم لتسخير ذلك في خدمة بلدانهم. والأمثلة كثيرة ولعل أبرزها وجود الصينيين في كثير من دول شرق آسيا وهو ما سهل للصين في كثير من دول شرق آسيا نسج علاقات اقتصادية متينة مع تلك البلدان وترسيخها باستمرار رغم كل الظروف والتقلبات السياسية والاقتصادية. وهذا هو المغزى الكبير لاستثمار هذه القوة الناعمة في إطار تثمير المصالح، وهذا بعد آخر لهذه الميزة وركيزة أخرى لتوظيف الموقع الجيوسياسي لليمن في إطاره الإقليمي".

ولعل دور القوة الناعمة من دول الجزيرة العربية بإمكانها أن تتعزز أكثر بسبب حاجة مجلس التعاون الخليجي، بما في ذلك المملكة، لعمالة لا تترتب عليها مخاطر ثقافية واجتماعية يمتد ضررها إلى الهوية الوطنية والدينية لشعوبه والتي أصبحت تستشرف مخاطر العمالة الأسيوية في بلدانها بعد أن أصبحت هذه العمالة تشكل نسبة هامه من السكان في هذه الدول. ويري حسن أن "أي استزادة من العمالة الأسيوية هي استزاده من تلك المخاطر التي ينبغي التقليل منها باستبدال جزء من تلك العمالة بعمالة إقليمية لها نفس الهوية الدينية والقومية. ومن نافلة القول أن اليمنيين هم أكثر الناس تجانسا وتقاربا مع أهلهم في الخليج العربي".

ويختتم حسن مقاله مشيرا إلى أن "استثمار الجغرافيا في علاقات القوة أمر لا بد منه"، فالمهم هو أن يكون النطاق الجغرافي بعيدا عن ميدان التنافس والتنازع والصراع بين القوى الخارجية، وأن يكون بالمقابل مساحة توفر عددا من الروابط الاقتصادية بالقوى الأخرى. "ومن خلال تطوير علاقاتنا الخارجية باعتبارها نقطة الانطلاق لتثمير الجغرافيا السياسية المرتكزة على مبادئ جيوسياسية محلية تتسق مع المنظومة الإقليمية والعالمية". فهذه ليست حقائق الأخوة والجوار والتاريخ فقط، "وإنما حقائق

الجغرافيا والأمن والاقتصاد جميعها تحتم على دول مجلس التعاون الخليجي وعلى اليمن بناء واقع جيوسياسي جديد وقوي يجمعها وتتعزز من خلاله مصالحها ومصالح المنطقة والعالم، وأن على اليمن تقييم أوضاعه ومنها وضعه الجغرافي من زاوية الأهمية الاستراتيجية في إطار الجغرافيا السياسة للعالم، وباعتباره عمقا استراتيجيا لجيرانه، ومن ثم صياغة مصالحه الاقتصادية وفقا لرؤية جديدة تعكس الحقائق الجيوسياسية للقرن الواحد والعشرون".

ولعل علاقة روسيا مع دول الجوار مثل يُحتذى به حيث إن هناك خصائص متعددة متشابهة بينها وبين المملكة حيث تشهد الفترة الراهنة عودة روسيا مجدداً للخريطة الاستراتيجية والاقتصادية العالمية، بعد أن نجحت في تحويل نفسها من قوة عظمى عسكرية منهارة إلى قوة عظمى ناشئة في مجال الطاقة. وترى فيونا هيل[٥٤] (Fiona Hill) أن الإسهام الأكبر لروسيا منذ عام ٢٠٠٠ أصبح في أمن واستقرار الدول الواقعة إلى جنوبها والذي يعتمد بالمقام الأول على القوة الناعمة، مثل تصدير الغاز الطبيعي لأوكرانيا ودول منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، وامتصاص الملايين من العمالة الفائضة بهذه الدول إلى مختلف المدن الروسية، وتوفير الأسواق لسلعها، ونقل الأموال إليها في شكل حوالات، وليس عبر الجيش الأحمر أو الوجود العسكري والمواثيق الأمنية.

وفي حال استمرار تدفق المهاجرين من الدول المجاورة على روسيا واستمرار الأنشطة الاستثمارية للشركات التجارية الروسية بهذه الدول، واستمرار شبابها في مشاهدة الأفلام الروسية والإقبال على المنتجات الاستهلاكية، وامتناع موسكو عن استخدام يدها الثقيلة بتلك الدول، وقيامها بدلاً من ذلك بمد يدها التجارية إليها، فإن هيل ترى أن روسيا سوف تحقق بذلك هيمنة اقتصادية وثقافية في المنطقة الأوروآسيوية تضاهي هيمنة واشنطن داخل الأمريكتين.

بيد أن استغلال موارد الطاقة الناعمة يتطلب قدراً كبيراً من المهارة، وهي حقيقة يؤكدها فشل الولايات المتحدة الأمريكية الراهن في الاستفادة من قوتها الناعمة المطلقة، والتصدي لتنامي مشاعر كراهيتها على المستوى العالمي. بالطبع قوة روسيا الناعمة لا تضاهي مثيلتها الأمريكية في الوقت الحاضر، ولكن "جوزيف ناي" الأستاذ بجامعة

هارفارد ومبتكر مصطلح القوة الناعمة التي تنشأ من ثلاثة مصادر: ثقافة الدولة، قيمها السياسية، وسياساتها الخارجية، يشير إلى أن الاتحاد السوفيتي سبق أن تمتع بقدر من هذه القوة الناعمة، لكن السياسات الوحشية التي كان ينتهجها ضاءلت من أثرها، أما اليوم، فإن موسكو في طريقها لاستعادة القوة الناعمة بالحجم الذي تمتعت به أثناء الحقبة السوفيتية داخل الدول المحيطة بها.

الفصل الخامس

المحور الاقتصادي

- النفط
- الثروات المعدنية
- المدن الاقتصادية
- مناخ الاستثمار
- القوة الاقتصادية
- المعونة الاقتصادية

النفط

يتوقع السيناتور الأمريكي الجمهوري ريتشارد لوجر (Richard Lugar) بزوغ عصر جديد من "القوى البترولية العظمى"، التي تعتمد في جزء من نفوذها وتأثيرها على امتلاكها حصة من النفط والغاز الطبيعي. وقد اتجهت دول أخرى بالفعل، مثل البرازيل واليابان لتجربة بدائل جديدة للطاقة منها: الوقود الحيوي، وذلك لتأكيد وضعية القيادة العالمية من خلال تطوير تكنولوجيا جديدة لزيادة كفاءة استخدام الطاقة، أو إيجاد بدائل للوقود غير المتجدد، حيث تعتبر الطاقة والموارد الطبيعية إحدى الأبعاد الهامة لامتلاك القوة، وستظل الطاقة إحدى الخصائص البارزة لنماذج القوة في القرن الحادي والعشرين، وفي ظل الضغوط الناجمة عن التغير المناخي، وحاجة الاقتصاديات الصاعدة للحفاظ على معدلات مرتفعة من النمو؛ فإن القضايا المتصلة بالطاقة ستكون حاسمة للدول الطامحة لوضع القوى العظمى.

ويؤكد شيفر[١٧] على أن القوة البترولية ستفوق القوة النووية في تحديد القوى العظمي في العالم فعلى سبيل المثال، ارتبطت عودة روسيا من جديد للساحة الدولية بعد عقد من نهاية الحرب الباردة بصورة أساسية بالثروات التي تجمعت لديها جراء الطلب العالمي المتزايد على النفط والغاز الطبيعي وارتفاع أسعارهما.

وبالنسبة لدور النفط في البعد الاقتصادي للمملكة العربية السعودية فإن الحلوة [١٨] يشير إلى أن المملكة "تمتلك احتياطيا يقدر بحوالي ٢٦٥ مليار برميل من البترول الثابت وجوده، وهذا يمثل ٢٠ في المائة من احتياطي البترول العالمي، وتعتبر المملكة الأولى عالميا في مجال تصدير البترول، حيث تصدر يوميا ٧,٣ مليون برميل من الخام والمنتجات البترولية، وهذا يشكل ١٥ في المائة من الصادرات العالمية، وتلعب المملكة دورا محوريا في منظمة الأوبك، وتراعي في سياستها البترولية مصالح كل من المنتجين والمستهلكين للبترول، كما تراعي استقرار سوق البترول العالمية.

وفي دراسة للدكتور خالد عثمان اليحيى وناتالي فوستيير[٥٥] من المعهد العالي للسياسات العامة (GPPI) ببرلين في ألمانيا، يقول الباحثان إنه بغض النظر عن الخلفية الثقافية والتاريخية للمملكة العربية السعودية، فإن الحضور المهم والمتنامي للمملكة في

الساحة الدولية، بوصفها أكبر منتج للنفط في العالم وأكبر اقتصاد في الشرق الأوسط، وعضواً في مجموعة العشرين الكبار(G20) يدفع المملكة إلى المشاركة في معالجة مشكلات العالم الأوسع ،باستخدام القوة الناعمة المتمثلة في تقديم المساعدات الإنسانية بإعتبارها وسيلة رئيسة للتأكيد على إلتزامات المملكة وممارسة نفوذها الدولي المتزايد، وبصفة خاصة في البلاد الواقعة خارج العالمين الإسلامي والعربي مثل كينيا ونيبال وهايتي.

ويضيف الباحثان بأن المساعدات الإنسانية قد تكون وسيلة وهدفا لتعزيز الحوار بين الأديان والثقافات الذي بدأ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بمبادرة من الملك عبدالله، وهي المبادرة التي أطلقها الملك عبدالله "لإيجاد قضية مشتركة وتعزيز روح السلام من أجل محو وجهات النظر المتطرفة " على نحو ما ورد في نشرة أصدرتها السفارة السعودية في واشنطن في عام ٢٠٠٨م.

وقد تعاظمت أهمية المملكة العربية السعودية آليا بزيادة عائداتها من النفط مما جعل هنري لورانس[٥٦] يقول إن الملك فيصل – رحمه الله - عرف كيف يستخدم امكانيات بلاده المالية المتزايدة باطراد لتوطيد مكانتها. وكان الإسلام هو أداة نضاله، حيث شجع كل الدول العربية على الاعتراف بالمنظمات الإسلامية، وفي عام ١٩٦٥- ١٩٦٦م طرح العاهل السعودي صيغة ميثاق إسلامي ودعا لعقد قمة إسلامية، كبديل للزعامة المصرية في العالم العربي، مما دفع عبدالناصر إلى اتهامه بمحاولة إعادة حلف بغداد تحت اسم الحلف الإسلامي، وبذلك وجد عبدالناصر نفسه في موقف الدفاع، وفي ذلك دليل على تغير الظروف.

ثم إن السياسة الخارجية للدول؛ قبل اكتشاف النفط، كانت تعتمد على خمسة عناصر؛ وهي:

١) الموقع الجغرافي
٢) عدد السكان
٣) القوة العسكرية والمعنوية

٤) النظام الداخلي للدولة

٥) الموارد الطبيعية (في القرن الواحد والعشرين).

إضافة إلى ذلك يعتقد العلمي[٩] أنه لا مراء في أن النفط الذي يعتبر العامل المشترك بين العراق وليبيا، "أسال لعاب الغرب المتعطش إليه، فنجح باستخدام القوة الناعمة في أروقة الأمم المتحدة لتوفير غطاء الضربة الجوية على العراق وليبيا. أما افتقار مصر وتونس واليمن للذهب الأسود فقد أدى إلى تراخي المجتمع الدولي في استخدام القوة الناعمة ضدهما والتدخل في ثوراتهما، فأنقذهما عدم توفر هذا العامل المشترك من الضربة الجوية على أراضيهما".

ومن جهة أخرى يؤكد الدكتور وليد السديري[٢٥]؛ عضو هيئة التدريس بكلية العلوم السياسية، أن المحافظين الجدد استغلوا أحداث ١١ سبتمبر لتنفيذ أجندة سياسية تم الإعداد لها سابقاً، وتتضمن تغيرا في السياسة الخارجية الأمريكية لكي تتدخل في الشؤون الداخلية للدول بذريعة محاربة الإرهاب، وتستهدف الإسلام والسعودية بصفتها رمزاً للمسلمين لوجود الأماكن المقدسة فيها، وتنفرد بالعمل فيما يخص سياستها الخارجية، وتحاول التأثير في البنية الثقافية الخاصة للدول.

ووصف السديري الفترة بعد هجمات سبتمبر بأنها "حملت الكثير من التهديدات للمملكة وأهمها: الهجوم على الإسلام والسعودية، والتقليل من أهمية النفط السعودي ودور المملكة كمصدر موثوق للطاقة، والتشكيك في وحدة وهوية الدولة والمجتمع السعودي.

وأكد السديري أن المملكة نجحت في اتخاذ تدابير عدة في مواجهة هذه التهديدات مباشرة بعد أحداث سبتمبر، ففيما يخص الهجوم عليها وعلى الإسلام تقدمت بمبادرة السلام العربية ٢٠٠٢، وحضرت المؤتمرات الدولية لمكافحة الإرهاب ومنها المؤتمرالذي عقدته في الرياض في عام ٢٠٠٥، وأقامت حوار الأديان الذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين بالرياض في ٢٠٠٨م، إضافة إلى التحركات الدبلوماسية الفعالة للقيادة. وواجهت المملكة التقليل من شأن النفط السعودي ودور السعودية كمصدر موثوق للطاقة بتوفير إمدادات الطاقة والحفاظ على استقرار الأسعار والدعوة للحوار

بين المستهلكين والمنتجين، وبتطوير مؤسسات الدولة والمجتمع، وإقامة منتدى الحوار الوطني.

ومن الواضح أن سياسة القوة الناعمة التي تسير عليها المملكة العربية السعودية كمصدر موثوق لتأمين امدادات الطاقة والمحافظة على استقرار الأسعار مما أكد مكانتها القيادية في هذا المجال الحيوي، وكان لها أثر كبير في تحول روسيا إلى سياسة القوة الناعمة بعد تزايد مواردها من النفط والغاز رغم امتلاكها لكل مقومات القوة الخشنة بمافي ذلك الأسلحة النووية وجيش تقليدي هائل، فقد امتنعت موسكو عن تخصيص عوائدها الجديدة من مجال الطاقة لتعزيز إنفاقها العسكري على حساب القطاعات الأخرى.

وتشير هيل[٥٤] إلى أن روسيا قد تخلت تدريجيّاً منذ عام ٢٠٠٠ عن التوجه السوفيتي القائم على الإبقاء على نشر قوتها العسكرية؛ لضمان الحفاظ على مكانتها الجيوسياسية. وبدلاً من ذلك، تحركت موسكو في اتجاه حشد واستغلال مواردها الاقتصادية؛ لتشجيع جيرانها على التعاون مع سياساتها الإقليمية بدرجة أكبر.

وعليه، ورغم الحرب الدائرة في الشيشان والمواجهات المتكررة مع جورجيا، ترى هيل أن دول المنطقة لم تَعُد تتوقع غزواً روسيّاً، بل عادت جاذبية النموذج الروسي خاصة مع استغلال روسيا ثقافتها الشعبية واللغة الروسية، باعتبارها اللغة الإقليمية للتجارة والتوظيف والتعليم داخل دول الاتحاد السوفيتي السابق.

ويرى شيفر[١٧] أنه مما لا شك فيه أن التحول في ديناميات القوة العالمية وبروز قوى صاعدة يظهر ليس فقط في صورة عناصر جديدة للقوة، بل أيضا في صورة مجموعة من التحديات العالمية المشتركة، هي التي ستحدد قدرة القوى الكبرى الحالية والصاعدة على اجتياز هذه التحديات معا، أو بصورة فردية. ومن أهم التحديات العالمية الجديدة الطاقة والموارد الطبيعية. إذ إنه نتيجة للطلب المتزايد للقوى الصاعدة على موارد العالم من الطاقة والغذاء والماء، سيشهد القرن الحادي والعشرين عودة التنافس الجيوسياسي والاقتصادي، وبالنظر إلى النظام الدولي الجديد للطاقة، يرى مايكل كلير (Michael Klare)، المحلل المتخصص في شؤون الدفاع، أن وضعية الولايات المتحدة كقوة

عظمى تتراجع نتيجة النفوذ المتزايد للقوى البترولية مثل روسيا، مما يهدد بعودة أجواء الحرب الباردة، وينصح أمريكا بتعزيز التعاون مع الصين لتطوير بدائل جديدة للطاقة مثل الوقود الحيوي.

وذكر تقرير أصدرته وكالة الطاقة الدولية حول توقعات الطاقة العالمية لعام ٢٠٠٧، أن نمو الطلب المتزايد على الطاقة من قبل الهند والصين سيؤدي إلى حدوث تحول في النظام العالمي للطاقة، ورأى التقرير أن القوى الكبرى ستتنافس لضمان أمن الطاقة على المدى البعيد إذا لم تجد آليات للتعاون والمشاركة فيما بينها.

وقد اعتمد سوق الطاقة العالمي لفترة طويلة على الافتراض القائم على أن الولايات المتحدة، بوصفها شرطي العالم والمسؤول عن توفير السلع العامة، سترغب في استخدام القوة لضمان تدفق الطاقة. وفي تفسيرهم لعسكرة موارد الطاقة، يرى خبراء في أمن الطاقة، مثل جيمس راسيل ودانيال موران، أن أسواق الطاقة الدولية دائما ما تكون مدعومة بشكل غير مباشر بالقوات المسلحة للقوى الكبرى، خصوصا القوى البحرية الكبرى (بريطانيا في الماضي، ثم أمريكا حاليا)، بحيث تتمثل مصالحها في ضمان توسيع التجارة الدولية والحفاظ على حرية انتقال السلع عبر أعالي البحار.

الثروات المعدنية

المملكة لديها مخزون هائل من الثروات المعدنية التي لم تستخرج بعد، ناهيك عما ينقب عنه في الوقت الحاضر. وذلك يكون بمثابة قوة للدولة التي تملك الموارد شريطة وجود قوة تحمي تلك الموارد حتى لا تكون عرضة لتعدي الدول ذات المطامع. وهذا في حد ذاته يحتاج إلى الحنكة السياسية أو القوة الناعمة للاستفادة من تلك الثروات المخزونة لحماية تلك الثروات من العبث بها واستهداف الوطن للحصول عليها، وفي نفس الوقت يمكن الاستعانة بفنيين من أي مكان في العالم لاستخراجها والحصول على عائد من التنقيب عنها وتنقيتها وثمن ملائم لما يطرح منها في السوق.

ويشكل قطاع الثروة المعدنية أحد روافد الاقتصاد الوطني لما تكتنزه الأراضي السعودية من ثروات معدنية واعدة ومتنوعة، ووفق وزارة البترول والثروة المعدنية

السعودية[٥٧] فإن هذا القطاع "حقق بفضل الله نموا متسارعا خلال السنوات الماضية ومن المتوقع بمشيئة الله تعالى أن يسهم بنسبة ٧٪ من إجمالي الناتج المحلي خلال السنوات القليلة القادمة في ظل المشاريع التعدينية الكبرى التي سيشهدها هذا القطاع.

وقد قامت الوزارة، بالسعي لتحقيق أهداف الدولة في تنويع مصادر الدخل وذلك من خلال تشجيع الاستثمار والتحفيز لاستغلال المكامن المعدنية الفلزية واللا فلزية والعمل على استقطاب المستثمرين المحليين والأجانب لممارسة مختلف أوجه الأنشطة التعدينية بدءا من مراحل الاستطلاع والكشف والاستغلال المعدني حتى مراحل الصناعات التعدينية والتحويلية. ومن هذا المنطلق فإن وزارة البترول والثروة المعدنية تعمل على تهيئة مناخ استثماري جذاب، يوفر فرص الاستثمارات التعدينية لرجال وسيدات الأعمال من السعوديين والأجانب.

وقد منحت وزارة البترول والثروة المعدنية السعودية "١٧٠٠ رخصة استثمارية للقطاع الخاص في قطاع التعدين، وذلك بقيمة استثمارية تجاوزت ١٠٠ مليار ريال (٢٦,٦ مليار دولار) بنهاية عام ٢٠١٠م. ويبلغ عدد المناطق المحجوزة للتعدين ٢٨٠ مجمعا تعدينيا تزيد مساحاتها على ٦٤ ألف كيلومتر مربع. كما بلغت إيرادات المستثمرين القائمة على صناعة استغلال الثروات المعدنية المحلية ١٦ مليار ريال (٤,٢ مليار دولار). من بين تلك الرخص رخصة تعدين لاستغلال الزنك والنحاس والفضة والذهب من موقع منجم المصانع الواقع على بعد ٩٠ كيلومترا شمال غربي مدينة نجران. وقدر الاحتياطي من الخام بالموقع بما يقارب ٩ ملايين طن، ويعتبر هذا المنجم أول منجم زنك في السعودية في منطقة نجران (جنوب البلاد)، حيث تقدر طاقته التعدينية الإجمالية بنحو ٧٠٠ ألف طن سنويا من خامات الزنك والذهب والفضة والنحاس. وتجري إدارة المنجم مفاوضات مستمرة مع المصاهر العالمية في الصين وأوروبا لصهر مركزات النحاس والزنك، مع احتمالية صهرها في المملكة، أما سبائك الذهب والفضة فسيتم صهرها بالمملكة لتوفر المصاهر [٥٨].

ويجري تطوير المنجم، بحيث يشمل الحفر والتفجير والنقل وعمليات التهوية، ويتم تعدين ٧٠٠ طن من الخام سنويا، حيث قامت الشركة بأعمال حفر أنفاق منجمية بطول

٣٧٠٠ متر، وتنفيذ حفر ماسي مكثف داخل المنجم لما مجموعه أكثر من ٢٠ ألف متر من الحفر الماسية، وذلك بواسطة ١٦٨ حفرة من الداخل، وستسهم مرافق التعدين في إنتاج ٣٤ ألف طن سنويا من مركزات النحاس، و٤٥ ألف طن من مركزات الزنك. وبحسب دراسة الجدوى الاقتصادية للمنجم، فإن احتياطي الخام يكفي للتزويد أكثر من ١٢ سنة بمعدل متوسط التعدين ٧٠٠ ألف طن سنويا، مع وجود مؤشرات إيجابية لاستمرار عمليات التعدين لفترات زمنية أطول. علما بأن كمية الخامات المستخرجة في نفس العام من أراضي المملكة تقدر بما يزيد على ٣٥٠ مليون طن.

وقد صرح الشريف عبد الرحمن[٥٩] نقلاعن مصادر مطلعة في اللجنة التنفيذية بمجلس الاستثمار في نجران لجريدة الشرق الأوسط، بأنه تم منح رخصتي كشف عن المعادن النفيسة ومعادن الأساس الزنك والنحاس والرصاص في موقعي كتنه والعرين الواقعين شمال غربي مدينة نجران، وتبلغ مساحة الرخصتين ٢٠٠ كيلومتر مربع.

المدن الاقتصادية

إن التنمية الاقتصادية وما يترتب عليها من قوة اقتصادية هي أقوى سلاح في منظومة القوة الناعمة لأي دولة، ولهذا حرصت المملكة أن تكون سباقة في هذا المجال الحيوي الذي يعزز من مركزها بين الدول المتحضرة. وقد حبيت المملكة بنعمة استحداث الصناعات التي تعود على البلاد بعائد طويل المدى وبالقدرة على دعم الشركات الصغيرة والمتوسطة واحتضان المشاريع التجارية والصناعية والاقتصادية. ولقد أتاح ذلك الفرصة لتأسيس مدن اقتصادية لدعم الاقتصاد الداخلي واستقطاب الشركات الأجنبية القادرة على تطوير اقتصاد المملكة.

يقول العلمي[٦٠] "نحن اليوم في أمس الحاجة لهذه المدن الاقتصادية. لاستيعاب قوة العمل الوطنية القادمة، وعلينا تشجيعها لتمارس مهامها وتحقق أهدافها وأغراضها، والتي من أهمها رفع نسبة النمو الاقتصادي الحقيقي سنوياً، وزيادة الصادرات غير النفطية" وترسيخ مبادىء الاقتصاد المعرفي. وقد وضعت المملكة حجر الأساس لخمس مدن اقتصادية بمواصفات عالمية وبتكلفة أولية فاقت قيمتها مئة مليار دولار، تهدف إلى تطوير صناعة الطاقة وتنشيط قطاع الخدمات واستقطاب المعرفة وتوطين التقنية

وتوفير الوظائف، بدأ تنفيذ أولى هذه المدن في قرية رابغ على شواطىء البحر الأحمر لتحمل اسم راعي مسيرة الإصلاح الاقتصادي الملك عبدالله بن عبد العزيز.

ومن المتوقع أن تحقق هذه المدن تنويع القاعدة الإنتاجية، وإثراء القيمة المضافة المحلية، وتخفيف الاعتماد على النفط كسلعة وحيدة للدخل، إضافة إلى توفير الفرص الوظيفية وتوطين التقنية وإثراء المعرفة.

كما أكد العلمي "علينا الاقتناع بجدوى المدن الاقتصادية السعودية، ودعمها بكامل قوانا لترى النور وتؤدي دورها وتحقق أهدافنا التنموية". فهذه الخطوات الاستراتيجية، ليست ضرباً من أساطير الخيال، بل هي الخيارات الوحيدة المتاحة لتحقيق أهداف مسيرة الإصلاح الاقتصادي الرامية إلى الفوز بالمراكز الأولى عالمياً في صناعة وأبحاث وخدمات الطاقة بجميع أنواعها، والمياه بكافة مصادرها، وابتكار تقنياتها، وتسجيل براءات اختراعها، وتطوير معدات وأجهزة محطاتها وقطع غيارها.

وقد سجلت شبكة الإعلام العربية[٦١] أن رئيس قطاع التسويق والإعلام في "الهيئة العامة للاستثمار" السعودية فهد حميد، أعلن أثناء مشاركته في "منتدى المنشآت الصغيرة والمتوسطة" الذي نظمته غرفة الشرقية إطلاق الهيئة برنامجاً في المدن الصناعية يوفر الخدمات الحكومية فيها على مدار الساعة؛ حيث إن "إطلاق البرنامج يأتي تجسيداً لمبادرة الهيئة في رعاية الشركات السعودية الأسرع نمواً، التي تشمل محاور عدة أبرزها التركيز في المرحلة المقبلة على تحسين البيئة التشريعية والتنظيمية التي تحكم عمل الشركات، والتوسع في خدمتها استثنائياً"، هذا لأن "ذلك يتم عن طريق مراكز الأعمال التابعة للهيئة، بهدف تسهيل الإجراءات الحكومية لها، وتقديم التسهيلات التي تحتاجها".

كما أوضح فهد حميد أن "الهيئة وضعت هدفاً لخدمة ٥٠٠ شركة ناشئة في نهاية العام الحالي، على أن يتم اختيار الشركات بالتعاون مع الجهات المعنية برواد الأعمال، وفي مقدمتهم غرفة الشرقية"؛ وأعلن أن "العدو الأول للاستثمار والشركات الصغيرة يتمثل في البيروقراطية والروتين، وهذا ما تسعى الهيئة إلى وضع حلول جذرية له مع الجهات الحكومية المعنية". وأشار إلى أن شركة "أبراج كابيتال" أطلقت شركة

استثمارية برأس مال ملياري ريال (نحو ٥٠٠ مليون دولار)، ستساهم في تعزيز الشركات الأسرع نمواً.

وقد قام سعد بن إبراهيم المعجل[٦٢] بعرض لمنطقة سدير الصناعية التي أنشئت للتغلب على مشكلة الأراضي الصناعية في منطقة الرياض العائدة عن عدم توافر الأراضي الحكومية، مما أدى إلى تكوين لجنة لوضع تصور شامل للتوسع في المدن والمناطق الصناعية في منطقة الرياض. وقد أكدت اللجنة على الحاجة الملحة للتوسع في المدن الصناعية في منطقة الرياض، وأوصت بتخصيص المواقع المحاذية للمدينة الصناعية للاستخدامات الصناعية والأنشطة المرتبطة بها، كما أوصت اللجنة بمنح وزارة الصناعة والكهرباء مساحة لا تقل عن ١٠٠ كيلومتر مربع جنوب مدينة الخرج لتخطيطها كمدينة صناعية مستقبلية للصناعات الأساسية والصناعات البترولية والصناعات المساندة لها، كما أوصت بمنطقة للصناعات التحويلية. كما تم تخصيص مدينة سدير في محافظة المجمعة كمدينة للصناعات التحويلية. وذلك لتطوير مدينة الرياض وأمانة منطقة الرياض. وترجع أهمية قيام هذه المدينة الصناعية إلى ما لها من مردود اقتصادي ومجال للتوظيف، وتقليل الهجرة المكثفة لمدينة الرياض، ولتلبية حاجيات مدينة الرياض خاصة والمملكة عامة للمنتجات الوطنية ذات الجودة العالية والتكلفة المعقولة، وتحقيق هدف نشر التنمية العمرانية المتوازنة والنمو الاقتصادي.

و تملك مدينة سدير الصناعية في محافظة المجمعة مؤهلات تنموية عالية ففيها:

- الأرض واسعة وكافية للصناعات التحويلية لمدة ٣٠ عاما مقبلة.
- تقع المدينة على طريق الرياض ـ المجمعة ـ القصيم ـ حائل، وكذلك يمر بها طريق الثمامة ـ المجمعة، وتقع على طريق عشيرة ـ تمير وطريق جلاجل ـ تمير.
- يمر فيها خط المنتجات البترولية من ديزل وبنزين وكيروسين الممتد من الشرقية إلى القصيم.
- تم تخصيص جزء منها لشركة الكهرباء، وتم إنشاء محطة التحويل المرتبطة بالمحطة التاسعة على طريق خريص، كما تقرر أن تكون هي مركز الربط

الكهربائي بين دول مجلس التعاون.

- يمر بها طريق سكة الحديد (شمال جنوب)، وتم تحديد موقع محطة الحاويات فيها.
- قامت وزارة التجارة والصناعة بالتنسيق مع وزارة الزراعة والمياه بمناقشة الطرق المناسبة لتأمين احتياجات المدينة الصناعية في سدير من المياه وتم توقيع محضر بين الوزارتين يحدد الإمكانيات المتوافرة لحفر آبار جوفية لتأمين مياه الشرب للمدينة الصناعية، حيث تم تحديد عدد الآبار التي يمكن حفرها في موقع المدينة الصناعية، بحيث لا تؤثر على المتطلبات المائية لمدينة الرياض.
- المحور السكاني الذي تخدمه سدير الصناعية بين الرياض والقصيم واسع وكبير جدا، كما أن مدينة الرياض ستكون بمثابة مركز للصناعات المعرفية ونقطة التقاء محوري النقل البري بشقيه الطرق والسكك الحديدية، وستكون بمثابة منطقة توزيع للبضائع لجميع جهات المملكة بحكم موقعها الجغرافي المتوسط.
- المدينة جل سكانها من الشباب الذي يحتاج بجانب الغذاء والكساء إلى التعليم والتدريب والعمل.

ويرى المعجل أن دولا كثيرة، والمملكة على رأسها، في مختلف أصقاع المعمورة أدركت بداهة أن مشاريع التنمية العملاقة لا يمكن أن تنفذها إلا الحكومات، ولذا صرفت الكثير من الدول على إنشاء المدن الصناعية لاستقطاب الاستثمارات وتوطين الصناعة وغالبها من الدول محدودة الموارد ولكن استثمارها كان ذا عائد مرتفع والأمثلة كثيرة. وما تم في الجبيل وينبع ورأس الزور خير مثال.

مناخ الاستثمار

إن تهيئة مناخ الاستثمار الأجنبي في المملكة نوع من الانفتاح الناعم الذي يدعم من قدرات قوة المملكة الناعمة، حيث إن اندفاع رأس المال الخارجي لا يجري إلا نتيجة الاطمئنان إلى المجتمع السعودي والثقة بقوة السلطة القائمة الناعمة على حمايته. كذلك

فإن الاستثمار السعودي في الدول الأخرى ضرب من ضروب القوة الناعمة الموجهة للدول الأخرى. هذا لأن تأثير الاستثمار السعودي سواء من قبل الحكومة أو الأفراد في دولة أجنبية يشير إلى حسن النوايا والمودة والعكس صحيح.

خبراء الاقتصاد أجمعوا على أن الاستثمار الأجنبي هو الحل الأمثل لإثراء الاقتصاد المحلي في كافة دول العالم، وهو ما تؤكده النتائج الإيجابية في السوق السعودية، وفق العلمي[٦٣] حيث "ارتفعت قيمة مشترياته المحلية إلى ٢٢٥ مليار ريال، وفاقت مبيعاته ٣٩٥ مليار ريال، وزادت أجور عمالته السنوية عن ٢٩ مليار ريال، وحققت صادراته في العام الماضي ٥٨٪ من إجمالي الصادرات السعودية بقيمة وصلت إلى ١١٠ مليارات ريال، بينما لم تحقق صادرات الاستثمارات الوطنية سوى ٧٨ مليار ريال في نفس الفترة". ويري العلمي أن الاستثمار الأجنبي هو الحل الأمثل للقضاء على التستر، وإلزام الوافد المستثمر بدفع الضرائب، "حيث يشير تقرير مؤسسة النقد إلى أن هذه الضرائب فاقت ٧,٧ مليارات ريال في العام الماضي، مقارنة بالزكاة المدفوعة من الاستثمارات الوطنية خلال نفس الفترة والتي لا تزيد على ٦,٦ مليارات ريال".

ولقد قامت وزارة العمل السعودية بإطلاق مبادرة "نطاقات" الطموحة، التي تهدف لجذب الاستثمارات الأجنبية إلى جانب توطين مئات الألوف من الوظائف في القطاع الخاص. ويروي العلمي أنه عندما أطلقت وزارة العمل السعودية مبادرة نطاقات، "كانت نسبة توطين الوظائف المقررة في كافة النشاطات الاقتصادية ٣٠٪ ما عدا قطاع التشييد والبناء الذي تقررت نسبته ١٠٪ فقط. ومع ذلك فإن نسبة التوطين المحققة عبر السنوات الأخيرة انخفضت إلى ١,٨٪ في قطاعات الزراعة والغابات والصيد البري والأسماك، ونسبة ٦,٧٪ في التشييد والبناء، ونسبة ٩,٥٪ في النقل والتخزين والمواصلات، ونسبة ١٢,٦٪ في تجارة الجملة والتجزئة، ونسبة ١٢,١٪ في قطاع الصناعات التحويلية، بينما ارتفعت نسبة التوطين إلى أعلى من النسبة المقررة (٣٠٪) لتصل إلى ٥٩,٩٪ في قطاعات النفط والغاز والتعدين، ونسبة ٣٧,٥٪ في الكهرباء والمياه، ونسبة ٣١,٦٪ في البنوك والتأمين والأعمال والعقار".

ومن اللافت للنظر أن القطاعات المفتوحة للاستثمار الأجنبي؛ مثل البنوك والتأمين والنفط والغاز، حققت ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة توطين الوظائف تفوق النسبة المقررة، بينما أخفقت القطاعات المحظورة على الاستثمار الأجنبي؛ مثل التوزيع والنقل والتخزين والزراعة والمواصلات، في تحقيق الحد الأدنى لنسبة التوطين.

وقد أوضح تقرير الاستثمار العالمي لعام ٢٠١٠ الذي يصدر عن مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتطوير (United Nations Conference on Trade and Development) المعروف بالاسم المختصر أنكتاد (UNCTAD) أن إجمالي رصيد الاستثمار المباشر الذي حققته المملكة في عام ٢٠٠٩ بلغ ١,١٢٦ مليار ريال، حيث فاقت حصة الاستثمار الوطني ٥١٪ بمبلغ ٥٧٤ مليار ريال، وبلغت حصة الاستثمار الأجنبي ٤٩٪ بمبلغ ٥٥٢ مليار ريال. وأكد التقرير أن أمريكا احتلت المرتبة الأولى بنسبة ١٨٪ من حصة تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر في السوق السعودي، بينما احتلت الإمارات العربية المتحدة المرتبة الثانية بنسبة ١٢٪، وجاءت اليابان في المرتبة الثالثة بنسبة ١٠٪، ثم الكويت بنسبة ٩٪، ثم فرنسا بنسبة ٧٪، ثم هولندا بنسبة٥,٠٪ .

وقد حاز قطاع الصناعة على نصيب الأسد من تدفق الاستثمارات الأجنبية في السوق السعودي، حيث توزعت ١٧٪ من هذه الاستثمارات على الصناعة البتروكيماوية، وحوالي ١٤٪ على صناعة تكرير النفط، ونسبة ٨٪ على الصناعات التكميلية، ونسبة ٧٪ على صناعة التعدين، ونسبة ٤٪ على الكهرباء والتحلية، ونسبة ١٢٪ على البنية التحتية، ونسبة ١١٪ على الخدمات المالية، ونسبة ١٠٪ على المقاولات، ونسبة ٥٪ على النقل والاتصالات.

كما أشارت التقارير الرسمية الصادرة عن مؤسسة النقد العربي السعودي في منتصف عام ٢٠١١ إلى أن عدد العاملين في مشاريع الاستثمار الأجنبي بالسوق السعودي وصل إلى ٣٧٥,٠٠٠ عامل، منهم ١٠١,٠٠٠ سعودي، وأن نسبة السعودة في مشاريع الاستثمار الأجنبي فاقت ٢٧٪ بينما لا تزيد عن ١٠٪ في الاستثمارات الوطنية. هذه التقارير تؤكد أن عدد العاملين الأجانب في الاستثمارات الأجنبية لا يزيد على ٢٧٤,٠٠٠ عامل وبنسبة ٤,٥٪ من كافة عدد الوافدين إلى المملكة، بينما يفوق

عددهم ٥,٩٤٦,٠٠٠ عامل في الاستثمارات الوطنية، وبنسبة تفوق ٩٥٪ من كافة العاملين الأجانب في السوق السعودي.

كذلك تؤكد إحصائيات القوى العاملة في السوق السعودي أن هنالك ٤٤٨ ألف مواطن ومواطنة عاطلين عن العمل، بينما فاق عدد الوافدين ٨ ملايين، أغلبهم يعمل في القطاع الخاص بنسبة ٩٪ وافدين لكل مواطن. كما أوضحت إحصائيات مؤسسة النقد السعودي أن تحويلات الوافدين وصلت إلى ٩٨ مليار ريال في العام الماضي، لتقفز المملكة إلى المرتبة الثانية عالمياً بعد أمريكا في قيمة تحويلات العمالة الأجنبية. علماً بأن فجوتها تتفاقم بين الذكور والإناث؛ إلا أن معدلات البطالة من الجنسين وصلت في العام الماضي إلى ١٠,٥٪، وتفوق ٢٨,٤٪ بين الإناث، ٧٦٪ منهن حاصلات على شهادة البكالوريوس.

كذلك فإن الاستثمار في الخارج يوطد العلاقات البينية بين الدول؛ ويقوي من مكانة الدول المستثمرة وقواها الناعمة في الدولة التي يستثمر فيها. وهذا ما تلجأ إليه الصين بقوتها الناعمة حتى إنها تستثمر في سندات الحكومة الأمريكية. و تضرب خولة فريز النوباني[٦٤] مثلا بأثر الاستثمارات في الدول الأجنبية، فالصينيون يسيطرون على الاستثمارات المهمة في السودان وعلى أرضها، "بينما الدول الإسلامية تؤجل دوما الفرص الاستثمارية في انتظار القادم من الأيام وهل يحمل أمنا واستقرارا سياسيا، ولا تكفي التطمينات الحكومية من السودان في هذا الاتجاه، وفي المقابل تحقق الصين أرباحا هائلة مع كل يوم من تردد الدول الإسلامية في جرأة اتخاذ القرار الاستثماري، كل ذلك بسبب صعوبة فصل السياسة عن القرار الاستثماري فيما بيننا، بينما قد لا نتردد أبدا في الاستثمار في الدول الغربية".

وتضيف النوباني بأن "البعد المقاصدي للاستثمار بين الدول الإسلامية وبعضها بعضا يُلزمنا التفكير بطريقة مختلفة عن السائد ويُحتّم على أصحاب القرار إعادة النظر في اعتبارات عديدة وتغليب مصلحة الشعوب قبل كل شيء مع الأخذ بعين الاعتبار لإعادة النظر في الكفالات القانونية التي تضمن استمرارية التعاون والتكامل فيما بين المستثمرين بعضهم مع بعض وتحريرهم من قيود البيروقراطية السائدة في المؤسسات،

إضافة إلى امتيازات خاصة".

وهنا تشير النوباني[٦٤] إلى تجربة تركيا كدولة "تحتل المرتبة الثالثة في تصدير أجهزة التلفاز، وتقع ضمن لائحة الخمس الأوائل في إنتاج الذهب، والثامنة عالميا في صناعة البناء والسفن، بالرغم من أنها غير منتجة للبترول وتكلفها فاتورة الطاقة غاليا". كل ذلك نتيجة الأسلوب الاقتصادي المنبثق عن تفعيل القوة الناعمة، وهو نموذج "يستدعي الإشادة بنموذج إسلامي، وتعميق التكامل الاقتصادي معه".

القوة الاقتصادية

بالنسبة للقوة الاقتصادية أو الثروة يرى شيفر[١٧] أن الولايات المتحدة الأمريكية ما زالت، وربما ظلت أكبر اقتصاد عالمي بسبب ارتفاع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي. وهي تتخطى الصين التي بلغ متوسط نموها الاقتصادي حوالي ١٠٪ خلال العقد الأخير، وسيتضاعف هذا الرقم خمسين مرة بحلول عام ٢٠٥٠، وبالمثل بلغ معدل نمو الاقتصاد الهندي نسبة ٨٪ سنويا، ويتوقع أن تكون الهند واحدة من أكبر ثلاثة اقتصادات في العالم بحلول منتصف القرن الحالي، ووفقا لذلك، فإن الاقتصاد العالمي يشهد الآن تحولا من سيطرة أوروبا وأمريكا إلى سيطرة منطقة آسيا والباسيفيك.

وربما تظل الولايات المتحدة الأمريكية الشريك التجاري الأول للصين، لكن إذا تم النظر إلى دول الاتحاد الأوروبي باعتبارها كتلة واحدة، فإن حجم التجارة بين كل من الصين والاتحاد الأوروبي سيتجاوز بكثير حجم التجارة بين الصين والولايات المتحدة. الأمريكية.

ويرى شيفر أن هذا التغير في أنماط التجارة سيحدث تغيرا مماثلا في تدفق المعلومات والأفكار والسياسة والدبلوماسية، وستقود هذه التغيرات، "طبقا لبعض الدوائر، إلى عصر "الانتصار الآسيوي" وفق تعبير الدبلوماسي السنغافوري كيشور مهبوباني"؛ حيث تنتقل دول آسيا من دور المتفرج - الذي لعبته عبر قرون- إلى دور المشارك مع الغرب في تشكيل المؤسسات الاقتصادية الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

المعونة الاقتصادية

قدمت المملكة مساعدات مادية سخية عبر السنين لمساعدة العديد من الدول النامية والفقيرة إلى جانب الإغاثة عند نزول كوارث طبيعية أو أزمات طارئة. وباعتبار أن تلك المعونات والمساعدات تدخل في عداد آليات توظيف القوة الناعمة فإن الدكتور العثيمين[٨] يري أن تلك المساعدات لم تؤت أُكلها بما يتناسب مع حجم ما أُنفق. ويرى أن السبب في إخفاق تلك المساعدات في إحداث أي تغيير ملموس في مواقف الدول التي تتلقاها أو في مشاعر الشعوب المستفيدة من العطاءات تجاه المملكة "يعود - بشكل رئيس - إلى أنها كانت - في أغلبها - مساعدات مادية مباشرة، وربما تستقر نسبة منها في جيوب من لا يستحقها، أو تضيع في دهاليز بيروقراطيات تلك الدول التي لم يُعرف عنها الكفاءة". والدكتور العثيمين محق في هذا الاستنتاج فالمساعدات التي تستهدف استجلاب مكاسب سياسية هائلة عادة ما تنتهي بمجرد امتنان السلطات الرسمية التي تتسلم الهبات، والإعلان عن وصول المعونات في وسائل الإعلام والتنويه بأريحية المملكة.

وعلى سبيل المثال؛ قدمت المملكة معونة هائلة سنة ١٩٩٢ لغوث آلاف المنكوبين في زلزال القاهرة، لكن القائمين على السلطة هناك اختلسوا الأموال ولم يصل منها أي شيء للمنكوبين الذين ما زال بعضهم يعيش في الخيام وفي العشوائيات بعد مرور قرابة عقدين من الزمان؛ بل إن قوات الأمن اعتقلت من تساءل عن تبرعات المملكة وغيرها من الدول المانحة لإسعاف المتضررين.

أما الإشارة إلى "المساعدات المادية" عموما على أنها قوة ناعمة فإشارة غير مصيبة، خاصة إذا كانت الإشارة إلى مساعدات الحكومة الأمريكية وتأثيرها على الشعوب المتلقية للمعونة. والإشكالية هي أن غالبية المساعدت التي تقدمها الدول الكبرى للدول المستفيدة إما مشروطة أو أنها موجهة لدعم فئة من الشعب على حساب فئة أخرى، أو لدعم نظام غير مقبول من عامة الناس، أو لشراء الذمم في بعض الحالات. والمعونة الأمريكية عادة ما توظف في مضمون استخدام قوة العصا والجزرة، وبهذا فهي قوة شديدة؛ حيث إن غالبيتها مساعدات عسكرية وأمنية، أما النسبة الضئيلة من معونات

الغذاء فهي لا تصل إلى عامة الناس، بل إنها إن وصلت تباع على أنها طعام مستورد.

كذلك فإن اقتراح الدكتور العثيمين بأن توجه المساعدات "عبر مؤسسات مشتركة، وتعاون مشترك، وفي سياق برامج محددة، ومشروعات معروفة كالصحة والتعليم والإسكان والتنمية والبُنى التحتية والمرافق"، بحيث "يستفيد منها - مباشرة - مواطنو تلك البلدان المستفيدة من هذه المساعدات والمعونات، كما أنه لا يمكن إخفاؤها عن العيان، بل ستظل شاهداً - دائماً - على حجم ما قُدم من مساعدات، حتى لو ساءت العلاقات بين الدولتين"، اقتراح سديد. هذا مع ملاحظة أن المعونة التي تصل إلى مؤسسات الدولة، لا إلى الناس لا يمكن اعتبارها من مكامن القوى الناعمة.

و لما كانت المملكة قد أنعم عليها المولى بقدرات ماليّة في المجال الاقتصادي، حتى أن الاقتصاد السعودي أصبح يُمثّل إحدى الرافعات الكبرى للاقتصاد العالمي، فإن الدكتور العثيمين يقدم بالتالي مخططا لدعم القوّة السعوديّة الناعمة حول العالم عبر التوظيف الذكي للمساعدات المالية كآلية لتفعيل القوة الناعمة للمملكة العربية السعودية ونشر نفوذها الناعم في العالم. وهذا يتطلّب خططاً لربط مصالح الدول المُستهدفة بمصالح المملكة بشكل دائم، من خلال برامج إنمائيّة وإغاثيّة واقتصاديّة واستثماريّة، يحسّ بها مواطنو تلك الدول، ويشعرون بأثرها المباشر في حياتهم اليوميّة باستمرار، ومن ذلك - على سبيل المثال - توجيه الاستثمارات والمشاريع الاقتصاديّة الحيويّة إلى الدول الناشئة، التي ترى المملكة فيها "هدفاً استراتيجياً يخدم مصالحها على المدى البعيد، بهدف تشبيك المصالح الاقتصاديّة البينيّة، التي لا تنفصم عراها عند أقلّ (هزّة) دبلوماسيّة أو سياسية تمرّ بين البلدين". وفي الجانب الآخر فإن استخدام المساعدات الاقتصادية كسلاح من ذخيرة القوة الناعمة للتأثير على المواطنين في الدولة التي تقدم إليها المساعدات يكون غير مجد بالمرة إذا قدمت المساعدة المادية بصورة فجة، تتخللها غيوم من الامتنان ويظلها سحاب من الاستعلاء والبروباجندا.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ

كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ (سورة البقرة؛ الآيات: ٢٦٢-٢٦٤). ويقول تعالى ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ (سورة المدثر؛ الآية: ٦).

ويرى نمر [١٩] أن المساعدات المالية والاقتصادية للدول العربية والإسلامية والنامية أوجدت نفوذا سياسيا للسعودية عند أنظمة هذه الدول؛ لكن من الجدير بالملاحظة أن هذا النفوذ أقل قوة لدى الرأي العام وشعوب هذه الدول، "والمثل على ذلك، ما لاحظناه من اختلاف المواقف العربية من مسألة احتلال صدام حسين للكويت، خصوصا لدى الرأي العام الشعبي الذي وقف بعضه ضد الاستعانة بالقوات الغربية لتحرير الكويت رغم فداحة ما جرى. في حين نرى أن نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين كان يحرص على تقديم المساعدات المالية لجمعيات النفع العام والنقابات وللأحزاب العربية، الأمر الذي يفسر وقوف بعض العرب معه في احتلاله الغادر للكويت، بالإضافة طبعا للحكام والحكومات. وهذا ما تفعله إيران الآن".

الفصل السادس

المحور الإعلامي والثقافي

- الصحافة
- القنوات الفضائية
- الإذاعات الموجهة
- الإنترنت
- الأنشطة الثقافية
- العمالة الوافدة

تبلورت مدرسة القوة الناعمة أو فن الممكن في الحكم في العقدين الماضيين، بصورة "تمتزج فيها العلوم السياسية والاجتماعية وعلوم الاتصال والإعلام لتكون سفيرة النوايا الحسنة، للوصول إلى قلوب الشعوب، والحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بديلاً عن العصا الجبروتية التي عرفتها القوى الاستعمارية التقليدية"؛ وفق رؤية الدكتور الشبيلي[٦٥]. أما صوفاء بنت راشد الدباس[٦٦] فتقول "إذا كنا قد عدمنا القوة السياسية والعسكرية التي تضمن لنا حقوقنا ومكانتنا في المجتمع الدولي، فلا زلنا نستطيع أن نمتلك تلك القوة الإعلامية"، كقوة ناعمة لا يستهان بها، نسخرها "لصالحنا خاصة أننا نمتلك كل المقومات التي تؤهلنا لذلك، فنبتعد عن هيمنة الغرب وسيطرته وتحكمه في المعلومة التي تصل إلينا".

ويروي بدر بن أحمد كريِّم[٦٧] عن حوار جري في صحيفة المدينة المنورة (١٠ رجب ١٤٣١هـ، ص ٢٩) بين وزير الثقافة والإعلام د. عبدالعزيز خوجة مع أصغر إذاعية سعودية وهي ود نتو، مذيعة في قناة أجيال الفضائية تناول الوزير فيه قضايا إعلامية سعودية كثيرة، حيث تحدث "عن مرفقين مهمين جدا في بلادنا هما: المرفق الإعلامي، والمرفق الثقافي"، واصفا العمل الإعلامي بأنه "ضخم وكبير جدا، ويسمى بالقوة الناعمة"، وهو توصيف لا يخلو من الحقيقة. والقوة الناعمة للإعلام هي التي تؤدي إلى تطوره، وتكشف ما هو مميز فيه "وقد تنازعته أطر مرجعية مختلفة، وجمهور يتجاذبه القلق، وانفجار فضائي لا حدود له، أدى إلى تأثيرات سياسية، وأخلاقية، ومالية، وتنظيمية، وهي بالتالي متداخلة ويصعب فصلها".

يدرك الدكتور عبد العزيز خوجة، وهو ينادي بإعلام قوي ناعم، العلاقة المعقدة التي نسجت خيوطها، من حاجة كل من الإعلام والجمهور إلى الآخر، ومن عدم اقتناع بعض المتلقين بما يقرؤون، ويسمعون، ويشاهدون، وهي القضية التي يتصدى لها خوجة ويعيش أجواءها، وهو يعي تماما موازين القوى في الإعلام، ويستشف الأبعاد السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والترفيهية للثقافة الفضائية، وأن تركيز الإعلام القوي الناعم على برامج الترفيه يجعل المتلقي مستغرقا في أحلام يقظة، الدعاية التجارية تحيط به من كل جانب، والنزاعات السياسية التي يثيرها بعض الإعلاميين جعلت من القوة الناعمة للإعلام أداة للقتل، والتربح. وهنا يروي كريِّم مقولة الدكتورة

نهوند القادري عيسى: "إن التجارب أثبتت أن مسألة امتلاك التقنية لا تكفي، بل العبرة بطريقة استخدامها، وبالأرضية التي يقع عليها هذا الاستخدام".

وقدمت ابتكارات التقنية ووسائل الاتصال الحديثة بعض آليات القوة الناعمة وأدوات مهمّة في عمليّات التغيير الاجتماعي، بل إن الدكتور فايز بن عبد الله الشهري[٥٨] ينظر إلى معطيات التقنية الحديثة على أنها أخطر "تحديات الأمن الوطني بوصفها أسلحة هيمنة رهيبة ضمن أدوات الصراع السياسي والاقتصادي والعسكري". ويدعم تلك الرؤية بأن العالم قد أدرك "قوة التقنية وآثارها الحاسمة منذ أن قرّر الجنون العسكري الأمريكي إلقاء القنبلة النووية على هيروشيما وناجازاكي سنة ١٩٤٥م حيث انطلق إثرها مارد سباق التسلح بالتقنية والاستثمار في الاتصالات الحديثة وعلوم الفضاء، وكانت شبكة الانترنت التي ننعم ببعض خيراتها اليوم إحدى أهم ثمار تقنيات المواجهة بين المعسكرين".

ولقد فرض عصر المعلومات والاتصال شروطه التاريخية، في ظل جو التنافس على الصعيد العالمي مما دعى الدكتور الشهري[٦٨] إلى الجزم بأن الأمن الوطني "على سبيل المثال لم يعد مقتصرا على الأمن السياسي والعسكري بل امتد ليشمل الأمن الفكري والاقتصادي والاجتماعي والتقني (العلمي) كمكونات رئيسة لمنظومة الأمن الوطني بمفهومه الشامل". ولقد تطور هذا المفهوم في الولايات المتحدة الأمريكية عقب دخولها المسرح الدولي "ضمن معادلات القوى المنتصرة في أجواء ما بعد الحرب الغربية (العالمية) الثانية بعد إصدار قانون الأمن الوطني (يوليو ١٩٤٧) الذي أسس بموجبه مجلس الأمن الوطني" الذي قام خلال تاريخه "بأدوار كبرى خاصة أثناء الأزمات مركّزا على ما يحقق التكامل بين المؤسسة العسكرية والسياسات الداخلية والخارجية لتحقيق المصلحة الوطنية العليا، وقد تطوّرت أدوار هذا المجلس متجاوزا الكثير مما حُدد له ليصبح أحد أهم مؤسسات صياغة السياسات الأمريكية، بل كان في مراحل معينة أحد أوثق مراكز تحليل المخاطر والتنبؤ بالأزمات عبر لجانه التي شارك فيها أشهر العلماء وأمهر الخبراء والمفكرون".

وترى الدباس[٦٦] أن القرن الميلادي الماضي إن كان قرن القوة العسكرية، فإن القرن

الواحد والعشرين هو قرن القوة الإعلامية؛ "فقد أضحت فيه صورة الصحفي وهو ينصب حامل كاميرته على الرمال ليحدد الهدف الذي سيسجله للتاريخ وليطلقه كقذيفة للعالم أجمع، أكثر قوة وتأثيراً من صورة الجندي الذي يقف خلف مدفعه في الصحراء ليطلق قذائفه البارودية المدمرة".

فلقد تسببت ثورة التكنولوجيا الهائلة في هزات سياسية عالمية، "أدت إلى تحولات عميقة على مستويات عدة من أهمها تبادل المعلومة، وتصدير الأفكار واستيرادها، وحوار الثقافات أو صدامها، فأحدثت بذلك تغيرات حادة بمعدلات متسارعة في الأهداف والقيم، حتى انهارت كثير من الحواجز التاريخية والثقافية الراسخة، وتلاشت الحدود والفواصل وانتهى زمن الجغرافيا، فأصبحنا نعيش في عالم متداخل متنام تجمعه بعض الأهداف والقواسم المشتركة". وترى الدباس أنه "بمجرد أن نلقي نظرة سريعة على واقع مشرقنا الإسلامي؛ فإننا سنكتشف أنه قد تحول إلى لوحة بديعة من الفسيفساء تجمعها رسمة واحدة وإن تعددت فيها الرؤى والتفصيلات".

ويرى كابلي[١٠] أن نطاق الأمور التي قد تندرج تحت مفهوم القوة الناعمة عديدة: فالدبلوماسية، والمساعدات المالية، والمساهمة في إعادة الإعمار والتنمية، والإغاثة وقت الكوارث، والإعلام وبالأخص الإعلام ذي الصبغة الاستراتيجية (strategic communication) إضافة للثقافة سواء أكانت جاذبية الأفكار التي ينتجها مثقفو الدولة أو حتى الأدب والفنون كالموسيقى والأفلام كلها مما يضاف للقوة الناعمة للدول ويشكل لها مجال تنافس شاسع وقوي يعادل ما يشكله التنافس على القوة الصلبة كالحصول على المزيد من الأسلحة. وإذا كانت هوليوود تمثل نموذجاً لأحد أسباب القوة الناعمة للولايات المتحدة فإن بعض الدول الإسكندنافية لديها قوة ناعمة مؤثرة عالمياً فقط من كونها نموذجاً لدولة متقدمة تحافظ على مفاهيم العدالة واحترام الإنسان والسعي إلى رفاهيته، وهو الأمر الذي يؤثر في الشعوب ويعطي لهذه الدول قوة ناعمة تتعدى بكثير ما لديها من قوة صلبة. وبالتالي تصبح هذه الدول على خارطة العلاقات الدولية دون كثير من الحاجة للإفراط في القوة الصلبة.

وعلى الدول الإسلامية السعي إلى الأخذ بمقاليد القوة الناعمة والتفوق في كل مجالات

تطبيقها إذ يرى أبو رمان[١٢] أن ما فشلنا فيه بامتياز هو القوة الناعمة وليست العسكرية، بل نجد أنّ الشعوب العربية والمسلمة اليوم تثبت في ميدان القتال والحرب كفاءة نادرة (دع عنك الحروب العسكرية العربية السابقة الفاشلة، فلها قصة أخرى)، سواء في العراق أم لبنان أم أفغانستان، لكننا نفشل بصورة مرعبة ولافتة في صناعة الحضارة والثقافة والتقدم الصناعي والعلمي والمعرفي.

الصحافة

يقول نمر[١٩] إن الإعلام العربي ساند المواقف السعودية، كإحدى أدوات سياسة القوة الناعمة للسعودية، وقد تجلت تلك المساندة بالأخص تجاه "المواقف والمبادرات السياسية السعودية التي تخدم الموقف العربي الجماعي وتخدم قضية الصراع العربي مع العدو، مثل المبادرة العربية للسلام ومبادرة الملك عبدا لله بن عبدالعزيز للمصالحة العربية التي حظيت بتأييد واسع لدى المواطن والرأي العام العربي".

ولقد بدأت السياسة السعودية إنشاء أدوات إعلامية سعودية خاصة منذ نحو خمسة عشر عاما بعد نجاح تجربة صحيفة الشرق الأوسط التي تم سعودة إدارتها التحريرية. وهكذا أصبح هناك إعلام سعودي "بان أراب" فأنشأت قناة تلفزيون العربية تحت إدارة سعودية لتخدم السياسة السعودية. ولكن - كما قال الدكتور الشبيلي: "لم يلعب الإعلام السعودي الرسمي، والخارجي منه بالذات، دورا مميزا في إبراز القوة الناعمة لهذه البلاد"؛ ذلك لأن "القائمين على العديد من أدوات الإعلام يؤمنون بليبرالية أميركية تجعل وسائل الإعلام التي يشرفون عليها أميركية الميول والهوى".

ويرى نمر أن السبب الرئيس في العديد من الإخفاقات التي شهدتها سياسة القوة الناعمة السعودية يقبع وراء عدم نجاح قوة الإعلام السعودي في أن يكون قوة ناعمة عظيمة المفعول؛ "هو التكتم الذي تمارسه الدبلوماسية والسياسة السعودية في تحركاتها ونشاطاتها . فهذه السياسة تجعل العديدين لا يعلمون شيئا عن انجازات الدبلوماسية السعودية ونشاطات محركيها ومديريها. وهذا التكتم يثير الشكوك والتكهنات غير الصائبة حول تحركات الدبلوماسية السعودية"؛ بما في ذلك المساعدات المالية والاقتصادية. ويضرب نمر[١٩] مثلا لسياسة التكتم "بقيام وزير الخارجية السعودي

سعود الفيصل بثلاث زيارات إلى مصر، خلال شهرين، بعد ثورتها العظيمة وسقوط الرئيس مبارك، ولكن لم يعلم أحد عن أسباب هذه الزيارات أو ما بحثه الأمير خلال زياراته، الأمر الذي أثار الشائعات عن أن سبب الزيارات هو الضغط على مصر من أجل عدم محاكمة الرئيس السابق مبارك. مثل هذا التكتم يجعل الإعلام السعودي غير قادر على مواكبة النشاط الدبلوماسي السعودي النشط في الأزمات".

القنوات الفضائية

يشير الدكتور العثيمين[٨] إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية "شرعت بإطلاق مختلف أنواع أسلحة القوة الناعمة للتأثير على دول وشعوب المنطقة بما في ذلك المحطات التلفزيونية والإذاعية مثل إذاعة أو راديو سوا وقناة الحرّة التلفزيونية في نفس الوقت الذي لجأت فيه إلى استخدام آلتها العسكرية لضرب أفغانستان وطالبان والعراق". غير أن واقع الأمر هو أن القنوات الفضائية والإذاعات الموجهة تفتقد المصداقية التي تجذب إليها المشاهدين، لأنها أدوات بروباجندا واضحة حتى إن بث قناة الحرة ممنوع في الولايات المتحدة الأمريكية. كما أن الهدف من تلك القنوات ليس غسيل مخ الشعوب أو السعي لجلب تأييدهم أو الاستئثار بقلوبهم وتأييدهم للسياسة الأمريكية بقدر ما هو السعي لجس نبض الشارع عقب كل إجراء سياسي أو عملية حربية من خلال متابعة البرامج واستجابة الناس إليها عن طريق التعليق المكتوب أو الهاتف.

وخلال الحرب الباردة فشلت إذاعة صوت أمريكا فشلا ذريعا في مهمتها مقارنة ببعض القنوات اليسارية المضادة. هذا مقارنة بالمحطات البريطانية بي بي سي الموجهة، مثل بي بي سي العربية، التي ما زالت لها حظوة بين المشاهدين؛ وعلى الجانب الآخر تحاول إسرائيل بدورها إنشاء محطة إخبارية عربية على غرار القناة العاشرة في التليفزيون الإسرائيلي. وربما يريد نتانياهو أن يسوق أفكاره ورؤاه على المشاهد العربي تمهيدا للفشل المحتمل للمحادثات الثنائية مع الفلسطينيين. وباتت الصين، وكوريا الجنوبية، وحتى الدول الأفريقية المتاخمة للعالم العربي تقدم نشرة أخبار بالعربية للترويج لنظامها السياسي، وأخبار زعمائها في محيطها العربي. وبالنسبة لإيران فهناك قناة العالم الإيرانية التي تبث من بيروت، وقناة الكوثر وهي قناة

منوعات دينية تبث من طهران. وقناة برس تي في الإيرانية التي تبث باللغة الإنجليزية تغطي الأحداث بصورة فيها نوع من الحيادية، والاكتفاء بقليل من التعليقات الموجهة.

ويذكر الدكتور صالح عبد الرحمن المانع[٦٩] في هذا السياق أن محطة الحرة الأمريكية، التي صادف بثها بدء الغزو الأمريكي للعراق جاءت "بمثابة تجسيد لرؤية الرئيس الأمريكي بوش، بأنه يريد أن ينشر الديمقراطية في المنطقة، ولو بحد السيف. أو هكذا أراد أن يغلف حملته العسكرية ضد العراق بحملة إعلامية موازية تحمل ملامح إيجابية مزيفة".

وفي الواقع فإن المجال الثقافي والإعلامّي معين لا ينضب إذا أُحسن التخطيط له، وتمت إدارته بطرق غير تقليديّة، وأُنفق عليه بسخاء، يمكّنه من إحداث التأثير المطلوب منه على شعوب الدول المُستهدفة، على المدى المتوسط والبعيد. ويرى الدكتور العثيمين[١٦] أن "من الوسائل المحققّة لهذا الهدف إطلاق قنوات فضائيّة موجّهة للعالم، يكون منطلقها البرامجي (السعوديّة في عيون الآخرين)"، وليس في عيون السعوديين في الداخل، "وبإعلام مهنيّ واحترافي هدفه مخاطبة الآخرين"، وليس مخاطبة السعوديين. "وكذلك إنشاء (مراكز ثقافية) دائمة، مُلحقة بالسفارات السعوديّة في الخارج، لتكون حلقة وصل وحوار دائم بين حضارات وثقافات وشعوب دول العالم مع المملكة، خاصة في الدول التي يهّم المملكة أن يكون لها حضور دائم ومؤثّر في سياستها وتوجهّات شعوبها".

ووفق ما ذكره العلمي[٩] لا توجد قناة تلفزيونية واحدة من أصل ٧٠٢ فضائية عربية تمتلك القدرة على اختراق المجتمع الدولي وهذا "بسبب غياب الاستراتيجيات الإعلامية عن السياسة الخارجية، التي لا تتقن فن دغدغة مشاعر العالم الخارجي ومخاطبته بلغته والتأثير عليه". بينما الفضائيات العربية جميعها تتكلم بلغات لا تفهمها الشعوب الغربية والشرقية، لذا فإنها أخفقت "في مهامها لأنها موجهة أصلاً إلى الفكر العربي واستباحة عقله.

وتوجه الدباس[٦٦] الدعوة إلى المخلصين من المقتدرين في العالم العربي إلى إنشاء "قنوات إخبارية حرة يكون شعارها الصدق والحياد والشفافية، فتتعامل مع الحدث بموضوعية بعيداً عن المصالح الخاصة، ويكون همها في ذات الوقت مصلحة العالم

العربي عامة، لا مصلحة دولة بعينها". فالرأي العام العربي، رغم كثرة القنوات الفضائية العربية "لا يزال متعطشاً إلى قناة حرة محايدة تشفي غليله وتزوده بكامل الأخبار وصحيحها؛ فقد مل من الأخبار المجتزأة التي لا تخدم إلا وجهة نظر ناقلها". وتضيف "كما استطاع العرب أن ينشئوا الكثير من القنوات الفضائحية التي يعج بها مجالنا الفضائي، فإنه بالتأكيد بإمكانهم أن ينشئوا قنوات فضائية سياسية متزنة تقوم عليها نخبة من السياسيين والمفكرين، لنستخدمها كقوة نستطيع أن نحقق بها استقلالنا السياسي والمعلوماتي بدلاً من أن نتسول القنوات غير النزيهة كي تقف في صفنا وتنقل صوتنا للعالم".

ورجوعا إلى الإعلام العربي كقوة ناعمة فإن الدباس[٦٦] تضع يدها على أسباب تأزمه. "فقنواته الفضائية بريئة من الحياد كبراءة الذئب من دم يوسف، وبالرغم من وجود إحدى القنوات التي تحتل الصدارة في مجال تخصصها، إلا أنها لم تكن على الدوام على مستوى تطلع المواطن العربي؛ فقد خذلته في أحيان كثيرة كان ينتظر نصرتها. فأجندة تلك القناة لم تكن تؤهلها لأن تكون محايدة فلم تستطع أن تمسك بالعصا من الوسط، ولا أن تأخذ بزمام الأمور في تلك الظروف الصعبة؛ إلى درجة أنها آثرت انسحابها من ثورات لا تقل أهمية عن سابقاتها، بل إنها كانت في أمسّ الحاجة لدعمها الإعلامي، لكنها ولأجل مصالحها الخاصة فإنها قد أغمضت عدستها قصداً عن أحداث يشيب لها الرأس من مآسي العالم الإسلامي، حتى أثارت بذلك استياء الرأي العربي العام الذي اعتبر أن تلك التصرفات ليست سوى أحد أشكال الخذلان العربي المقيت". وبهذا تخلص الدباس إلى أن "الإعلام هو نصف الثورة، ونصف الحدث، ونصف الحرب؛ بل هو الحرب الباردة التي كانت ولازالت القوى الكبرى تستخدمها كسلاح فتاك مأمون وسريع العواقب".

وفي هذا المضمار يقول الدكتور المانع[٦٩] إن "هناك ثلاثة آلاف محطة تليفزيونية حول العالم معظمها موجه للأقمار الصناعية بحيث يتاح لأي مستقبل التقاط صورها من أي مكان في العالم. وحين يستعرض المرء أسماء هذه المحطات فسيجدها تشمل معظم، إن لم يكن جميع دول العالم، عدا بعض الدول المنكوبة بحروب أهلية". ويعزي الدكتور المانع انتشار الفضائيات إلى تراجع تكلفة إنشاء المحطات الفضائية وتشغيلها، "والذي

يبلغ في المتوسط حوالي مائة ألف دولار في السنة. ولعل الدول الوحيدة التي تشاهد المحطات التليفزيونية بشكل مبالغ فيه في بعض الأحيان هي الدول العربية، وذلك لانعدام وسائل التسلية والترفيه الأخرى. حتى كاد المشاهد العربي أن يرعى القنوات الفضائية، كما كان أجدادنا يرعون النجوم في سماء ليل مظلم".

ويعلق محمد سعد حميدة[٧٠] على الزحف الإعلامي الجديد خلال التلفزيون الموجه أنه "في عصر ثورة الاتصالات تراجعت أهمية القوى الصلبة تدريجيا ونسبيا لصالح القوى الناعمة التي ازدادت قدرتها على التسلل لكل بيت دون كسر الأبواب فنحن من نجد ونجتهد لندفع اشتراك النت ونعلق الطبق اللاقط أو الدش". ويستبشر خيرا بأن حركات المقاومة في فلسطين وخاصة غزة بدأت في الوعي لأهمية الإعداد والتسابق في حيازة القوى الناعمة حيث نراها تبث أغاني وأناشيد ومقاطع كرتونية باللغة العبرية كي تصل إلى إعادة تغيير قناعات أبناء العدو. ويختم بقوله: "نسأل الله أن نغزو خصومنا في عقر دارهم كما غزونا في بيوتنا. الفرق بيننا وبينهم أننا نغزوهم بما ينفعهم بينما هم يغزوننا بما يضرنا ثم يضرهم".

من ناحية أخرى، يمكن القول بأن الشارع العربي كما يحلو للصحافيين تسميته، لا يؤثر بشكل كبير في مجرى الأحداث السياسية العالمية أو عبر دول العالم غير العربية، غير أن المتتبع لأنشطة الدول الأخرى الإعلامية الموجهة للدول العربية يرى عكس ذلك. فمعظم الدول الكبرى أو الإقليمية التي تريد أن تلعب دورا مهما على المسرح العربي تلجأ إلى قوة الإعلام ونفوذه كأداة دانية القطوف للقوة الناعمة.

ويذكر الدكتور المانع[٦٩] في هذا السياق أنه "خلال الثمانية أعوام الماضية، شاهدنا عددا من المحطات التليفزيونية الأجنبية الموجهة إلى المشاهد العربي. وبينما كان ولا يزال الإعلام العربي ومحطاته الحكومية منها والخاصة تهيمن على معظم القنوات التليفزيونية، إلا أن هناك اهتماما متعاظما من قبل عدد كبير من الدول، خاصة في مجال بث الأخبار والبرامج التحليلية الأخرى". وأضاف أنه خلال "فترة وجيزة تكاثرت المحطات الإخبارية الموجهة للعالم العربي، وكأني بها تأخذ بتقليد هيئة الإذاعة البريطانية التي كاد لا ينام آباؤنا دون الاستماع إلى نشرة أخبارها".

ولاشك في أن الإعلام المرئي يمثل قوة ناعمة تحاول جذب أفئدة الناس واللعب على عواطفهم، وهي في الوقت ذاته محاولة من قبل بعض الدول لتنشيط قطاعاتها الاقتصادية، خاصة في مجال السياحة. حيث دأبت بعض هذه المحطات على نقل المشاهد إلى مدن مختلفة داخل قطرها لحثه على السفر والسياحة لهذه المدن، وبالتالي تنشيط هذا القطاع الاقتصادي المهم.

ويعقب الدكتور المانع على تلك المشاهدات "وبالأمس القريب كنا نعتقد بأن المسلسلات التليفزيونية والدراما كافية لنقل صورة وردية زاهية عن البلدان التي تنتج مثل هذه المسلسلات. وبعد أن عشنا فترة طويلة نشاهد مسلسلات قادمة من كوبا والمكسيك، ونتابع أخرى مصورة في تركيا. فهاهي إيران قد بدأت مؤخرا تطرق أبوابا مثل هذه الدراما المعربة".

وأكد الدكتور المانع[٦٩] ما مفاده "نحن بدورنا يمكن أن نؤثر على العالم المحيط بنا، فلنا قصب السبق في إنشاء القنوات التليفزيونية المنوعة وبثها على منطقة استقبال شاسعة من وسط آسيا إلى غرب أفريقيا وجنوب أوروبا، ومعظمها ناطق بالعربية. وقد حان الوقت لبث قنوات متلفزة بلغات أخرى غير العربية موجهة على الأقل إلى دول الجوار الجغرافي. فنحن نؤثر بالفعل في هذا المحيط ببرامجنا وقنواتنا العربية، وحان الوقت للتأثير بها عبر برامج وقنوات تلفزة موجهة. التنافس الإعلامي والتزاحم الثقافي هو سمة العصر، وبينما كاد عصر الراديو أن يودع جماهيره التي كانت غفيرة يوما ما، فإن عصر التليفزيون الموجه والجرعات الثقافية المركزة بات سمة هذا العصر".

ويؤكد كريِّم[٦٧] أن الإعلام السعودي يستمد قوته الناعمة من:

- وضوح سياسته الإعلامية
- ثقة الناس به
- الخطط الإعلامية لمواجهة التحديات الإعلامية الحالية والمقبلة
- المضمون المناسب

"وإذا كانت تقنية الإعلام متاحة، إلا أن تفاعل الناس مع الإعلام مرتبط بالتزامه

بقيمه الدينية والخلقية، في وقت تموضعت فيه بعض فضائيات، تتلمس لنفسها رؤى ما برحت ضبابية".

وبالنسبة لما حققته المملكة في مجال الإعلام المرئي لدينا أمثلة جيدة للغاية في هذا المجال الحيوي ،و تتمثل في قناة القرآن الكريم وقناة السنة النبوية وبعض برامج القناة الأولى، حيث تبث القناتان الشعائر الدينية بثاً حياً مباشراً من الحرمين الشريفين على مدار الأربع والعشرين ساعة، بما في ذلك الصلوات الخمس وصلاة العيدين وصلاة القيام والتهجد .وحبذا لو اقترنت هذه البرامج الحية بترجمة للخطب والدروس باللغات العالمية، لكي تكتمل الاستفادة من هذه البرامج المحببة لعامة المسلمين، وحتى لا يقتصر الأمر على مجرد المشاهدة، فإن إنشاء قناة تلفزيون العربية الإخبارية تحت إدارة سعودية لتخدم السياسة السعودية بداية طيبة، حيث إنها استطاعت جمع عدد كبير من الإعلاميين المشهود لهم بالكفاءة، غير أن النهج الذي تتبعه في استضافة المعلقين والمحللين لا يشمل ولو قلة من أصحاب التفكير النقدي أو التحليل المتعمق في الأمور السياسية والاجتماعية مما يفتح لها مجالا أوسع بين المشاهدين على مستوى العالم. وهذا أمر طبيعي بالنسبة لجميع القنوات الفضائية في العالم سواء أكانت حكومية أو خاصة عندما تمثل وجهة نظر السلطة؛ غير أن عالمية القناة تتطلب طرح مواضيع وآراء تهم شرائح متعددة من الناس. وحبذا لو تطورت العربية لتنشئ قناة تبث بلغات أخرى مثل الإنجليزية والفرنسية وبلغة من لغات الدول الإسلامية كالأوردو على سبيل المثال.

وبعض القنوات الفضائية مثل قناة "سي إن إن" الفضائية تكيف التعليقات وفق الجهة الموجهة إليها، غير أنه من الإنصاف أن العربية لا تأخذ موقفا متطرفا مثل العديد من القنوات العربية الأخرى، خاصة المحطات الرسمية التي تتضارب بينها الأخبار المتصلة بأحداث معينة بصورة مخزية وهزلية؛ تفقد المشاهد الرغبة حتى في الاستماع لما قد يكون خبرا صادقا.

مثال على ذلك أخبار الثورة الشعبية في سوريا، فبينما تذيع محطة عربية عن المجازر التي ترتكبها قوات الجيش والشبيحة في الشوارع ومئات القتلى والجرحى من المدنيين المتظاهرين سلمياً، والاعتقالات ومداهمات البيوت، وآلاف المساجين السياسيين، تذكر

محطة عربية أخرى أن الإيرانيين واللبنانيين من حزب الله يهاجمون بيوت الآمنين ويقتلوهم بدم بارد، وتعلن قناة رسمية في سوريا وقنوات لبنانية مؤيدة لسوريا أن الأحوال مستقرة وأن الشعب يخرج في مسيرة معلنا تمسكه برئيسه، ومجموعة من المواطنين تردد "منين ما تدوس نوطي ونبوس"؛ "الأسد وسوريا وبس" وتضيف أن مجموعات أخرى تسللت عبر الحدود واعتدت على قوات الأمن والجيش التي تحرس المتظاهرين وتحميهم وتنكر وجود معتقلين أو مساجين سياسيين.

ومن المحطات التلفزيونية ذات الملكية السعودية قنوات "إم بي سي" و "إيه أر تي" التي تقدم برامج متنوعة والتي لها شعبية بين عامة العرب. هذا إلى جانب بعض المحطات الدينية السعودية أو التي تبث من المملكة مثل قناة إقرأ. ورغم اكتساح إقرأ عند بدايتها لمجال الإعلام الإسلامي الموجه خاصة في أوروبا والقارتين الأمريكيتين غير أن نجمها بدأ في الأفول بعد تغيير إدارتها وإلغاء بعض برامجها الأكثر مشاهدة. وفيما يبدو أن الإدارة لا تجس نبض المشاهدين وتكتفي بنشر رسائل التقريظ التي لا يعرف أحد مصدرها. وسبب آخر لعزوف الناس عنها هو ظهور مئات من المحطات الدينية التي ترفع شعار الإسلام؛ ونظرا لوجود دعم لها فهي تستمر على الهواء سواء أكان لها مشاهدون أم لا.

ولعل تأثير هذه المحطات كقوة ناعمة على الشعوب والجاليات العربية أبلغ من الأفلام الدعائية للمملكة التي تعوزها الحرفية الإعلامية. ومن أهم ما تبثه المحطات السعودية، وقد تبثه محطات أخرى بالوكالة، هو صلوات القيام في رمضان وصلوات العيدين من الحرم المكي ومسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ غير أن ذلك البث كثيرا ما يشوبه سيل من البساطة الإعلامية سواء في التصوير أو التقديم. على سبيل المثال كثيرا ما يصوب المصورون الكاميرات على المباني لعرض صور معمارية أو منشآت جديدة قد يستقبلها المشاهد بتشوق لو لم تبث أثناء قراءة القرآن أو خلال الخطبة، وأحيانا تركز الكاميرا على قوات الأمن التي تحيط بالمكان بدلا من الإمام والمصلين. كما قد يطغي صوت المذيع الذي يقدم البث الحي بصوته الأجش على كل ما يجري ليدلي بكلمات حماسية فارغة المضمون ونبرات تؤذي أسماع المشاهدين.

أما الأفلام الدعائية باللغات الأجنبية فغالبيتها تعوزها المهنية في التأليف والإخراج والتصوير، ففي بعض أفلام عن الحج وزعت على الجامعات الأمريكية والمراكز الثقافية عرض مسهب لعربات الإسعاف والمطافئ وأبواقها وتركيبها من الداخل وكأن الفيلم دعاية للشركة المنتجة لتلك العربات.

الإذاعات الموجهة

لا شك أن الإذاعة الموجهة من الأدوات الفعالة للقوة الناعمة خاصة لو استطاعت جذب انتباه المستمعين. فعلى سبيل المثال إذاعة القرآن الكريم لها مستمعون كثر حول العالم، وخاصة من الأقليات المسلمة من العرب وغيرهم. إلا أن تلك الإذاعات رغم أهميتها ورغم أنها تؤدي رسالة وخدمة ضرورية، فهي لا تؤدي دورا إعلاميا موجها للمملكة، وإن كان الربط بينها وبين المملكة قائماً.

ولقد شاهد العالم نماذج حية لتأثير الإذاعات الموجهة إبان الحرب العالمية الثانية وأهمها طوكيو روز (Tokyo Rose)، الإذاعة اليابانية الرسمية الناطقة باللغة الإنجليزية، التي كانت تعمل على تحطيم الروح المعنوية لقوات التحالف في زمن الحرب العالمية الثانية، وقد أدى الاستماع لها إلى تأثير ملموس على الجنود الأمريكيين وهزيمتهم نفسياً، عن طريق بث إشاعات وأخبار غير مؤكدة عن خسائر الجنود الأمريكيين في المحيط الباسفيك، كما كانت تبث الأغاني الأمريكية المحبوبة لإشغال الجنود الأمريكيين عن القتال؛ وكان من أسباب نجاحها أن المذيعة اليابانية والمشرفة على الإذاعة إيفا توجوري (Iva Toguri D›Aquino) كانت مواطنة أمريكية بالتجنس من أصول يابانية.

كذلك عمل راديو صوت أمريكا على إغراق الأثير السوفييتي بأغاني الروك آند رول، عوضاً عن إرسال الخُطب السياسية الرنانّة إبّان الحرب الباردة، وذلك نوع من الغزو الثقافي الناجح حيث إن الشباب في شرق أوروبا أصبح يعشق الأغاني والموسيقي الأمريكية المبهجة كبديل للأغاني المحلية المقبضة.

ويرى الدكتور العثيمين[١٦] أن تدعيم القوة الناعمة يتحقق بتوسيع "وظيفة إذاعة

(القرآن الكريم)، لتكون محطّة إسلاميّة ذات برامج دينيّة ودعويّة متنوّعة، ويشارك في دوراتها البرامجية أفضل الدعاة والفقهاء وأهل الفتيا الأتقياء والمعتدلون، من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتعمل على نشر ثقافة إسلاميّة (عالميّة) التوجّه، تعتمد على مبدأ القسط - العدل - والوسطيّة والاعتدال والتسامح والحوار مع الآخر، الذي يعكس الجوهر الحقيقي للإسلام". ويرى أن السعوديين "أولى بهذا الجهد من دول أخرى، فالمغرب على سبيل المثال، أطلق قناة تلفزيونية باسم (الوسطيّة)، وعُمان تُصدر مجلة دوريّة باسم (التسامح)، والكويت أنشأت مركزاً عالميّاً باسم (المركز العالمي للوسطيّة)".

ويذكر العلمي[٩] أنه قبل شيوع خدمات الاتصالات وتقنية المعلومات، "كانت العلاقات الدولية تعتمد على ١٨ تصنيفا، من ضمنها: الأحلاف، المعاهدات، الأديان، الحيادية، الأقلمة، السيادة، وغيرها"، حتى جاء العصر الحاضر، وخاصة خلال الحرب العراقية الأولى، حيث أضيف إلى القائمة، إلى جانب العولمة، تصنيف جديد يدعى القوة الناعمة، التي "اعتمدت على تسخير الإعلام في تطويع السياسات الخارجية وتوجيه مسيرة الحروب والمنازعات الدولية والداخلية، ليطلق عليه الإعلام الموجّه". بل إن القوة الناعمة في الوقت الحاضر تعتبر من أهم الوسائل المؤثرة في السياسة الخارجية بجميع مكوناتها ومدلولاتها، "حيث أصبح التأثير الثقافي مُرَكزاً على أنماط السلوكيات المختلفة من الأغذية والمأكولات والأغاني والدعاية والإعلان، ليشكل الإعلام الموجّه القوة الناعمة التي لها أكبر الأثر على شعوب العالم".

ويذكّر الدكتور الشبيلي[٦] بما تناولته بعض الأقلام لمسألة القوة الناعمة من زاوية الإعلام، خاصة "بالدور المؤثر الذي اضطلعت به إذاعات لندن وبرلين الحرة وصوت أميركا وغيرها إبان الحرب الباردة، ثم ما اتجهت إليه بعض الدول مؤخرا من توظيف شبكات المعلومات ومن إنشاء قنوات فضائية موجهة بلغات العالم المختلفة".

ويرى الدكتور العثيمين[١٦] أن المملكة لم تستثمر القوّة الناعمة الكامنة في المقوّمات والمزايا التي يختص بها الفضاء الإسلامي، "الذي لا يمكن أن ينافس المملكة أحد عليه، ويُعدّ - في نظر الجميع من مُحبّ وعدو - أقوى أداة ناعمة في يد المملكة، كونها حاضنة لقبلة المسلمين، التي يتجه إليها - يوميّاً - أكثر من مليار ونصف مسلم في صلواتهم

خمس مرات، وفيها الحرمان الشريفان، اللذان تنطلق منهما - أسبوعياً - رسالة مرئية - صوتية، يدوى صداها في أرجاء العالم، ببثّ مباشر من مكة والمدينة وهي (خطبتا الجمعة)، ومنها - أيضاً - انطلق الوحي، وفيها نشأت العاصمة الأولى للدولة الإسلامية، وهي مركز قوة الأغلبيّة السُنيّة في العالم الإسلامي".

الإنترنت

ترى الدباس[٦٦] أنه "لم يعد مألوفاً منظر ذلك الرجل التقليدي الذي يقرأ جريدة الصباح، ويرتشف كوب القهوة في لحظات هادئة يتابع فيها أخبار العالم اليومية عن طريق صحيفته المفضلة. فذلك المشهد قد اختفى وتلاشى ليحل محل صحيفة الصباح فضاءات التكنولوجيا الإخبارية، وليصبح كوب القهوة مجرد شعار للمقاهي الإلكترونية". وتضيف الدباس أنه في "زمن الثراء المعلوماتي والكم المعرفي والإخباري الهائل المتدفق على مدار الدقيقة والثانية، إضافة إلى المشاهد المباشرة من قلب الحدث، قُلبت موازين العالم وأوجدت سلطة جديدة هي: سلطة الإعلام التي تضاءل أمامها الجبروت السياسي حتى ألقت به في براثن شبكتها العنكبوتية".

ومع خُبوّ حماس العالم تجاه الاقتصاد الرقمي وإدارة الأموال من خلف الشاشات؛ ولج العالم مرحلة جديدة تسميها الدباس "السياسة الرقمية" التي أفسحت المجال للرأي العام في المساهمة في إدارة السياسات الدولية من خلف الشاشات وإسقاط رموز بالية وصناعة رموز أخرى، "فدخلت المعلومة - بالصوت والصورة - في مواجهة وتحدي أمام الآليات العسكرية حتى انتصرت. وانتهى على يدها عصر الديكتاتورية السياسية، كما انتهى عصر الديكتاتورية الإعلامية المضللة التي كانت ثقافة الشعوب تحت وصايتها. فأصبحت أصداء آهات المظلومين وصرخاتهم تهز كل مكان في العالم وتدك صروح الديكتاتوريات".

تفكر الأنظمة الحاكمة الآن في طريقة للتعامل مع الإنترنت التي جاءت لتحاول التغيير وبطرق جديدة لم يشهدها العالم من قبل، خاصة بعد الأحداث الجارية في تونس ومصر. وأوضحت واحة الحاسب[٧٢] أن "الشرارة التي انطلقت منها المظاهرات في عدد من البلدان العربية، وذلك باتباعها نفس الطريقة التي أطلق عليها اسم "ثورة

التويتر" والتي كان مسرح أحداثها الأولى في إيران عام ٢٠٠٩، وأطلق عليها هذا الاسم لأن المحتجين كانوا يستخدمون الموقع الإلكتروني "تويتر" في تنظيم الأحداث". وتضيف بأن الحكومات تعلمت الدرس من هذه التجربة الإيرانية، فكان أول ما فعلته عند ظهور بوادر الثورة هو منع الاتصال بشبكة الإنترنت، وذلك في محاولة للسيطرة على الوضع والحد من احتجاجات الشعب. وتقوم مجموعات من الشباب المتمرس تكنولوجيا بالالتفاف على محاولات الأنظمة لقطع الاتصال بالشبكة العنكبوتية وذلك بإيجاد وسائل جديدة للتواصل من خلال المواقع الاجتماعية الفيس بوك والتويتر ويوتيوب والمواقع الأخرى. وبدأت تظهر على المواقع رسائل ترشد مستعملي الشبكة إلى الطرق التي يمكن استخدامها للإفلات من الرقابة الحكومية.

فلقد كانت فقرات الفيديو التي عرضها المشاركون في التظاهرات على شبكة الإنترنت على موقع يوتيوب مصدر معلومات مهم ينقل الأحداث على الأرض كما حصل عندما ظهر هذا الفيديو عن طريق أحد المشاركين على موقع الإنترنت والذي يظهر وقوف أحد الأشخاص بتحد تام أمام إحدى المدرعات العسكرية. في الوقت نفسه كان تويتر يستخدم بطريقة أكبر لتنظيم حركة المتظاهرين على الأرض وتنظيم المكان والزمان الذي سيتم فيه الانطلاق وفي رسائل قصيرة أخرى "تويتس" أو "تغريدات" كان هناك شرح لحظي للأحداث.

وذكرت واحة الحاسب [٧١] أنه عندما حجبت خدمات آخر مزود محلي لشبكة الإنترنت قامت شركتا جوجل وتويتر "بالاتفاق معا لتوفير ٣ أرقام هواتف دولية، حيث أصبح بالإمكان الاتصال عن طريق الخط الثابت بهذه الأرقام وتسجيل رسائل صوتية قصيرة على موقع تويتر حيث يقوم المستخدم بالدخول إلى الموقع وسماع هذه الرسائل بدلا من قراءتها وهذا ما أعطى هذه الرسائل سمة أكثر شخصية وأكثر إنسانية حيث يمكن سماع صوت الشخص المرسل وسماع الأجواء التي حوله والتفاعل معها بشكل أكبر بكثير من مجرد قراءتها مكتوبة". وبهذا فإن قرار حجب الاتصال بالشبكة العنكبوتية وبالهواتف النقالة دفع العديد من الناس إلى النزول للشارع لإسماع أصواتهم لعدم قدرتهم على التواصل من داخل بيوتهم.

وأكدت واحة الحاسب أن المواقع الاجتماعية لعبت دورا مهما في انتشار الخبر ونستطيع أن نلمس ذلك حيث كانت هذه المواقع تنصح المتظاهرين بالتوجه إلى مكان محدد وفي ساعة محددة، وتقديم معلومات أخرى مثل كيفية تجنب مواقع تفتيش الشرطة في الشوارع. ورغم أن نجاح هذه المواقع الاجتماعية أو فشلها في مساعدة المتظاهرين ما زالت نقطة جدال، فإن النقطة الأهم هي أن الأحداث أظهرت بشكل بارز أهمية هذه المواقع الاجتماعية للطرفين وأن الجميع يستخدمون مثل هذه الطرق في منطقة الشرق الأوسط للإعلان عن القضايا والمواضيع المهمة، وأنها أصبحت تلعب دورا أساسيا في إيصال وجهة النظر إلى العالم. وقد علق جون ستيوارات الكوميدي الأمريكي صاحب برامج ديلي شو على قناة الكوميديا، على المظاهرات في البلدان العربية قائلاً: لو كنا نعلم أن خطابين وموقعا اجتماعيا هو كل ما نحتاجه لنشر الديمقراطية في العالم لما قمنا باحتلال العراق عسكريا، وكان علينا محاولة محاربته من خلال موقع الفيسبوك.

الأنشطة الثقافية

نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في حملاتها الثقافية كتجليات للقوة الناعمة الأمريكية خلال الحرب الباردة حيث كانت تواجه الحملات الثقافية السوفيتية المركزة في آسيا وأفريقيا وشرق أوروبا وجنوبها، وذلك عن طريق فتح المكاتب الثقافية حول العالم والتي أغلقتها بعد انتهاء الحرب الباردة. وقد عبر الرئيس الأمريكي السابق وودرو ويلسون، عن أثر الثقافة الجماهيرية في الشعوب بأنها "تتحدث لغة عالمية تعمل على إشاعة القيم والمواقف السياسية الأمريكية بنعومة".

وقد أشاد الدكتور العثيمين[٨] بتجليات قوة الولايات المتحدة الأمريكية الناعمة حيث "استطاعت أن تكون إمبراطورية مؤثرة ومهيمنة على العالم، ليس عبر السلاح، بل عبر آلتها الإعلامية والثقافية الجبّارة، وعبر المسارح والأفلام والمجلات والصحف والكتب، ومن خلال تسهيل السياحة لولاياتها ومدنها، وتسهيل تعلّم اللغة الانجليزية لمن يرغب في تعلّمها، وفتح جامعاتها لطلاب المشرق والمغرب، الذين تقاطروا عليها من أصقاع العالم"، وكل تلك الآليات هي من عتاد وسلاح القوة الناعمة.

ونادى الدكتور العثيمين بأنه "لا ينبغي للمملكة الاستهانة بفاعلية (القوّة الناعمة)

كسلاح يخدم مصالح الدول على المدى المتوسط والبعيد" ودعما لندائه استعرض تأثير تلك الحملات الثقافية والإعلامية على المستهدفين بتلك الآليات من آليات القوة الناعمة إذ إن "من الطبيعي أن يبزغ من بين أولئك الذين انفتحوا على الثقافة الأمريكية وانغمسوا في أسلوب الحياة الأمريكي ونطقوا بلسان أمريكي وتلقنوا العلم في صوامع أمريكية، نخبة تشكّل القيادات والنخب السياسية والثقافية والاقتصادية والعلمية في بلدانها، وتدير دولاب البيروقراطية النافذة في أوطانها، وتنقل معها (التجربة الأمريكية)، وأسلوب الحياة الأمريكي إلى مجتمعاتها، مما يجعل من أعضاء تلك النخبة "سفراء غير معتمدين لتلك القوة الناعمة في بلادهم".

ورغم مقاربة هذا الاستنتاج المنطقي للواقع إلى حد ما فإن تأثير هذا النموذج من القوة الناعمة يعتمد على طبيعة الأفراد المستهدفين بصورة أدق؛ وتجاربهم في التعامل مع القوة الناعمة الأمريكية. فبينما انبهر البعض بما استهدفهم من إعلام وثقافة وما وجدوه في زياراتهم للولايات المتحدة الأمريكية، وعادوا إلى بلادهم ليكونوا "سفراء غير معتمدين لتلك القوة الناعمة في بلادهم" بل وربما أصبحوا أمريكيين أكثر من الأمريكيين روحا وقلبا وقالبا، فليس من الغريب أن بعضاً من خريجي الجامعات الأمريكية والبريطانية أصبحوا من دعاة وزعماء الشيوعية والاشتراكية المناهضين للسيطرة الأمريكية والمناوئين للتدخل الغربي في بلادهم. بل إن منهم من عادوا لبلادهم لبناء صناعات وشركات تنافس الولايات المتحدة الأمريكية وتحد من توسعها التجاري.

كما كان الاتحاد السوفيتي في حقبة الحرب الباردة يستخدم نفس تلك الآليات الثقافية والإعلامية مع إضافة العديد من المحفزات والمغريات لمن يتعلم اللغة الروسية أو يلتحق بجامعاتها بدافع المنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى سبيل المثال؛ كانت الحكومة السوفيتية تتولى التكفل بتعليم زوجة المبتعث إلى إحدى جامعاتها، وكانت توفر للدارسين فيها السكن والطعام الذي لا يتوفر للمواطنين من أقرانهم. بل إنهم سهلوا على الأجانب متطلبات القبول والحصول على الشهادات العليا مقارنة بالطلاب من المواطنين. ورغم ذلك فإن غالبية خريجي الجامعات السوفيتية وبرامج الاتحاد السوفيتي والروسي بالأخص عادوا إلى أوطانهم بروح عدائية للشعب الروسي والثقافة الروسية والسياسة الروسية.

ولعل الفارق بين ما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية ترويجه وما سعت روسيا إلى ترويجه، أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعتمد على الدعاية لرهف العيش فيها ولما تسميه أسلوب المعيشة الذي تتباهي به، كما أنها تفتخر بأن لكل من يعيش فيها فرصة لتحقيق طموحاته دون عائق. وبالطبع كان للمبالغة في تجميل صورة الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية تأثير عكسي على المغتربين الذين شاهدوا على مسرح الواقع زيف كثير من الإدعاءات. وهذا لم يمنع عودة بعض الدارسين في الولايات المتحدة الأمريكية إلى بلادهم بصورة أكثر بريقا خاصة لو عاشوا منقطعين لدراساتهم وتقوقعوا في كنف أبناء جلدتهم.

أما الاتحاد السوفيتي فقد كان يطلق حملات الدعوة للسلام وإنصاف الفقراء. بل كان ذكيا في نشر بعض الكتب والقصص الأمريكية والأوروبية التي تهاجم النظام الرأسمالي مثل مؤلفات جون شتاينبك الأمريكي وجورج أورول البريطاني. وكان الاتحاد السوفيتي يحرص على عزل الطلاب الأجانب عن المجتمع، وما زالت روسيا تتبني نفس النهج.

المكسب الذي تكتسبه الدولة التي تستضيف الطلاب من الدول الأخرى وتشرف على تعليمهم لغتها، والذي يعتبر النتيجة الوحيدة الموثوق بها من الآلية الثقافية والتعليمية للطاقة الناعمة، هو ميل أولئك إلى التعامل التجاري مع الدول التي احتضنتهم فهم من هذا المنطلق "قناصل تجاريون غير معتمدين في بلادهم للدول التي توظف هذا الجانب من القوة الناعمة". فصاحب القرار يميل إلى شراء المعدات والأجهزة والمنتجات التي تتطلبها بلاده من الدولة التي تلقي تدريبا فيها أو حصل على شهادة علمية وعرف لغتها لسهولة التعامل مع تلك الدولة.

ولا جدال فيما ذكره الدكتور العثيمين[١٠] عن "الحرص الأمريكي على نشر (الثقافة الاستهلاكية) في جميع دول العالم، خاصة بين أوساط الشباب الذين يشكّلون (٦٥٪) من مجموع السكان، عبر القوّة الناعمة - واللذيذة أحياناً - مثل (الهامبورغر) و(البيتزا)، وكذلك أفلام وأغاني (الأقراص المُدمجة)، ومحلات القهوة (ستاربكس)، التي ملأت أركان شوارع مدن العالم، والملابس ذات التقليعات الشاذة لوناً وتفصيلاً، وانتهاءً

بالمخازن (المولات) التجارية الكبرى، التي هي علامة أمريكية مسجلة بامتياز".

بالنسبة إلى "نشر الثقافة الاستهلاكية في جميع دول العالم"، فهي قوة ناعمة ولكن الحكومة الأمريكية والسياسة الخارجية لا دخل لهما بها فهي مجهودات تقتصر على المؤسسات التجارية العالمية، وهذا من النقاط الهامة التي أشار إليها جوزيف ناي فهو يتمنى أن تتبني الحكومة أسلوب شركات مثل كوكاكولا في سياستها الخارجية. وقد ساعد على نجاح "نشر الثقافة الاستهلاكية" الذين زاروا الولايات المتحدة الأمريكية سواء كسياح أو طلاب إلى جانب الحملات الدعائية. كما أن هذا السلاح هو سلاح الرأسمالية العالمية الموجه للغرائز وعقول البشر قاطبة سواء أكانوا مواطنين أمريكيين أو عرباً، غربيين أو شرقيين، شماليين أو جنوبيين.

أما الدكتور زويل[٧٢] فيري زيف الاعتقاد الشائع بأن القوة الناعمة للولايات المتحدة الأمريكية تكمن في شعبية أفلام هوليوود والكوكاكولا وماكدونالدز وستاربكس في مختلف أنحاء العالم؛ فالحقائق تظهر شيئا مختلفا عن ذلك تماما، إذ أسفر "استطلاع رأي أجري مؤخرا وشمل ٤٣ دولة، قال ٧٩٪ ممن استطلعت آراؤهم إن أكثر ما يعجبهم في الولايات المتحدة هو ريادتها في مجال التقنية والعلوم. وجاءت الأعمال التي أثمرها قطاع الترفيه الأميركي في المرتبة الثانية ولكن بفارق كبير". ويضيف الدكتور زويل "كطالب أجنبي شاب خلال السبعينات من القرن الماضي، كان أكثر شيء يثير الإعجاب لدي ذي صلة بالولايات المتحدة، هو ما يقدره الكثيرون في العالم لأميركا في الوقت الحالي، فقد أعجبتُ بالثقافة الفكرية المنفتحة وجامعاتها العظيمة وإمكانياتها في مجال الاكتشاف والإبداع. وعبر تسخير القوة الناعمة للعلوم لخدمة الدبلوماسية"، ويمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تؤكد رغبتها في استخدام أفضل ما في تراثها وثقافتها لبناء علاقات أوسع وأفضل مع العالم الإسلامي وما وراءه.

وعموما فلقد أدركت الدول الغربية أهمية الاستفادة من القوة الناعمة التي تتوفّر عندها باستغلال كل ما تملكه من آلياتها، ومن هذا المنطلق يجزم الدكتور العثيمين[٨] بأنها "استثمرتها لنشر أنماط حياتها السياسية، وأديانها، وثقافاتها، وأساليب حياتها، وتسويق مُنتجاتها المادية وغير المادية، والعمل على تثبيت صور ذهنية (ايجابية)

عن دولها ومجتمعاتها بين الأوساط الشعبية والنخب في الدولة المُستهدفة". ويرى أن تلك الدول وصلت "إلى قناعة بأن القوة الناعمة فعّالة في خدمة مصالحها أكثر من القوة الخشنة، القائمة على استخدام القوة العسكرية. "فأوروبا استخدمت سلاح القوة الناعمة حتى قبل ظهور هذا المصطلح عبر وسائل متعددة، مثل حملات التبشير، والتطبيب، والصلات الثقافية بين الشرق والغرب على مستوى الشعوب، والبعثات التعليمية، والاستشراق، ثم الإذاعات الموجهّة للشرق، كأدوات فعّالة لفهم الشعوب، والتأثير عليها، وكسب تعاطف شعوبها".

ويمكن الإضافة في هذا المجال حقيقة أن قيام الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بنشر دينها وشن الحملات التبشيرية وإرسال البعثات والإرساليات الدينية تستهدف تبعية الدول المستهدفة لها وفتح أسواقها، ولا تستهدف بالضرورة تغيير المواطنين لدينهم واعتناق دين الدولة التي توظف القوة الناعمة في المجال الديني. هذا لا يقلل من دور الاحتكاك الثقافي في نشر الديانات وهذا لا يحتاج لعمليات مركزة. مثال ذلك انتشار البوذية بين المسيحيين واليهود في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة احتكاكهم من خلال الهجرة والحروب مع اليابان وكوريا والصين وفيتنام؛ وهذا رغم أن المجتمع الياباني مجتمع معروف بالانغلاقية ومجتمعات الصين مجتمعات مادية لأقصى غاية.

وعلى أية حال فإن بمقدور المملكة أن تستفيد من المنظومة الأمريكية في تطبيق الآليات الثقافية للقوة الناعمة، التي قد تحتاج إلى مزيد من التوسّع والدعم والإنفاق، وهنا يقترح الدكتور العثيمين[١٦] عدة آليات تندرج تحت تلك المنظومة منها رصد "الجوائز النوعية التي تقدّم للمبرزين من أنحاء العالم الإسلامي، والفعاليّات الخارجيّة مثل: معارض الكتب، والأسبوعيات الثقافيّة، وبرامج تبادل الزيارات على مستوى الوفود الشبابيّة والطلابيّة من مختلف أنحاء العالم، وعلى مستوى المثقفيّن والأدباء والنخب السياسّية، حتى وإن كانوا لا يشاطروننا جميع توجّهاتنا السياسّية والثقافيّة.. ويرتبط بهذا البعد، موضوع الاهتمام بنشر اللغة العربية وتدريسها، من خلال المنح المجانية سواء داخل المملكة، أو عبر المراكز الثقافيّة في الخارج.. وكذا الأمر بالنسبة للمجال السياحي، الذي بدأت بُنيته التحتيّة تتشكّل مؤخراً، عبر الهيئة العليا للسياحة، التي لابد

أن تأخذ بالاعتبار تصميم برامج سياحّية ذات طابع إسلامي، تكون موجّهة لفئات معينة من رعايا العالم الإسلامي، وبرامج أخرى موجّهة للعالم الغربي".

والدكتور العثيمين محق إلى حد ما في قوله إن أمريكا استطاعت أن تكون إمبراطورية مؤثرة ومهيمنة على العالم، ليس عبر السلاح. بل عبر آلتها الإعلامية والثقافية الجبّارة وآليات القوة الناعمة، غير أن الواقع ليس بهذه الصورة الوردية، فمثلا:

- تأثير "آلتها الإعلامية"، يقتصر على عدد قليل من الناس بما في ذلك الأمريكيين أنفسهم، ومع انتشار الإنترنت ووسائل المعلومات المتنوعة يتراجع ذلك التأثير بصورة كبيرة وسريعة.
- تأثير "آلتها الثقافية الجبّارة، وعبر المسارح والأفلام والمجلات والصحف والكتب"، باستثناء الأفلام يكاد أن يتلاشى، فالناس لم تعد تقرأ حتى في الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث أعلن عدد كبير من المجلات والصحف الأمريكية إفلاسه؛ وكثير منها ليس في متناول الشعوب الأخرى سوى الخاصة منهم، وليس عليها إقبال، بعد انتشار المدونات وسائر وسائل المعلومات على الإنترنت. كما أن من أسباب تدني هذا التأثير إغلاق وكالة الولايات المتحدة الأمريكية للمعلومات عام ١٩٩٩ التي أنشأها الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٣ وكان يتبعها المكاتب الثقافية الأمريكية في كبرى بلاد العالم والتي وصلت ميزانيتها إلى أكثر من مليار دولار.
- "السياحة لولاياتها ومدنها"، لم تعد ميسرة ولا ميسورة كما كانت من قبل؛ نظرا للإجراءات الأمنية القاسية على الحدود، والمعاملة المتدنية التي يلقاها السياح الأجانب بما في ذلك الأوروبيين.
- فتح المجال "لطلاب المشرق والمغرب، جعلهم سفراء غير معتمدين لتلك القوة الناعمة في بلادهم"، هذا قد ينطبق على قلة ممن تلقوا العلم في الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث ثبت من دراسات ميدانية أن كثيرا ممن يكنون شعورا عدائيا للسياسة الأمريكية ومن قادة الحركات الشيوعية والمناهضة للرأسمالية من خريجي نظام التعليم الأمريكي.

فمما لا شك فيه أن قيام السلطان قابوس سلطان عمان بدعم كرسي سلطان عمان

للعلاقات الدولية في مدرسة جون إف كنيدي للحكومة، بجامعة هارفارد الذي يشغله الدكتور جوزيف ناي، منظر القوة الناعمة، من آليات التواصل الناعم بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية. وبالطبع إن ذلك سيجد انتقادا من البعض مثل بن شابيرو[٧٣] الذي أعلن حملة لإقصاء العرب والمسلمين من الجامعات الأمريكية؛ ولكن المال عندما يتحدث يصمت النقاد.

وتعد المهرجانات الوطنية للتراث والثقافة من الفعاليات الثقافية التي تحيي الروح التطبيقية للقوة الناعمة؛ وأهم تلك المهرجانات المهرجان الوطني للتراث والثقافة الذي ينظمه ويشرف عليه الحرس الوطني السعودي في الجنادرية كل عام كمناسبة تاريخية في مجال الثقافة، ومؤشراً عميقا للدلالة على اهتمام قيادة المملكة بالتراث والثقافة والتقاليد والقيم العربية الأصيلة. وهذا المهرجان التراثي والثقافي يقام في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٦م وغالباً ما يكون موعده في فصل الربيع ليجذب العديد من الزوار من داخل وخارج المملكة. ومن أسمى أهداف هذا المهرجان التأكيد على هوية المملكة العربية الإسلامية وتأصيل موروثها الوطني بشتى جوانبه ومحاولة الإبقاء والمحافظة عليه ليبقى ماثلا للأجيال القادمة، وبهذا فإنه يعد مناسبة وطنية يمتزج في نشاطاتها عبق تاريخ المملكة المجيد بنتاج حاضرها الزاهر.

وقد انبثقت فكرة المهرجان من الرغبة السامية لخادم الحرمين الشريفين في تطوير سباق الهجن السنوى الذي اكتسب ذيوعا على المستويين الوطني والإقليمي. ويضم المهرجان قرية متكاملة للتراث والحلي القديمة والأدوات التي كان يستعملها الإنسان السعودي في بيئته قبل أكثر من خمسين عاماً بالاضافة إلى معارض للفنون التشكيلية.

وتؤكد الرعاية الملكية للمهرجان الأهمية القصوى التي توليها قيادة المملكة لعملية ربط التكوين الثقافي المعاصر للإنسان السعودي بالميراث الإنساني الكبير الذي يشكّل جزءاً كبيرا من تاريخ البلاد، مع استضافة دولة من دول العالم للمشاركة في المهرجان. وقد شاركت الجمهورية الفرنسية في جنادرية ٢٥.

ولتحقيق هذا المنال السامي ذللت الحكومة السعودية الصعاب ووضعت جميع الإمكانيات اللازمة في مختلف القطاعات الحكومية رهن إشارة القائمين على تنظيم هذا

المهرجان لتتسابق جميع القطاعات على المشاركة في النشاطات المعتمدة كل عام تحت إشراف وبمتابعة صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

ومن أولويات الجانب التراثي بالمهرجان إبراز أوجه التراث الشعبي المختلفة متمثلة في الصناعات اليدوية والحرف التقليدية بهدف ربطها بواقع حاضرنا المعاصر والمحافظة عليها كهدف من أهداف المهرجان الأساسية وإبرازها لما تمثله من إبداع إنساني تراثي عريق لأبناء هذا الوطن على مدار أجيال سابقة، إضافة إلى أنها تعتبر عنصر جذب جماهيري للزائرين.

ويبرز المهرجان الذي ينظمه الحرس الوطني في الجنادرية تنامي رسالة الحرس الوطني الحضارية في خدمة المجتمع السعودي التي تواكب رسالته العسكرية في الدفاع عن هذا الوطن وعقيدته وأمنه واستقراره. وأهدافه هي:

- التأكيد على القيم الدينية والاجتماعية التي تمتد جذورها في أعماق التاريخ لتصور البطولات الإسلامية لاسترجاع العادات والتقاليد الحميدة التي حث عليها الدين الإسلامي الحنيف.
- إيجاد صيغة للتلاحم بين الموروث الشعبي بجميع جوانبه وبين الانجازات الحضارية التي تعيشها المملكة العربية السعودية.
- الحرص من الدولة السعودية والعمل على إزالة الحواجز الوهمية بين الإبداع الأدبي والفني وبين الموروث الشعبي.
- تشجيع اكتشاف التراث الشعبي وبلورته بالصياغة والتوظيف في أعمال أدبية وفنية ناجحة.
- الحث على الاهتمام بالتراث الشعبي ورعايته وصقله والتعهد بحفظه من الضياع وحمايته من الإهمال.
- العمل على صقل قيم الموروث الشعبي ليدفع برموزه إلى واجهة المخيلة الإبداعية ليكون في متناول المبدعين خيارات من موروثاتهم الفنية بألوان الفن والأدب.

- تشجيع دراسة التراث للاستفادة من كنوز الايجابيات كالصبر وتحمل المسؤولية والاعتماد على الذات لتدعيمها، والبحث في وسائل الاستغلال الأمثل لمصادر البيئة المختلفة.
- العمل على التعريف بالموروث الشعبي بواسطة تمثيل الأدوار والاعتماد على المحسوس حتى تكون الصورة أوضح وأعمق، وإعطاء صورة حية عن الماضي بكل معانيه الثقافية والفنية.

العمالة الوافدة

العمالة الوافدة؛ (العاملة في المملكة) خاصةً الفئات المتعلّمة والماهرة من الحرفيين، تشكل ذراعا لا يُستهان بقدرته على بسط القوّة الناعمة السعوديّة. فهناك ما يقارب سبعة ملايين وافد من بينهم شريحة مُعتبرة من الأطباء والمهندسين والمتخصصين في المعلومات والمحامين وأساتذة الجامعات والمدرسين والإعلاميّين والمثقفيّن. وتعداد هؤلاء المقيمين أو المغتربين قد يشكل ثلث سكان المملكة. وبهذا فإن الدكتور الشبيلي[٦] يعتبر أن احتضان المملكة لتلك النسبة العالية من المغتربين يجعلهم أحد عناصر القوة الناعمة؛ حيث إنهم أدوات ناعمة داعمة للقوة السعوديّة حول العالم. أما الدكتور العثيمين[١٦] فيرى أن ذلك يمكن أن يتحقق إذا ما تم "احتواؤهم ضمن برامج ومناشط موجّهة لهم، ولأفراد أسرهم المقيمين معهم في المملكة".

ومع الترويج إلى تحويل العمالة الوافدة إلى ذراع لقوة المملكة الناعمة فإن الخبرة العملية مع العمالة الأجنبية الغزيرة في كثير من الدول تنبئ بأنها رغم كونها سلاحا فعالا للقوة الناعمة ولكنها في الواقع سلاح ذو حدين. فمن الممكن أن تكون سلاحا ناعما للدولة التي وفدت منها بحيث تنقل العديد من التقاليد والثقافة الغريبة على المجتمع خاصة فيما يتعلق بالعمالة الوافدة غير المهنية التي تقدم الخدمات الدنيا والقادرة بصفة عملها على التوغل في المجتمع دون وجود آلية للتأثير عليها أو الوقاية من تأثيرها. أما العمالة المهنية الوافدة فقد تكون مكلفة من الدولة التي وفدت منها بأن تفعل قوتها الناعمة في تعطيل تأهيل وتنمية القوى البشرية المواطنة ووضع عراقيل أمام مصالح الدولة المستضيفة تمنعها من الاستغناء عن تلك العمالة الوافدة على المدى الطويل فتصبح

الدولة والمواطنون غير قادرين على الاعتماد على أنفسهم في أداء أعمال أساسية وهامة؛ وبهذا تصبح الدولة المضيفة أسيرة لدى الدولة التي توفر لها العمالة. وحتى لو قامت الدولة المستوردة للعمال باستيراد عمالة من عدة دول فيكفي أن ترسل دولة من تلك الدول قلة من العاملين للعمل في قطاع حساس لتتحكم في ذلك القطاع وتوجهه وفق إرادتها.

ولما كانت غالبية العمالة الوافدة بجميع أطيافها قادمة سعيا وراء الرزق وربما كانت مرغمة لغياب مصادر الرزق في بلادها؛ فإن من الصعب على من يعود إلى بلاده في إجازة أو بعد انتهاء خدمته أن يكون سفير النوايا الحسنة وذراع القوة الناعمة للمملكة، إلا إذا عاد بذكريات طيبة من حسن استقبال المواطنين ولطف معاملتهم له، وكذلك شعوره بالمساواة في حقوقه مع المواطنين، خاصة لو أدى عمله بأمانة وإخلاص.

أما عملية "احتوائهم ضمن برامج ومناشط موجّهة لهم، ولأفراد أسرهم المقيمين معهم في المملكة" فعملية أكاديمية بحتة أثبتت فشلها الذريع في الكثير من المواقف والظروف المماثلة. هذا لأن العمالة الوافدة لم تفد إلى المملكة في زيارة عابرة حتى تشكل انطباعاتها حملات توجيه تجميلية، بل هي من شرائح المجتمع الذي يعمل ويعيش ويكتسب خبرات طيبة وغير ذلك فليس من المتوقع تغيير انطباعاته بكلمات معسولة أو برامج تأهيلية تتدخل مع كثير من مجريات حياتهم الطبيعية.

الفصل السابع

محور التنمية البشرية

- برنامج الابتعاث الخارجي
- تأهيل القيادات المجتمعية
- القوى البشرية

يمثل رأس المال البشري مخزونا لا ينضب للقوة الناعمة السعودية حيث إن المواطن الصالح هو أنجع سلاح في عتاد تلك القوة الناعمة يمكن شحذه وصقله وإعداده لتوظيفه في تقوية البنية الداخلية، وتأكيد مكانة المملكة كقوة عظمي على الصعيدين الإقليمي والدولي، والإسهام في تعزيز السلام الأهلي والعربي والإسلامي والعالمي. بمقدور كل ذلك أن يتأتى نظرا لقدرة رأس المال البشري السعودي على الإسهام في كل محور من محاور القوة الناعمة السعودية. وبهذا يجب على التنمية البشرية في المملكة أن تعمل على إثراء العنصر البشري السعودي بالكفاءة الاجتماعية والخلقية والحضارية والدبلوماسية والثقافية والفنية والعلمية والاقتصادية لرفع شأن الوطن. وفيما يلي بعض جوانب التنمية البشرية التي يلزم الاهتمام بها لإطلاق قوى المملكة الناعمة من مكامنها والسعي إلى استثمارها محليا وإقليميا وعالميا بصورة فعالة تعزز من منزلة المملكة العربية السعودية دوليا:

- **المحور الديني والحضاري:** التحلي بقيم المجتمع الإسلامي وخلقه، والاعتزاز بتقاليد الوطن وأعرافه، واحترام الدين وأحكام الشريعة، والتمثيل الحسن لسماحة الإسلام، واحترام العلماء، وحسن معاملة الحجيج والمعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف، واحترام الاختلاف في الرأي والفكر والعرق واللون والمنزلة الاجتماعية، والقدرة على الحوار مع الآخرين سواءً أكانوا من الأصدقاء المقربين أو الغرباء، والمناصحة مع المواطنين.
- **المحور الدبلوماسي:** القدرة على التفاعل الإيجابي مع المجتمع المحلي والإقليمي والدولي عن طريق الدراية بالشؤون الداخلية والخارجية، والتدريب على التعامل مع الغرباء عن دائرة المعارف، وإدراك التنوع البشري والفكري وتضارب المصالح بين المجتمعات وبين الدول؛ والإسهام في جهود الدبلوماسية الشعبية من خلال المؤسسات الحكومية أو المنظمات غير الحكومية أو الجهود الفردية؛ والتمسك بالوحدة الوطنية وتعزيزها؛ والإسهام في تقوية أواصر العلاقة مع الشعوب العربية والإسلامية بالسياحة والتواصل بالسبل المتاحة الرسمية وغير الرسمية؛ والمساهمة في جهود تقوية العلاقة مع الأقليات المسلمة.
- **المحور الجغرافي:** الاستفادة من المساحة الشاسعة للمملكة، والربط بين أطراف

المملكة المتباعدة والسعي لتوفير الخدمات المدنية والبلدية للجيوب السكانية المتناثرة، والحصول على التدريب والمهارة للعيش في أي بقعة من أرجاء المملكة الواسعة دون الحاجة إلى التمركز في المدن، والتدريب على المهارات وتأسيس الأعمال التي لا تحتاج إلى عدد كبير من الأيدي العاملة، وابتكار سبل الاستفادة من المساحات ذات الكثافة السكانية البسيطة بالنسبة لمنطقة الخليج؛ وتعزيز حماية الحدود البرية والبحرية للمملكة عن طريق التدريب على حمايتها وصيانتها، والتعامل مع العناصر المحلية المقيمة بالقرب منها واستخدام التقنيات الفعالة لحراستها دون استخدام وسائل المطاردة العنيفة أو الحاجة لاستخدام وسائل القوة الشديدة؛ والتواصل مع الدول المجاورة للمملكة بالتجارة والتبادل الثقافي والمعرفي، والتعرف على خصوصياتها الثقافية وتقاليدها وأعرافها وتاريخ علاقاتها بالمملكة والقيام بالتردد عليها والتواصل مع مواطنيها.

- **المحور الاقتصادي:** الإعداد الفني للخدمة على جميع المستويات في مجال الصناعة النفطية والصناعات البتروكيمائية بصورة تعزز مكانة المملكة العالمية ككبرى الدول المنتجة والمصدرة للنفط؛ والإعداد لكوادر فنية وإدارية وبحثية للاستفادة من الثروات الطبيعية بصورة تدعم القوة الاقتصادية للمملكة في العالم؛ وتوفير الأيدي العاملة والقوة الفنية والإدارية اللازمة للتوسع في المدن الاقتصادية؛ وتأهيل القوى البشرية التي تدخل التحسينات على مناخ الاستثمار.
- **المحور الإعلامي والثقافي:** تأهيل وتدريب الفنيين والإداريين والمهندسين والمبتكرين لدعم الإعلام السعودي محليا وإقليميا ودوليا لتقوية دور القنوات الفضائية، والإذاعات الموجهة في نشر الثقافة السعودية، ودعم منزلة المملكة على الصعيد العالمي.

كما تشمل التنمية البشرية والاجتماعية تزويد الإنسان السعودي باحتياجاته من تعليم، وتنمية مهاراته بحيث يخدم التعليم السوق السعودية، والحاجة الملحة لتنمية مهارات العقل السعودي ومنافسة الجنسيات الأخرى في دول الخليج، بالإضافة إلى تقديم خدمات لأهالي القرى والهجر والجيوب السكانية النائية في المملكة.

برنامج الابتعاث الخارجي

البعثات الخارجية التي ترسلها المملكة للتدريب أو التعليم في الخارج في العديد من الدول الأوروبية والأمريكية والإسلامية والعربية تمثل وفودا للنوايا الحسنة التي تعزز من مكانة المملكة بصورة حضارية ناعمة. وهي فرصة ذهبية لتعريف الشعوب بالمملكة وتقاليدها وفنونها وحضارتها ومواقفها السياسية دون حاجة للحملات الدعائية التي لا تحظى عادة باهتمام الكثير من الناس. كما أنها مجال لتعزيز روح الألفة بين السعوديين ومواطني البلاد المستضيفة.

وكثيرا ما يؤدي وجود عدد كبير نسبيا من المبتعثين في جامعة واحدة إلى قيامهم بتأسيس جمعيات اجتماعية تقوم بأنشطة ثقافية وفنية إلى جانب إقامة المعارض والحفلات في مناسبات الأعياد القومية؛ هذا إلى جانب إلقاء المحاضرات وعقد الندوات للتعريف بالمملكة من زوايا مختلفة. وكثيرا ما يجمع المبتعثون السعوديون حولهم الطلاب العرب ويتواصلون مع الطلاب المسلمين فيقيمون صلوات الجمعة والعيدين. وربما سعوا بدعم من المملكة إلى إنشاء المساجد الصغيرة للصلاة والاجتماع بالمجتمع المسلم في المدن الجامعية. وللسعوديين دور كبير في إنشاء فصول تعليم الأطفال اللغة العربية والدين. تلك الفعاليات لها تأثير كبير على الناس، حيث تعطيهم صورة حقيقية وواقعية عن المملكة ومجتمعها وعاداتها فتزيل ضبابية الصور المشوهة التي تخيم على الأجواء عند غياب الحقيقة.

وفي كلمة له في جامعة جورج واشنطن، استعرض صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل[٧٤] السفير السابق للمملكة لدى الولايات المتحدة الأمريكية جهود التطوير التي تقوم بها المملكة على الصعيد الداخلي وأكد أن الاستثمار في التنمية البشرية وتحسين مستوى حياة المواطن السعودي "ظل ضمن أولويات الاقتصاد السعودي إلى جانب تنويع مصادر الدخل". وبين سموه الاهتمام البالغ الذي توليه المملكة للتعليم وتطوير مناهجه وتشجيع الابتعاث الخارجي. وأشار إلى أن الطلاب السعوديين الدارسين في الولايات المتحدة يساهمون في بناء جسور التفاهم بين البلدين وقال إنهم سفراء لبلادهم في الولايات المتحدة.

ويؤكد الدكتور الشبيلي[٢٢] على أهمية القيادة عبر القدوة من خلال ما تتركه السياحة البشرية متمثلة في الآلاف من السعوديين الذين يجوبون أرض الله من قوة ناعمة في نشر السمعة الحسنة وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن القيم الخلقية للإسلام. ولقد انتشر الإسلام من الجزيرة العربية إلى إندونيسيا وماليزيا والفلبين وبورما بفضل بعثات العلماء والتجار.

وعلى الرغم من أن السعودية خرجت من تصنيف الدول النامية الأقل نمواً إلى الدول النامية الأكثر نمواً، فقد زادت مخصصات الطلبة المبتعثين باليابان (١٥٪)، وفق السفير السعودي في اليابان الدكتور عبدالعزيز تركستاني[٢٥]. هذا إلى جانب حصول المملكة على موافقة الجانب الياباني على المشاركة في التكاليف في قطاع تدريب الشباب السعودي تقنياً (JICA).

وفي هذا المجال يضرب الدكتور العثيمين[٨] مثلا بالولايات المتحدة الأمريكية التي لم تكتف بالاستجابة لضربة الإرهاب في عمقها باستخدام آلياتها العسكرية لضرب أفغانستان وطالبان والعراق، بل تعدى ذلك إلى إطلاق مختلف أنواع أسلحة القوة الناعمة للتأثير على دول وشعوب المنطقة، ومن ذلك: السماح للبعثات الطلابية بالعودة إلى أراضيها من الدول التي ترى أن من مصلحتها استمالة شعوبها على المدى البعيد. هذا إلى جانب تكثيف برامج تعليم اللغة العربية وتمويل بحوث في الشؤون العربية.

تأهيل القيادات المجتمعية

القيادات المجتمعية في المملكة من مكامن القوى الناعمة التي يلزم تأهيلها لتقوم بدورها القيادي في التنمية البشرية إلى جانب دورها الرئيس في الدبلوماسية الشعبية التي تؤتي أكلها بجهود القيادات الفكرية والنخب الثقافية في المجتمع. وتتضمن عملية تأهيل القيادات المجتمعية:

- الانفتاح على العالم الخارجي، سواء الإقليمي أو العربي أو الإسلامي أو الدولي، لاستيعاب توجهاته والتعرف على مواقف الشعوب والحكومات من القضايا المشتركة، وخاصة تلك التي تتعلق بالمملكة.

- تقدير مواقف الشعوب الأخرى وإدراك تطلعاتها وطموحها، وتفهم دوافعها للحفاظ على مصالحها.
- التدرب على طرق التعامل القائمة على القوة الناعمة مع القريب قبل الغريب.
- الفهم الواضح لسياسة المملكة الخارجية وعلاقاتها الدبلوماسية والتوافق أو التضارب بين مصالحها ومصالح الدول الأخرى.
- كيفية الاستفادة من الإعلام الموجه سواء العربي أو الأجنبي أو السعودي في عرض وجهات نظر المملكة وفي تحسين صورتها في أعين الآخرين.
- القدرة على إدارة الحوار والاشتراك في الندوات العالمية والمؤتمرات الدولية التي يقتضي الأمر تمثيل المملكة فيها.
- اكتساب روح الاعتزاز بالوطن والشركاء في الوطن مع الثقة بالنفس ودون عصبية أو تعالٍ على الناس.

القوى البشرية

ويؤكد سليمان السكران[٧٥] على أنه رغم كون القوة الناعمة مصطلحاً قدّمته العلوم السياسية، فإنه يعني أن تكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق، وذلك عن طريق دعم مجالات حقوق الإنسان والبنية التحتية والثقافة والفن لدرجة احترام الآخرين لهذا الأسلوب والإعجاب به، مكوناً بذلك سلاحاً أقوى من القوة السياسية العسكرية. ويقول السكران في هذا المجال: "ولسنا هنا في تعاطٍ للعلوم السياسية أو مصطلحاتها لأنني لا أدخل ولا أحذق فنونها، لكن ما يهمنا هنا هو مقومات القوة الناعمة، خصوصاً أنها تتمركز ـ في تقديري ـ حول المقومات الذاتية للاقتصاد". وضرب مثلا باليابان حيث القوة الصناعية هي التي جعلت من هذا البلد قوة اقتصادية مؤثرة عالمياً بخلاف القوة العسكرية؛ بينما قوة المعلومات وتقنياتها هي التي أكسبت فنلندا مركزها. ومن هذا المنطلق يضيف السكران "ولهذا فقد أصبح العالم الآن يؤمن أكثر بأن القوة العسكرية ليست دوماً هي التي يمكن أن تكون المرجّح للنصر أو الهزيمة".

ولما كانت التنمية الاقتصادية هي منبع القوة الحقيقية، فمن الضروري أن تكون

مقومات تلك التنمية راسخة في قوتها ومؤهلة فيما يلزم من بنياتها الأساسية سواء أكانت تلك البنية تنظيمية أو تشريعية أو كانت ملموسة وموجودة على أرض الواقع. ولذا من الواجب أن يتم تشخيص وتقييم واقع تلك البنية الأساسية لمعرفة درجة القوة الناعمة تلك ومدى تأثيرها. وهنا يقول السكران "وفي محيطنا المحلي لا شك أن السعودية تمتلك اقتصاداً قوياً يؤهلها لتكون ذات قوة ناعمة كبيرة ومؤثرة في الخريطة السياسية والدولية". كما يرى أن هذا ما يجب التركيز عليه ودعمه ومراجعته بشكل مستمر يكفل استمرار زخم هذه القوة. ويؤكد أن من أهم عوامل نجاح وتأثير هذه القوة القوى الناعمة العاملة، وعلى وجه التحديد، الفرص الوظيفية، كون الاقتصاد يوفر فرصا تتناسب وحجمه ونموه وبالتالي زيادة ناتجه وتنافسيته الدولية.

وفي سياق رواية الدكتور زويل[٧٢] عن تجاربه الشخصية في ظل القوة الناعمة: "وقد شعرتُ بجدوى هذه القوة الناعمة عندما جئتُ إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ لبدء دراسات عليا في جامعة بنسلفانيا. واكتشفتُ حينها كيف تمثل العلوم لغة عالمية، إذ يمكنها إيجاد روابط جديدة بين الأفراد وفتح العقول أمام أفكار تتجاوز نطاق الفصول الدراسية. وغرست الفترة التي قضيتها أتعلم خلالها داخل أميركا في داخلي تقديرا أكبر لقيمة الخطاب الأكاديمي واستخدام الوسائل العلمية من أجل التعامل مع قضايا معقدة. وبُذرت حبوب جديدة من التسامح السياسي والثقافي، ونمت هذه البذور".

في المقابل فإنه من المقلق حقيقة أن التعليم في الكثير من الدول ذات الأغلبية المسلمة لا يرتقي إلى مستوى المعايير الدولية في تنمية القوى البشرية التي تضطلع بأدوار هامة في استثمار القوة الناعمة. ويمثّل القصور في نظام التعليم والعوائق الاقتصادية المنتشرة وقلة فرص العمل المتاحة أمام الشباب مصادر إحباط ويأس في مجتمعات مسلمة كثيرة. ولكن هناك أيضا الكثير من الإشارات الإيجابية، حيث تقطع بعض الدول الإسلامية، مثل المملكة العربية السعودية، خطوات كبيرة هامة في مجال التعليم وتنمية القوة البشرية.

ويقول الدكتور زويل إن الكثير من المسلمين الموجودين في الغرب تميزوا في الوقت الحالي في مجالات متنوعة، بدءاً من العلوم والتقنية والتجارة إلى الفنون والإعلام.

ويمكن أن تساعد هذه الإنجازات، والقيم التي يمثلها العالم الإسلامي على استعادة جزء من إرثه العظيم كرائد في العلوم من خلال تكملة الجهود والتطلعات المحلية. ولهذا يقترح الدكتور زويل البدء بالتأكيد على ثلاث نقاط تُعزز من احتمالية النجاح في ذلك:

- "أولا: تحتاج الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحديد سياسة شاملة متساوقة لاستخدام الدبلوماسية العلمية مع الدول ذات الأغلبية المسلمة. وعلى الرغم من الكثير من الجهود التي تبذلها منظمات خاصة وعامة، فإن مبادراتها لا تزال شيئا بسيطا".
- "ثانيا: يجب أن يركز جهد أكثر تكاملا على تحسين التعليم وتعزيز البنية التحتية التقنية والعلمية التي ستفضي إلى مكاسب اقتصادية حقيقية وتقدم سياسي واجتماعي. ومن وسائل إيجاد ثروة بشرية في مجال العلوم، على سبيل المثال، أن تقوم الولايات المتحدة بتشجيع ودعم مختبرات بسيطة لعلوم الأرض داخل المدارس الابتدائية مع توفير التدريب اللازم للمدرسين. وبالنسبة للطلاب الأكبر سنا، أقترح برنامجا جديدا وهو برنامج إعادة تشكيل التعليم والتنمية. وسيكون له أهمية بالنسبة للمسلمين. ومن خلال هذا البرنامج يمكن للولايات المتحدة دعم بناء مراكز التميز في العلوم والتقنية لتخدم المراكز التعليمية للطلاب الموهوبين في المدارس الثانوية والجامعة في مختلف أنحاء المنطقة".
- "ثالثا: يجب أن تكون هذه الجهود تتمة، وليس بديلا، للجهود الأميركية من أجل تعزيز حقوق الإنسان والحكم الديمقراطي في العالم الإسلامي".

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن المملكة تبذل جهودا مماثلة من أجل تحفيز التقدم وإعادة توجيه طاقاتها إلى قنوات جديدة بناءة تعود بالنفع المشترك عليها وعلى المنطقة وعلى العالم الإسلامي أجمع. وبهذا، يمكن لقوة العلوم الناعمة أن تعيد صياغة الدبلوماسية العالمية. ومن أبرز البرامج السعودية في مجال التنمية البشرية والتي سبقعت الاشارة إليها في فصول هذا الكتاب برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي الذي بدأ تنفيذه منذ بضع سنين، وإدى إلى إرتفاع عدد المبتعثين السعوديين للدراسة في الخارج إلى ١٥٠ألف مبتعث. وفي المقابل يجري حاليا التوسع في برامج

المنح الدراسية لأبناء العالم الإسلامي والأقليات المسلمة وتقديم منح تعليمية وتدريبية لشباب وقيادات العالم الإسلامي في المؤسسات التعليمية السعودية تنفيذا لقرار مجلس الوزراء رقم (٩٤) بتاريخ ١٤٣١/٣/٢٩هـ، والذي ينص على تخصيص ٥٪ من مقاعد الدراسة في الجامعات السعودية لغير السعوديين، والذي يجري تفعيله حاليا.

الفصل الثامن

النتائج والتوصيات

(أ) النتائج

- تغير مقاييس الدول العظمى Great Powers
- المملكة العربية السعودية مؤهلة لدور ريادي في عصر جديد متعدد الأقطاب
- دوافع
- خطة استراتيجية لتفعيل آليات القوة الناعمة السعودية

(ب) التوصيات

- تنشيط مكامن القوة الناعمة للمملكة واستثمارها
  - محور الدعوة
  - المحور الدبلوماسي
  - المحور الاقتصادي
  - المحور الإعلامي والثقافي
  - محور التنمية البشرية

(أ) النتائج

خلص هذا الكتاب لاستقصاء ورصد مكامن القوة الناعمة للمملكة العربية السعودية. إلى أن المملكة استطاعت، بفضل الله أولاً، وبممارسة القوة الناعمة أساساً، أن تتبوأ مكانة دولية مرموقة، وأصبحت تتمتع باعتراف المجتمع الدولي بنفوذها العالمي كقوة اقتصادية، وبنفوذها كقوة سياسية، وبنفوذها في العالم الإسلامي كقوة عقائدية. ويتمثل هذا الاعتراف في عضويتها في مجموعة العشرين (G20) لأكبر الاقتصادات في العالم وعضويتها في المجالس التنفيذية لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، إضافة إلى العديد من شهادات التقدير من جانب المنظمات الدولية لمساهمات المملكة السخية في الأعمال الإغاثية والخيرية والتنموية على مستوى العالم.

إن البقاء على القمة أصعب من الوصول إليها كما يقولون، حيث يستلزم ذلك استمرار المملكة في بذل جهود أكبر وأوسع نطاقا لاستثمار ما حباها الله بها من عناصر القوة الناعمة لتعزيز هذه المكانة الدولية المرموقة في خدمة قضاياها الاستراتيجية، على الصعيد الدولي، خاصة وأن معايير القوة التقليدية على الساحة الدولية شهدت تراجعا ملحوظا في أدوات ضغط القوى العظمى، أو التي كانت عظمى بمعنى أصح. وتحولت في الآونه الأخيرة من النمط القديم القائم على القوة الحربية عدةً وعتاداً إلى نمط جديد قائم على دعائم القوة الناعمة التي تخول للدولة التمتع بنفوذ دولي بناء على قدراتها وامكاناتها الاقتصادية والدبلوماسية، ومنزلتها الثقافية، ومكانتها الإعلامية، وموقعها الجغرافي، والتي حددها جوزيف ناي، مبتكر مصطلح القوة الناعمة، بأنها تنشأ من ثلاثة مصادر: " ثقافة الدولة، وقيمها السياسية، وسياستها الخارجية".

ولا شك أن دولة بحجم المملكة العربية السعودية تطمح لأن تكون قوة عظمى يعتد بها في العالم كله، ناهيك عن العالم الإسلامي والعالم العربي؛ نظرا لما تمتلكه المملكة من ثروة هائلة من عناصر القوة الناعمة الكامنة التي تخولها مركز الصدارة على الصعيد الدولي، حسب المعايير الجديدة لتقدير الدول العظمى.

تغيير مقاييس الدول العظمى

أشار شيفر[١٧] إلى أن ثمة صعوبة تكتنف تعريف القوى العظمى في أية حقبة تاريخية، لكن وضع الدولة يتحدد بشكل عام كقوة عظمى طبقا لقدرات تجمع بين القوة والثروة والنفوذ. وقد اقترح كينيث والتز (Kenneth N. Waltz)، ستة مقاييس لتقدير قوة الدولة، هي:

- السكان.
- المساحة.
- الموارد الطبيعية.
- القدرات الاقتصادية.
- استقرار وسلامة النظام السياسي.
- القوة العسكرية.

بينما يضيف بول كنيدي (Paul Kennedey)، المؤرخ البريطاني، مقاييس أخرى أساسية لقوة الدولة:

- حجم السكان ومعدلات التحضر.
- مستوى التصنيع.
- استهلاك الطاقة والمخرجات الصناعية.

ويمكن جمع تلك المقاييس كلها في ثلاثة عناصر قوة أساسية هي:

١) القوة العسكرية: استقرار وسلامة النظام السياسي، والتجهيزات العسكرية واستعداداتها.

٢) الثروة: الموارد الطبيعية، والقدرات الاقتصادية ومستوى التصنيع، واستهلاك الطاقة والمخرجات الصناعية.

٣) البعد الديموجرافي: السكان، والمساحة، وحجم السكان، ومعدلات التحضر.

وهذه المقاييس الثلاثة تمثل النمط القديم لتقدير قوة الدولة على الساحة الدولية، وهي معايير القوة المادية البحتة،والذي ساد زمنا طويلاً في عهد الفتوحات والاستعمار والإستيطان واستغلال الشعوب ونهب الثروات، وهو المفهوم الذي انتقده كثير من المفكرين في أواخر القرن الماضي ومن بينهم جوزيف ناي، بعد حدوث عدة تحولات دولية ساهمت في تراجع دور القوة الصلبة، أو قللت من فاعليتها على الأقل، مما جعل جوزيف ناي يحدد ثلاثة مصادر للقوة الناعمة، وهي :

- ثقافة الدولة
- قيمها السياسية
- سياساتها الخارجية

والواقع فإن حصر مقاييس قوة الدولة في هذه العناصر المادية الثلاثة لم يعد مناسباً أو واقعياً في عصرنا الحاضر. حيث إنه أغفل تماما القوة المعنوية التي تسعى إلى اكتسابها الآن جميع الدول الكبرى التي تملك هذه المقومات الثلاثة بالفعل، وهو البعد الذي يتعلق بالفكر والثقافة والحضارة والقيم وغيرها من عناصر القوة الناعمة. والتي تمتلك منها المملكة العربية السعودية -على سبيل المثال- الشيء الكثير.

وما زالت القوة العسكرية في العصر الحاضر هي المعيار الذهبي لتشكيل القوة العظمى، بالرغم من أن النمو الاقتصادي يستحوذ على الاهتمام كأحد العناصر الهامة لتكوين هذه القوة. و ربما لم تشهد دولة تزايدا في قوتها العسكرية كما حدث في الصين التي حققت قفزة كمية في المجال العسكري في أعقاب التمدد الاقتصادي الكبير الذي شهدته. يؤكد ذلك تطور القدرات العسكرية الصينية، خاصة قوة أسطولها البحري وزيادة عدد الغواصات الاستراتيجية، واقتناء غواصات ومدمرات حديثة، إلى جانب مراجعة وتعديل العقيدة البحرية الصينية لتأكيد قدرة بكين على العمل في بحار جنوب وشرق الصين، وأيضا فيما أبعد من ذلك. وقد أثار النمو الهائل للقوة العسكرية الصينية خلال العقود الماضية القلق حول النوايا الصينية، واحتمال دخول الصين في منافسة عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وإلى جانب الأبعاد الاقتصادية والعسكرية والديموجرافية للقوة فإن شرعية القوة تلعب دورا في رفع أي دولة إلى مصاف القوى الكبرى. وهنا يشير شيفر[١٧] إلى أن الاعتراف للدولة من قبل اللاعبين الآخرين في النظام الدولي بوضعها كقوة عظمى يمثل عنصرا لازما لتشكيل هذه القوة العظمى، فإحدى الطرق لقياس ظهور البرازيل كلاعب عالمي، يمكن لمسها في الاعتراف المتنامي بها كواحدة من أعضاء النادي العالمي، وذلك بعد أن كانت مستبعدة من مجلس القيادة العالمي.

ولقد حظيت البرازيل منذ عام ٢٠٠٣ بوضع المراقب في مجموعة الدول الثماني الصناعية الكبرى، كما أشار صناع القرار الأمريكيون خلال لقاءاتهم في السنوات الأخيرة إلى البرازيل كشريك عالمي وقوة إقليمية رئيسة في أمريكا اللاتينية، هذا النوع من "الاعتراف" ليس لغوا أو عبثا، وإنما له تطبيقاته العملية الملموسة:

- أولا: الاعتراف بالقوى الصاعدة وإدماجها في النظام الدولي من قبل القوى العالمية القائمة يعتبر عنصراً حاسماً في ضمان أن يتم انتقال القوة بشكل سلمي وسلس.
- ثانيا: مجلس الأمن الدولي يعد بمثابة الحيز أو الفضاء الشرعي في النظام العالمي الحالي، والعضوية الدائمة به تضفي على الدولة مكانة القوة الكبرى.

وهنا تكمن مشكلة القوى الطامحة لمكانة دولية كالهند والبرازيل واليابان، والتي ترى أن العضوية الدائمة في المجلس لم تعد تعكس التوزيع الحقيقي للقوى العالمية.

ويرى شيفر[١٧] أنه خلافا لتلك العناصر الهامة لوضع القوى الكبرى؛ فإن العناصر المكونة لقوة كبرى يجب أن تكون ملائمة للحقبة الجديدة والخصائص التي تميزها. ومن ثم فإن المفاهيم التقليدية، مثل الأهمية الجيوسياسية للموقع الجغرافي، والتي ركز عليها المحللون في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، أصبحت أقل أهمية في عصر تكنولوجيا الصواريخ البالستية، التي جعلت فضاء القوة التقليدية محدودا.

المملكة العربية السعودية مؤهلة لدور ريادي في عصر جديد متعدد الأقطاب

ومع أن العناصر التقليدية للقوة ما زالت تحظى بجانب من الأهمية، فإن حقائق العولمة والعالم الرقمي المميز للقرن الحادي والعشرين تقدم أبعادا جديدة للقوة تسمح للدول بالتنافس على وضعية القوى الكبرى، ومن أهم هذه الأبعاد الجديدة التي يمكن للمملكة العربية السعودية السبق فيها هي طبيعة القوة الناعمة، وعولمة الاقتصاد، والابتكار.

وفي عصر الاتصالات العالمية اللحظية والمبتكرة، تلعب القوة الناعمة دورا متزايدا في اهتمامات الدول الكبرى، حيث إنها "القدرة على تشكيل تفضيلات الآخرين عن طريق مثال يجذب هؤلاء لفعل ما تريد"، وتنتج هذه الجاذبية عن الثقافة الشعبية والدبلوماسية العامة وقوة الأفكار القومية، وقد ساعدت القوة الناعمة الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق أهدافها خلال فترة الحرب الباردة.

ويشير كثير من المحللين إلى تسويق الصين للأصول التي تشكل قوتها الناعمة، مثل كونها مكانا جاذبا للاستثمارات، علاوة على ثقافتها المتميزة ونموذجها السياسي البديل القائم على عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى.

كما استفادت القوى الصاعدة الأخرى من القوة الناعمة، وظهرت البرازيل على المسرح العالمي ليس فقط لاقتصادها النشط، وإنما أيضا لثقافتها الجذابة؛ حيث ساعدت صورة البرازيل؛ خاصة شواطئها، على إيجاد عامل جذب اقتصادي، علاوة على تعزيز صورتها الدبلوماسية على الصعيدين الإقليمي والدولي.

وقد غير الترابط بين الاقتصاد العالمي والتجارة من تركيبة المعايير التقليدية للقوة الاقتصادية وتراكم الثروة القومية؛ فحجم التجارة العالمية (محسوبا بنسبة الصادرات من الناتج المحلي الإجمالي) يبلغ اليوم ضعف ما كان عليه منذ قرن، والاستثمارات الأجنبية المباشرة، والملكية المشتركة للشركات متعددة الجنسيات والأسهم والسندات وصكوك التأمين بين القوى الكبرى تطورت بشكل غير مسبوق؛ مما أوجَد تدفقات عالمية من رؤوس الأموال والأفراد والسلع، ووفق تعبير شيفر[١٧] "إذا أصيبت سوق

نيويورك للأوراق المالية بالبرد، فإن أسواق لندن وطوكيو وشنغهاي تعطس والعكس بالعكس".

وأدى إنشاء هياكل وأدوات مالية جديدة إلى تغيير المنافع المحتملة من تراكم الثروة الوطنية باعتبارها أداة لقوة الدولة، والتي لم تعد تكمن ببساطة في قدرتها على تحويل الثروة إلى قوة عسكرية، فالصين تمتلك ٧٥٥,٤ مليار دولار من سندات الخزانة الأمريكية حتى نهاية ديسمبر ٢٠٠٩م، وتبلغ احتياطياتها من العملة الصعبة حوالي ١,٩ تريليون دولار، وهو ما يعطي لها نفوذا اقتصاديا كبيرا، حتى وإن انقسم المحللون حول كيفية تفعيل الصين لهذه المزايا المحتملة من خلال وسائل مفيدة.

كما أن من سمات النظام العالمي الجديد القدرة على الابتكار والاختراع، وقدرة الدولة على المنافسة فيما يتعلق بتحقيق إنجازات علمية وتكنولوجية تؤدي لتعزيز القوة الاقتصادية للدولة وغيرها من الأشكال الأخرى للقوة الناعمة. وفي هذا الإطار تبقى الولايات المتحدة الأمريكية على رأس الدول الكبرى؛ حيث سجل بها ٥١,٢٠٧ براءات اختراع في عام ٢٠١٢م، مقارنة بـ ٤٣,٦٦٠ براءة اختراع في اليابان، و١٨,٦٢٧ براءة اختراع في الصين.

ويفتح التركيز على الابتكار المشهد العالمي أمام لاعبين جدد يفتقدون المميزات التقليدية للقوى العظمى، مثل كوريا الجنوبية التي تعتبر رائدة عالميا في مجالات تكنولوجيا الإنسان الآلي، والاستنساخ، والتكنولوجيا الحيوية، كما أنها في طريقها لأن تصبح تاسع أكبر اقتصاد في العالم.

هذه العناصر مجتمعة - في نظر شيفر[١٧]- ربما لا تكون العناصر المحددة لوضعية القوى الكبرى أو العظمى خلال السنوات القادمة، لكن قياس قدرة الدول على تحقيق مصالحها وصياغة الأحداث من خلال هذه الأبعاد الجديدة والبديلة للقوة ستكون عاملا حاسما في إدراك شكل النظام الدولي القادم. والسؤال الوارد هنا: **هل للمملكة العربية السعودية دور ريادي في عصر جديد متعدد الأقطاب؟**

لقد سلطت الأزمة المالية الضوء على علامة أخرى فارقة لحقبة جديدة للعلاقات

الدولية، وبعد مرور أكثر من نصف قرن، وضعت خلاله الولايات المتحدة الأمريكية معايير لتشكيل ووظيفة المؤسسات الدولية، بدأت القوى الأخرى في النظام الدولي التأكيد على ما تملكه من امتيازات. وأجبر التراجع النسبي في القوة الأمريكية واشنطن على القبول بوضع دول أخرى لقواعد جديدة للعبة.

وإذا كان إعادة بناء هذه المؤسسات التعددية لابد أن يعكس حقائق القوى الصاعدة، ويخفف من حدة الخلافات بين الدول المتصارعة، فهناك بعض التخوفات من أن تصبح المؤسسات الإقليمية أو الدولية بمثابة أدوات للتنافس بين القوى المتصارعة في فترات انتقال القوة، وقد ظهر ذلك جليا في التنافس الصيني - الياباني في قمة شرق آسيا لعام ٢٠٠٥.

ومع بدء تشكل هذا العالم الجديد، ظهرت العديد من المدارس الفكرية التي تقدم إجابة حول كيفية تعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع الظروف العالمية المتغيرة. وركزت أولى هذه المدارس على "التفوق" الذي تحظى به الولايات المتحدة الأمريكية على بقية دول العالم، رغم اعتراف أنصارها بالظروف المضطربة والخطيرة التي يمر بها العالم. وطبقا لهذه المدرسة فإن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال أكبر قوة عسكرية في العالم وفق تصنيف GFP بتاريخ ٨ / ١ / ٢٠١٣م لترتيب القوة العسكرية لدول العالم.

أما المدرسة الثانية فتؤكد على حتمية الصدام بين القوى الكبرى، مستندة إلى أفكار "الواقعية" أو القضايا الحضارية والثقافية. وتقر المدرسة الأخيرة حقيقة ما يعرف بعصر "ما بعد الولايات المتحدة الأمريكية"، لكن أنصارها اختلفوا حول كيفية التعامل مع هذا العصر؛ فقد أيد البعض ظهور عالم متعدد الأقطاب، بينما فضل البعض الآخر إعادة معالجة مفهوم العزلة من خلال حماية أفضل لدول الجوار.

وطبقا لآراء منى ستفون (Mona Sutphen) ونينا هاتشيجيان[٧٧] (Nina Hachigian)، مؤلفتا كتاب "القرن الأمريكي القادم: كيف ستنمو الولايات المتحدة مع صعود قوى أخرى" (The Next American Century: How the U.S. Can Thrive as other Powers Rise)، فإن الخيار الأفضل للولايات المتحدة

هو التعامل مع القوى الصاعدة ليس كقوى منافسة، وإنما كشركاء محتملين في مجابهة التحديات العالمية؛ ففي عالم متعدد الأقطاب يصبح التركيز على التعاون الاستراتيجي بين الدول الكبرى مفيدا على المدى الطويل خاصة على ضوء القضايا الدولية الخطيرة التي تواجه العالم اليوم. وبناء على هذا، يتعين على الولايات المتحدة:

- **أولا:** تقدير أهمية تعددية الأبعاد المرتبطة بصعود القوى الكبرى، فالتحدي الحقيقي ليس مقصورا على المجال العسكري فحسب، وإنما يشمل أبعادا أخرى لقوة اقتصادية، وثقافية، ودبلوماسية، مما قد يمكن قوى جديدة من أن تصبح منافسة ندية للولايات المتحدة في المجتمع الدولي.
- **ثانيا:** تقدير حقيقة أن القوة نسبية، وأن تغير ميزان القوى في عالم اليوم يرجع على الأقل في جزء كبير منه، إلى تآكل القوة الأمريكية وتآكل القوة الناعمة للولايات المتحدة، إلى جانب كونه نتاج صعود القوى الأخرى.
- **ثالثا:** القوى الكبرى تسعى للتكامل والاندماج في المؤسسات الدولية، وتدشين علاقات إيجابية ليس فقط مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن مع بعضها البعض، وبهذا فإن من الصعب؛ إن لم يكن من المستحيل، على الولايات المتحدة الأمريكية بناء تحالفات تضبط هذه القوى.
- **رابعا:** لما كانت إستراتيجية أو أهداف أي قوة صاعدة تشير إلى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها صديقا أو خصما لهذه القوى؛ فإنه ينبغي على واشنطن إيجاد نوع من التعاون حول قضايا ترتبط بمصالح مشتركة، ويمكن تجنب المواجهة، لكن نوعا من الشفافية الاستراتيجية سيكون مطلوبا إذا أرادت الولايات المتحدة الأمريكية بناء علاقات إيجابية.
- **خامسا:** أن يكون هدف الولايات المتحدة الأمريكية ليس منع القوى الأخرى من الصعود، وإنما تقوية الآليات التي تخفف من هذه الآثار على نمط توزيع القوة حول العالم، ويجب على الولايات المتحدة أن تدمج هذه القوى في آليات تنفيذ القواعد والمعايير الدولية على نحو يجعل منها "قوى كبرى مسؤولة" في المجتمع الدولي.

وكذلك يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تعزز من قدرتها على المنافسة عبر

إعادة ترتيب الداخل من خلال معالجة الاختلالات المالية، وعلاج القضايا الداخلية التي تقوض مواطن القوة الأساسية (عمالة مدربة ومتعلمة على سبيل المثال)، ومكانة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم. وأخيرا، تحتاج الولايات المتحدة الأمريكية إلى الإقرار بأن رؤيتها للعالم ستكون حاسمة في تعريف وفهم الحقبة الجديدة، حتى لو بدت القوة الأمريكية في انحسار نسبي. فتعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع هذه القضايا، سواء بمنطق المباراة الصفرية* أو غير الصفرية، سيؤثر على رؤى القوى الكبرى الأخرى، ومع الوقت ستنعكس هذه الرؤى على الولايات المتحدة بالسلب أو بالإيجاب.

إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تحدد الخيارات المستقبلية لبقية القوى الكبرى، لكنها تمتلك الفرصة لتشكيل البيئة التي تتخذ فيها القوى الكبرى خياراتها لمواجهة التحديات العالمية المشتركة، وبشكل سلمي يتكامل مع أطر وقواعد النظام الدولي، وتحمل هذه القوى لمسؤولياتها كلاعبين أساسيين على المسرح العالمي.

دوافع

ويرى الشهري[٦٨] أن الوقت قد حان للتعمق في قضية القوة الناعمة ،ويدعو السعوديين إلى أن يتذكّروا ويذكّروا "بما جرى لأمننا الوطني وصورتنا التي شوهها مصنع الأكاذيب العالمي عقب حوادث ١١ سبتمبر ضمن حرب الدعاية التي انحدر إليها - بكل أسف- الإعلام العالمي ضمن استراتيجية ما يسمى بتأثير القوة الناعمة الذي بات يتردد كثيرا في أدبيات السياسة والإعلام- إشارة إلى تأثيرات منتجات الثقافة والمعلومات وما تتمتع به من سطوة بوصفها الضلع الثالث في مثلث القوة إلى جانب القوة العسكرية والقوة الاقتصادية. لقد استثمرت ماكينة الدعاية العالمية جهودا كبيرة في هذه القوة الناعمة، وكنا مجتمعا وحضارة هدفا لها بعد أن حوّلت قوى نعرفها هذا المفهوم إلى برنامج عمل بدعمها المباشر وغير المباشر لمؤسسات تتحدث عن حقوق الإنسان والديموقراطية مثلا، وفق تكتيكات مدروسة وعبر مئات الرسائل الإعلامية السلبية عن المجتمعات والحضارات والشعوب من أجل حمل الآخرين على تبني أهداف هذه القوى التي حاولت تصوير كل تعقيدات الصراع على المسرح الدولي على أن هناك

* المباراة الصفرية (zero-sum game): يسميها علماء العلاقات الدولية بالصراع الصفري، وهو ذلك النوع الجهنمي من الصراع الذي تكون نهايته حصول طرف واحد على كل المكاسب وحصول الطرف الآخر على "صفر" مكاسب، أي يخوضون صراع (الكسب المطلق أو الخسارة المطلقة).

أمة خيرة ديموقراطية مُحبة للسلام تتعرض لهجوم مجموعة من الأشرار، الحاقدين عليها لما تتمتع به من حرية ورخاء".

ولما كانت كيفيّة تفعيل القوّة الناعمة السعوديّة مشروعاً جبّاراً وطموحاً فإن الدكتور العثيمين[١٦] يوصي بأن السبيل لتحقيق هذه الطموحات الاستراتيجية الناعمة يتطلّب:

- اغتنام الفرصة القائمة لتوظيف القوة الناعمة فليس هناك أفضل من هذه الفرصة التاريخية، التي تعيشها المملكة في الوقت الحاضر، من الشروع في هذا المشروع الطموح.
- تشكيل فريق عمل متخصّص، من مختلف الجهات المعنية.
- دراسة جميع الأفكار المطروحة وغيرها دراسة معمقة وجادّة وهادئة.
- إسناد مهمة تفعيل القوّة الناعمة السعوديّة إلى جهة إداريّة واحدة تُعنى بمتابعة أمر بسط القوّة الناعمة السعوديّة في أصقاع المعمورة بشكل دائم.

والواقع أن الفرص المتاحة لتوظيف القوة الناعمة لا تضيع بمرور الوقت أو تندثر بالتقادم، فإنما هي خيار يعتمد بالدرجة الأولى على الظروف والملابسات التي تقتضي استخدام القوة الناعمة أو الخشنة أو الذكية. كما أن الفرصة لا تضيع في موقف لم تستخدم فيه القوة الناعمة. في البداية يجب أن يعاد النظر في وسيلة التعامل مع الموقف والسعي لمعالجة قضاياه من خلال القوة الناعمة. ثم إن القوة الناعمة قوة كامنة في الدولة والمصالح العامة والمؤسسات المدنية، ومَلَكَة خاصة عند الأفراد قائمة على قدر كبير من الثقة بالنفس، فهي لا تستورد ولا تفتعل ولا تستأجر.

ومن الوجهة التنفيذية ليست هناك حاجة لتكوين فريق عمل أو تخصيص جهة إدارية موحدة لرعاية تفعيل القوة الناعمة في المملكة فهي ظرفية وتتجلى عند الحاجة إليها وخاصة عندما تتعذر الأساليب الأخرى. أما تقوية آليات القوة الناعمة الكامنة في المملكة فتقتضي وضع خطة استراتيجية للمملكة على المدى الطويل لتحقيق غاياتها محليا وإقليميا وعالميا.

ومن جهته أكد الدكتور الشبيلي[٢٢] على عدة نقاط منها:

- خيار القوة الناعمة سبيل إلى قلوب الشعوب وتبنيه في أي وقت يتطلب بيت خبرة دائمة.
- "التاريخ في هذه البلاد ما يزال يستعيد الهيبة الشخصية (الكاريزما) والمصداقية التي كان مؤسسها (الملك عبد العزيز) يمتلكها في تعامله الخارجي والداخلي، إذ إنه استطاع من خلالها كسب ولاءات القبائل والمواطنين في الداخل واحترام مناوئيه وخصومه في الخارج".

ويضيف كريِّم[٦٧] والدباس[٧٦] أن قضية الإعلام قضية معقدة للقوة الناعمة تستدعي القيام بدراسات علمية موثقة، سواء على صعيد المِلكية الفكرية، أو الإمكانيات الاقتصادية، فضلا عن البرامج الإنتاجية، مرورا بالإصغاء إلى الجمهور، لمعرفة ما يريد وما لا يريد، فكسب ثقته هو أحد أهداف أي مؤسسة إعلامية.

وفي تعليق على عرض الدكتور العثيمين[٨] لموضوع القوّة الناعمة للمملكة العربية السعودية؛ كتب الدكتور سلمان العنزي أنه لا يمكن تفعيل القوة الناعمة للمملكة إلا عن طريق تشكيل منظمات ولجان تُعنى بالتعاون السياسي بين البلدين؛ أي المملكة والبلد المستهدف، مثل الولايات المتحدة الأمريكية. فالجميع يدرك أنه في مجتمعات المؤسسات المدنية لا جدوى لأي عمل دون تشكيل لجان ومنظمات تعاونية تشكل دوائر ضغط سياسي واقتصادي. وفي هذا السياق يمكن للمملكة أن تستفيد من كيفية استخدام إسرائيل لقوتها الناعمة في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال؛ وبصفة خاصة لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية (American Israel Public Affairs Committee) أي منظمة آيباك (AIPAC)، وكذلك لجنة التعاون الأمريكي الإسرائيلي (American-Israeli Cooperative Enterprise) أو منظمة آيسي (AICE). وهذا يعني تشكيل منظمات تضاهي تلك المنظمات، أو على أقل تقدير، تفعيل بعض المنظمات العربية الأمريكية الموجودة الآن مثل لجنة التحرك السياسي للعرب الأمريكيين (Arab American Political Action Committee) أي منظمة آبك (AAPC) العربية.

ولقد لاقت مقالتا الدكتور العثيمين [٨، ١٦] عن القوّة الناعمة للمملكة العربية السعودية عدة تعليقات بناءة أهمها:

- القوة الناعمة في الفكر الاستراتيجي تركز على التأثير على الآخرين ثقافيا وعلميا، وهذا يحتاج إلى تخطيط دقيق للاستخدام الأمثل لتلك القوة الناعمة، مع تلافي إعطاء الآخرين رسائل خاطئة تعود سلباً على الأمن الوطني؛ مثل الإعلام وما يعج به الفضاء من قنوات تعكس صورة قبيحة عن المملكة، وما قد يراه الآخرون من السواح من سيئات، مع العمل على إصدار منتجات تعكس صورة مشرقة عن المملكة.
- من الضروري تفعيل القوة الناعمة بالسعودية عن طريق الدعم السخي؛ دون التبذير في الأموال على غير هدف ولا تنظيم بحيث تنتهي في جيب من لا يستحق، لبعض أوجه منها:
  - نشر معاهد تعليم اللغة العربية في الخارج.
  - ترويج وتسويق السياحة بالسعودية.
- يكفي أن تنتهج المملكة القوة الناعمة في المجال السياسي كقوة للحصول على المبتغى، لأن المملكة لها ثقافتها الخاصة التي إن طبقها أبناء المملكة فإن الغربيين أنفسهم سيستخدمون السياسة الناعمة مع المملكة؛ إذ إن الدين الحنيف أمر بالوسطية، فلا الغلو سينجح ولا الإفراط سينجح.
- من الأهمية البالغة مضاعفة جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف لاسيما فيما يتعلق بالدعوة إلى الله في الخارج؛ فيجب عدم تناسي أن هناك دولة مخالفة لمعتقد ومنهج المملكة، تسعى إلى تصدير عقيدتها وكسب ولاء بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين؛ عن طريق توظيف قوتها الناعمة مما يوجب على الوزارة القيام بواجب النصح والتبليغ إبراءً للذمة ونشراً للعلم الشرعي.
- إن تفعيل القوة الناعمة الكامنة للمملكة قضية مهمة كثيرا إذ إن ذلك قد يشكل نقطة تحول تاريخية. غير أن المملكة لم تستغل مكانتها في العالم الإسلامي وتأخذ بزمام القيادة التي هي مؤهلة لها من جميع النواحي لتكون لها مكانتها القيادية في العالم أجمع، والذي يمكن تحقيقه من خلال:
  - دعم الدور الذي تضطلع به الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء على المستوى العالمي بتبني الوسطية واعتماد المذاهب الأخرى

المعترف بها لتصبح بذلك هي المرجعية الأساس في الشؤون الدينية للمسلمين في العالم أجمع.

- زيادة عدد المنح الدراسية في جميع التخصصات العلمية في مختلف الجامعات السعودية بالإضافة إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- تقوية إذاعة القرآن الكريم والتوسع في عدد لغات البث، والاهتمام بالبرامج التي تحقق التواصل بين المستمعين والإذاعة (الفتاوى ـ المسابقات على أن تكون الجوائز أداء العمرة أو الحج).
- التوسع في تقديم خدمات طبية متخصصة يستفيد منها الفقراء في العالم، مثل فصل التوائم، وتصحيح الجنس، وعلاج العمى، وعلاج الكسور... إلخ، تدعيماً لشعار مملكة الإنسانية مما يقدم للعالم صورة صادقة عن مدى التقدم العلمي والتقني والحضاري الذي وصلت إليه المملكة.

خطة إستراتيجية لتفعيل آليات القوة الناعمة السعودية

هناك اجماع بين المفكرين والكتاب السعوديين وغيرهم ممن تعرضوا لموضوع القوة الناعمة على أن المملكة تتوافر لديها قوة ناعمة هائلة، ولكنها لم تستغل الاستغلال الأمثل حتى الآن، وأنه من الضروري استثمار وتفعيل القوة الناعمة للمملكة بما تملكه من عناصر متميزة تشكل دعامة لهذه القوة الناعمة، وهي مركزها وثقلها الديني والاقتصادي والسياسي والذي تستطيع من خلاله التأثير والضغط غير المباشر على الدول الأخرى، وتعزيز موقفها السياسي في القضايا التي تهم العالم.

إن القوة الخشنة (الصلبة) ليست طريقنا؛ إن ميدان القوة الناعمة وحرب القيم هو ساحتنا الطبيعية. وللمملكة تجارب ناجحة في هذا المجال تمت الإشارة إليها في ثنايا هذه الدراسة. وقد فرضت الظروف والمتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية علينا الدخول في مجابهات مع العديد من القوى الإقليمية والعالمية، بعد أن حمل بعض السياسيين الأمريكيين جزءا من المسؤولية في هجمات القاعدة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر

على المملكة بدعوى أن التنظيم زعيمه سعودي، وأن المشاركين في هجماته أكثرهم سعوديون.

وقد حققت المملكة نجاحا مشهودا في استخدام قواها الناعمة في علاج الآثار السلبية لتلك الاحداث والتي استوجبت من المملكة بذل جهود ضخمة ومركزة. ومن الواضح أن هذه الجهود الجبارة سوف تستمر لفترة طويلة، وتتطلب من جميع أجهزة الدولة ومؤسساتها استثمار امكانات المملكة الثقافية والحضارية والسياسية والاقتصادية وكل عوامل الجذب في سياساتها الاستراتيجية والتي ينطوي عليها مصطلح القوة الناعمة.

ومن نافلة القول إن النجاح في استخدام القوة الناعمة يعتمد أساسا على سلوك المؤسسات والهيئات الحكومية والأهلية ومدى إدراكها لمكامن المصلحة الوطنية. ويقتضي ذلك بطبيعة الحال:

- نشر ثقافة القوة الناعمة وآلياتها وفنونها في جميع المجالات ذات العلاقة.
- التعرف على مكامن القوة الناعمة لدى المملكة وتحديدها.
- سبل استثمارها على المستويين المحلي والإقليمي.
- سبل استثمارها على المستوى الدولي.
- مضاعفة هذه الجهود في جميع المحاور ووضعها في مسارها الصحيح.
- فتح آفاق جديدة للعمل بسياسة القوة الناعمة لتأكيد ريادة المملكة وقيادتها للعالم الإسلامي.
- الاستفادة من تجارب الدول الأخرى في استثمار قواها الناعمة.

ويتطلب ذلك عقد عدة مؤتمرات وورش عمل متخصصة لدراسة هذا المشروع الوطني الكبير لاستكشاف مكامن القوة والتأثير لدى المملكة العربية السعودية في المجالات المختلفة، وتعريف كل قطاع من قطاعات المجتمع بمكامن المصلحة الوطنية في هذا القطاع، والدور المنوط به في خدمة هذه المصلحة الوطنية ورعايتها، والتعريف بالآليات والوسائل التي تساعد على تفعيل هذه القوة المؤثرة.

وهذه المهمة الجليلة قد تستدعي إطلاق الخيال وابتداع وإنتاج الأفكار. وهو طريق سلكه الناجحون، وكانت عندهم نقطة بداية وهي تنظيم حوارات في شكل ورش عمل ينتظم فيها الخبراء وأهل العلم والمعرفة، من مختلف التوجهات والتخصصات وتوزع على كل مجموعة قضية تناقشها، وتنتهي فيها إلى مقترحات وخطة عمل. وتقوم مجموعة أخرى بجمع كل هذه الخطط في إطار استراتيجية شاملة قابلة للتنفيذ ويلتزم بها الجميع.

ومن المتوقع أن تكون أبحاث ومداولات هذه المؤتمرات وورش العمل نواة لوضع خطة استراتيجية لتفعيل القوة الناعمة السعودية على المدى المتوسط والمدى الطويل، لكي تعمل جميع مؤسسات الدولة على بصيرة في استخدام القوة الناعمة والتي يتمثل معناها في قوة ثقافتنا وقيمنا وجاذبيتها، ويتلخص هدفها في كيف نستطيع أن نعرض قضيتنا بطريقة أفضل، وأن نجعل سياستنا أكثر جاذبية للآخرين.

التـوصـــــــــــــيـات

تنشيط مكامن القوة الناعمة للمملكة واستثمارها

تتمتع المملكة بخزينة عامرة من عتاد وأسلحة القوة الناعمة تم استعراضها وإبرازها في الفصول السابقة والتي يمكن للمملكة استثمارها و توظيفها على النطاقين الإقليمي والدولي، بصورة تدعم مركزها على الساحة العالمية كقوة كبري في نفوذها ومكانتها. ونقدم في ختام هذه الدراسة توصيات بتنشيط بعض القوى الناعمة الكامنة في المحاور المختلفة التي تحتاج إلى تفجير قدراتها الناعمة وصيانتها، مع آليات مقترحة لتفعيلها.

محور الدعوة

- أن يكون العمل الدعوي منظما وذا رؤية شاملة بوسائل عصرية ودعاة مؤهلين.
- وضع خطة طويلة المدى لإنشاء مركز إسلامي في كل عاصمة من عواصم

العالم للقيام بمهمات نشر الدعوة للإسلام والثقافة الإسلامية الصحيحة.

- إبلاغ رسالة الإسلام للناس كافة بجميع اللغات، مع استثمار المواسم ووسائل الاتصال والتواصل الملائمة.
- إنشاء مراكز ثقافية دائمة ملحقة بالسفارات السعودية بالخارج لتكون حلقة وصل وحوار دائم بين حضارات وثقافات وشعوب دول العالم مع المملكة، وخاصة في الدول التي يهم المملكة أن يكون لها حضور دائم ومؤثر في سياستها وتوجهات شعوبها.
- نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة بكل الوسائل العصرية باستخدام تقنية وسائل الاتصال العالمية ودعمها على جميع المحاور بما يقنع المسلمين قيادات وشعوبا ويوحدهم على المنهج الصحيح.
- الاقناع بالعقيدة الصافية والمنهج الدعوي الوسطي بخطاب إعلامي متميز.
- استقطاب قيادات المجتمعات المسلمة، وبناء قيادات أخرى، بما يحقق نشر الفكر الإسلامي الوسطي، والتمكين لهم في مجتمعاتهم.
- تنمية اجتماعية مؤسسية وفق رؤية شاملة وشراكات فاعلة بما يلبي احتياجات المجتمعات المستهدفة ويؤكد ريادة المملكة للعالم الإسلامي.
- وإن كانت هناك دعاية ضد أنموذج تطبيق الشريعة في المملكة فإن القوة الناعمة للرد على مثل هذه الدعايات المضادة تكمن في المنهج النبوي الشريف في إهمال الناقد نقداً غير هادف وترك الحاقد لحقده، والمضي قدماً في طريق نشر الدعوة للإسلام بالحجة والبرهان، وتصحيح سلوك بعض المسلمين المغاير للنهج الصحيح، ونشر الإسلام بين غير معتنقيه بالحسنى وبالقدوة من المسلمين، وإذا كانت بعض الدعايات المضادة تركز على قضية إقامة الحدود، فهذه مسألة تحتاج إلى تميز في الطرح وإيضاح أن هذا منهج رباني، وأن الله أعلم بخلقه، وأن نسبة الجريمة في المملكة هي الأقل عالمياً، وذلك بفضل إقامة الحدود بعد فضل الله، وأن الحدود لا تقام إلا ببينات وبعد فحص وتمحيص، وأنها تدرأ بالشبهات.
- قد يكون من المناسب إنشاء مواقع للمؤسسات الدينية في المملكة على شبكة

المعلومات الدولية (على غرار موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – الجامعة الإسلامية – جامعة أم القرى – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، يلجأ إليها المهتمون من خارج المملكة للرد على تساؤلاتهم الملحة فيما يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية.

- الحج والعمرة فرصة ذهبية لتواصل أبناء المملكة مع أبناء الشعوب الإسلامية بما يخدم المصالح المشتركة. ولا يكفي تقديم الخدمات والحفاظ على سلامة الحجاج والمعتمرين، بل يجب تشجيع التواصل معهم من خلال الخدمات المساندة والإضافية التي تعزز الوجه الحضاري والإنساني للمملكة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ (الحج: ٢٨)، ولعل لمؤسسات المجتمع المدني وفرق الكشافة ونحوها دوراً مؤثراً وإيجابياً في هذا الخصوص.

- تركيز الاهتمام السياسي الناعم في مجال الترحيب والاستضافة للحج والعمرة والزيارات المتكررة على مدار العام، للنخب السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية للقيادات في العالم الإسلامي، وقيادات الأقليات المسلمة في الدول غير المسلمة، وكذلك قيادات مؤسسات المجتمع المدني في تلك الدول، بما في ذلك العناصر الشبابية، للاستفادة من هذه القوى الناعمة.

- من المعروف أن للحرمين الشريفين مكانة سامية في نفوس المسلمين، وتهوى أنفسهم لزيارتهما، ويحرص المسلمون على معرفة كل شيء عنهما، وهما من مجالات التفرد للمملكة في العمل الإسلامي، والحديث عنهما هو أقرب الطرق للوصول إلى قلوب المسلمين سواء من سبقت له زيارتهما أو من يتطلع للتمتع بهذه الزيارة. ومن المقترح في هذا الصدد:

  – تعريف الحجاج والمعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف بجهود المملكة المتواصلة لتوسعة الحرمين الشريفين، وضرورة هذه التوسعة مما يحب الحاج والمعتمر والزائر معرفته ويهيئه لتحمل المشقة والزحام أثناء أداء المناسك. والتعريف بإجراءات التوسعة غير المباشرة ومنها تخصيص دور كامل في الفنادق الكبرى والأبراج الفندقية كمصلى للنزلاء.

  – توعية الحجاج والمعتمرين بمشاريع التوسعة الجارية والمستقبلية

للحرمين الشريفين وما يتضمنه ذلك من استخدام أحدث تقنيات البناء والتعمير، والتكييف، والمباني التي تم هدمها في أحياء كاملة والتعويضات، واستخدام القطار في مشعر منى، ومشروع الخط الحديدي من جدة الى المشاعر، وغيرها من المشاريع الضخمة التي يتعين التعريف بها بالصورة والأرقام في كتيبات مصورة مبسطة، يحتفظ بها الحاج بعد عودته على سبيل الذكرى، وبذلك يحمل الحاج و المعتمر والزائر للمسجد النبوي انطباعات جيدة عن جدارة المملكة في ريادة العمل الإسلامي.

- ولدى الشعوب الإسلامية صورة ذهنية إيجابية عن مكانة علماء المملكة وأئمة الحرمين الشريفين، ويمكن استثمار هذه المكانة بتنظيم زيارات لهم للدول الإسلامية و/أو تسجيل محاضرات لهم تتناول تصحيح المفاهيم المغلوطة عن المنهج السلفي في الدعوة إلى الله، وعن الإرهاب والجهاد والسنة والجماعة...الخ، يتم توزيعها على أوسع نطاق في العالم الإسلامي، وعمل الترتيبات اللازمة لإجراء مقابلات صحفية وتلفزيونية معهم تنشر مترجمة في الصحف العالمية العربية والغربية.
- تقديم صورة ذهنية إيجابية عن ارتباط علماء المملكة وأئمة الحرمين بالمنهج الوسطي واعتبارهم مرجعية رئيسة للفتوى في العالم الإسلامي.
- إبراز التنوع الفقهي القائم على الكتاب والسنة لعلماء المملكة وأئمة الحرمين والدعاة.
- تكثيف ظهور علماء ودعـاة ومثقفي المملكة في وسائل الإعلام االتقليدية والحديثة.
- نشر مؤلفات علماء ومفكري المملكة بمختلف اللغات.
- الإستفادة من الوسائط الالكترونية الحديثة في نشر خطب ودروس علماء المملكة وأئمة الحرمين والدعاة، وتوزيع هذه الوسائط عبر المراكز الإسلامية وممثليات المملكة والحجاج والمعتمرين والمقيمين.

- رغم تفعيل القوة الناعمة في عمليات الحوار وما لها من آثار في الأمن الفكري فإن الحديث عن برنامج المناصحة لا يكاد يظهر إلا في الصحف السعودية أو الأحاديث والتصريحات الموجهة من قوى الأمن ومكافحة الإرهاب لتقريظ هذه الجهود. وهذه الوسائل تأثيرها مقصور على المملكة وقد لا يهتم بها المواطن العادي كثيرا. ويقترح تطوير برامج إعلامية جاذبة تبين إنجازات المملكة في برنامج المناصحة وعدد المستفيدين منه.
- إنشاء مواقع إلكترونية متخصصة بعدة لغات تتولى الرد على الشبهات وتصحيح المفاهيم المغلوطة (بحيث لا تقتصر الاستفادة منها على المجتمع السعودي) ولإبـراز جهود المملكة في تعزيز الوسطية ومحاربة التطرف والانحراف.
- تشجيع المواقع الإلكترونية على نشر فتاوى علماء المملكة واسهاماتهم العلمية.
- تفعيل مشاركة علماء المملكة في برامج التعليم عن بعد .
- تمكين طلاب المنح من تنفيذ البرامج الدعوية التي تقوم بها المملكة في مجتمعاتهم.
- استكتاب علماء المملكة في المدونات والموسوعات الفقهية في نصرة قضايا المسلمين والدفاع عن حقوقهم، وجهود المملكة في تعزيز فكرة التضامن الإسلامي، بما يرسخ ريادة المملكة للعالم الإسلامي ومرجعية المملكة في حل الخلافات بين المسلمين.
- توثيق إنجازات المملكة الخيرية والإنسانية وإبرازها إعلاميا لإقناع العالم بأن المملكة، حكومة وشعباً، تسهم اسهاما فعالاً في أعمال الإغاثة والتعاون الإنساني ،مع تكرار النشر، لبناء صورة ذهنية عن المملكة باعتبارها مرجعاً نموذجياً في الأعمال الخيرية والإنسانية.
- دعم مؤسسات المجتمع المدني في الدول التي توجد بها أقليات مسلمة لخدمة فئات المجتمع المختلفة في المجالين الاجتماعي والإنساني مما يبرز قيم الإسلام الحضارية.

المحور الدبلوماسي

- إن الجبهة الوطنية الموحدة من أكبر أرصدة القوة الناعمة التي يلزم تعزيزها ورعايتها، وذلك برعاية الأساليب الدبلوماسية في التعامل مع المنظمات المدنية والهيئات الشعبية.
- استثمار جميع إمكانات المملكة لتعزيز مبدأ التضامن الإسلامي والدفاع عن قضايا المسلمين حكومات وشعوبا وأقليات بما يرسخ ريادة المملكة للعالم الإسلامي.
- تفعيل دور الهيئات والمنظمات الحقوقية والسياسية والإعلامية لتوثيق وإبراز الأثر الإيجابي لرسالة المملكة الإسلامية نحو المجتمعات المسلمة بما يعزز أمن تلك المجتمعات واستقرارها ويسهم في ارتقائها.
- تطوير شراكات استراتيجية فاعلة مع الدول والمنظمات المتخصصة لتحديد المدلول القانوني للإرهاب بما ينسجم مع المفاهيم الشرعية ويكفل أمن المجتمعات.
- تفعيل قدرات الدبلوماسية الشعبية السعودية لتقويةأواصر العلاقة بين المملكة وبين الولايات المتحدة الأمريكية، أكبر شريك تجاري واستراتيجي للمملكة منذ أكثر من ٧٠عاما، لبناء صلات حقيقية على مستوى المؤسسات التشريعية أو المؤسسات الثقافية ومختلف فعاليات المجتمع المدني، لتعزيز جهود الأجهزة الدبلوماسية التقليدية.
- الاستفادة من عضوية المملكة في جميع المنظمات الدولية الكبيرة مثل اليونسكو والبنك الدولي، من واقع المساهمة المادية الكبيرة للمملكة في هذه المنظمات، والضغط عليها لتعيين موظفين سعوديين فيها، يمكنهم - مع مرور الوقت- تقلد مناصب قيادية فيها وبالتالي التأثير المباشر وغير المباشر على سياستها بما يخدم مصالح المملكة ويعزز قوتها الناعمة على المدى البعيد.
- التواصل مع الأقليات المسلمة في الدول الأوروبية والأمريكية والتي أصبحت قوى مؤثرة في بلدانها ومجتمعاتها ويمكن أن تصبح تلك الأقليات داعمة لرسالة المملكة في الدول التي تعيش فيها.

- تطوير شراكات استراتيجية فاعلة مع الدول والمنظمات المتخصصة لاستصدار قوانين وأنظمة تكسب العمل الخيري الإسلامي والعاملين فيه الصفة القانونية بما يضمن استمراره ويحقق أهدافه النبيله.
- استثمار مكانة المملكة السياسية والدينية والاقتصادية بما يسهم في تعزيز الشراكات الدولية لمنع إصدار أو إلغاء القوانين المتحيزة ضد الإسلام والمسلمين والحيلولة دون الإزدواجية في تطبيق القوانين.
- العلاقة مع الشعوب العربية والإسلامية مورد ثري للقوة الناعمة ويقتضي الأمر استثمار هذه العلاقات لصالح المملكة بزيادة أواصر الترابط وفتح مجالات أكبر للتعاون معها على الصعيد العالمي.

المحور الاقتصادي

إن مركز المملكة كإحدى الدول الكبرى المصدرة للنفط يعطيها واحدا من مقومات القوة الاقتصادية التي تدعم منزلتها في المشاركة في القرارات الاقتصادية والدولية كدولة كبرى. ولتفعيل مكانتها الاقتصادية على المستوى العالمي فإنه لابد من حشد جميع الطاقات لتحويل إقتصاد المملكة من إقتصاد قائم على النفط إلى إقتصاد قائم على المعرفة وتحويل المجتمع إلى مجتمع معرفي والتوسع في إنشاء المدن العلمية أو ما تسمى في بعض الأحيان بالمدن الاقتصادية.

بعض مزايا المدن الاقتصادية:

- إطلاق المدن الاقتصادية سيؤدي إلى استقطاب الشركات العالمية في مختلف القطاعات مما سيسهم في نقل المعرفة والتكنولوجيا من هذه الشركات إلى القطاع الخاص السعودي. كما ستحسن المدن الاقتصادية من شبكات البنية التحتية الوطنية (مثل المطارات والموانى والطرق السريعة وخدمات الاتصالات) مما سيرفع من تنافسية المملكة إقليميا وعالميا.
- تحقيق التنوع الاقتصادي حيث إن هذه المدن الاقتصادية سوف تنشئ صناعات وخدمات تنافسية جديدة في المملكة، مما يؤدي إلى تقليل اعتماد اقتصاد المملكة على إيرادات النفط.

- تركز هذه المدن على الاستثمار الأمثل للمزايا النسبية لبعض مناطق المملكة مثل الموقع الجغرافي لمدينة حائل حيث إن بعدها ساعة بالطائرة عن إحدى عشر عاصمة عربية وإقليمية سيجعلها مركزا لوجستيا لنقل البضائع والمسافرين .
- تحقيق تنمية إقليمية متوازنة حيث تهدف المدن الاقتصادية إلى تسريع عجلة النمو الاقتصادي في المناطق الأقل نموا في المملكة، حيث من المتوقع ضخ أكثر من ٢٠٠ مليار ريال كاستثمارات من قبل الشركات المحلية والعالمية في هذه المناطق خلال العشر سنوات المقبلة.

المحور الإعلامي والثقافي

- إن دور الإعلام في استثمار القوة الناعمة للمملكة دور محوري. ومن الممكن تقوية هذا الدور الإعلامي بالحرص على اجتذاب أكفأ القدرات الإعلامية، مع بث قنوات فضائية بلغات أجنبية، مع الاهتمام بصفة خاصة باللغات الشائعة في الدول الإسلامية إلى جانب اللغات الأوروبية.
- إعلام قوي محترف جاذب للجمهور بخطاب قادر على إعطاء صورة صادقة عن رسالة المملكة الإسلامية، ومبني على رؤية شاملة وخطة إستراتيجية.
- التزام الأوعية الثقافية والإعلامية الحكومية وغير الحكومية بالمبادئ الإسلامية ومضامين السياسة الإعلامية للمملكة، لتكون متميزة في طرحها الإعلامي، قوية في مادتها ومنطلقاتها، لتعطي صورة ذهنية صحيحة عن الإسلام.
- استحداث برامج إعلامية متميزة تبرز الفكر الوسطي لدى الشعب السعودي وإسهامه في استقرار المجتمعات.
- رغم كثرة وسائل الإعلام العربية وتعددها، فإن هناك حاجة ماسة إلى قناة إخبارية حرة تلتزم بالصدق والحياد والشفافية وتتعامل مع الحدث بموضوعية، ويكون همها الأول هو مصلحة العالمين العربي والاسلامي، وتقوم عليها نخبة من الإعلاميين المحترفين في بث الأخبار والبرامج التحليلية. ولعله من المناسب في هذا الصدد النظر في تطوير وتدعيم وكالة الأنباء الإسلامية التي

لم تستطع أن تثبت وجودها في المجال الإعلامي حتى الآن.

- إسناد مهمة تعزيز الصورة الذهنية للمملكة إلى مؤسسات إعلامية مرموقة.
- إطلاق قنوات فضائية موجهة للعالم الخارجي تقدم برامج إعلامية هدفها مخاطبة الآخرين، وليس مخاطبة السعوديين، بأساليب مهنية واحترافية مما يمكنها من إحداث التأثير المطلوب منها.
- أما الإذاعات الموجهة فيمكن أن تلعب دورا كبيرا في الترويج لرسالة المملكة ومبادئها الأساسية التي قامت عليها.

محور التنمية البشرية

- استحداث وتطوير برامج شبابية هادفة وفعالة تسهم في الاستثمار الأمثل لطاقات الشباب وتحصنهم من الغلو والتطرف والانحراف.
- برنامج الابتعاث الخارجي من البرامج الأساسية في التنمية البشرية الموجهة إلى الانفتاح على الآخرين والتبادل الثقافي، والاستفادة من منابع العلوم المتخصصة، والتي تستهدف نقل صورة واقعية عن المملكة يحملها المبتعثون إلى الدول المستضيفة كقيمة مضافة. وحرصا على الاستفادة القصوى من ذلك البرنامج من الضروري إعداد المبتعثين لغويا وثقافيا للقيام برسالاتهم الناعمة في بعثاتهم، إلى جانب التواصل معهم لتشجيعهم على تمثيل بلادهم في الفعاليات الثقافية المختلفة.
- التوسع في البرامج التأهيلية والتطويرية والمنح الدراسية المنوعة بما يكافئ احتياجات المجتمعات المسلمة.
- إعداد برامج للأعمال التطوعية خارج المملكة خاصة في الدول الإسلامية الفقيرة التي هي في أمس الحاجة إلى المساعدة في مجال التنمية والتطوير، مما يسهم بدرجة كبيرة في تغيير الصورة النمطية للسعوديين في نظر غير المسلمين، وفي تعزيز منزلة المملكة في قلوب المسلمين. ومن ذلك على سبيل المثال إعداد برامج لتدريب الطلاب المرشحين للابتعاث على الخدمات التطوعية التي يمكن تقديمها وفي مقدمتها تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

- إعداد برامج لتدريب المتطوعين للمساهمة في جهود الإغاثة وانقاذ الضحايا من الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والسيول إضافة إلى التبرعات العينية.
- إنشاء مراكز طبية متخصصة في علاج الحالات الحادة والنادرة مثل (تصحيح الجنس، فصل التوائم)، والتي تفوقت فيها المملكة بتقديم خدماتها المجانية لغير القادرين على مستوى العالم، مما حقق للمملكة سمعة طيبة واستحقت تسميتها "مملكة الإنسانية"

خاتمة

تضمن هذا الكتاب التعرف على مكامن القوة الناعمة لدى المملكة العربية السعودية والإحاطة بها وتحديدها في جميع المحاور لأول مرة، مما كشف النقاب عن توفر مكامن متعددة ومتفردة للقوة الناعمة التي تملكها المملكة، مع تسليط الضوء على بعض برامج القوة الناعمة التي يجري تنفيذها في المملكة منذ عدة سنوات، وأحرزت نجاحا ملحوظا في الداخل والخارج، مما يقتضي التخطيط لإستثمارها الإستثمار الأمثل محليا وإقليميا وعالميا، مما يساعد على فتح آفاق جديدة للعمل بسياسة القوة الناعمة على المستوى الدولي لتأكيد ريادة المملكة وقيادتها للعالم الإسلامي ولنصرة قضايا المسلمين، وتعزيز مكانتها الدولية بين الدول الكبرى في العالم، مع تقديم توصيات بتنشيط هذه المكامن، وآليات مقترحة لتفعيلها بحيث تصبح المملكة العربية السعودية - بإذن الله - المرجع والأنموذج الذي يحتذى به في ممارسة آليات القوة الناعمة على الصعيدين المحلي والعالمي.

ولعلنا نسمع في قادم الأيام توجيهاً سامياً بإعداد خطة استراتيجية للمملكة يشارك فيها جميع المعنيين من القطاعات الحكومية وغير الحكومية لتفعيل مكامن القوى الناعمة للمملكة العربية السعودية وتحديد سبل إستثمارها محلياً وإقليمياً وعالمياً.

والله من وراء القصد.

المراجع

المراجع

(١) **Lukes، S.** 2004 *Power: Radical View*, Palgrave Macmillan.

(٢) **هاك، جيمس أر**. القوة الناعمة والقوة الذكية في إفريقيا، أمريكا في إفريقيا.. تطبيق لمفهوم القوة الذكية. دورية" رؤى إستراتيجية" الإلكترونية. ؛(يناير ٢٠٠٩). إعداد - رضوى عمار.

(٣) **Nye, Joseph S.، Jr. (6August1991),** *Bound To Lead: The Changing Nature Of American Power*. Basic Books

(٤) **Nyem Joseph S**. and **Keohane، Robert O.** 2011, *Power and Interdependence*، Longman

(٥) **عزت، هبة رؤوف**، القوة الناعمة المهدرة: أزمة النظام القوي والدولة الضعيفة بمصر. مركز الجزيرة للدراسات (٢٥-١١-٢٠١٠).

(٦) **الشبيلي، عبد الرحمن**، القوة الناعمة للسعودية. الشرق الأوسط. العدد ١١٨٥١، (الثلاثاء ٠٨ جمادي الثاني ١٤٣٢هـ ١٠ مايو ٢٠١١).

(٧) **زويل، أحمد**، هل تنجح القوة الناعمة في دفع الشرق الأوسط إلى آفاق جديدة؟ صحيفة الشروق (يوليو ٢٠١٠).

(٨) **العثيمين، يوسف بن أحمد**، القوّة (الناعمة) للمملكة العربية السعودية (١/٢). الرياض؛ العدد ١٤٤٧٦(الاثنين ٤ صفر ١٤٢٩هـ؛ ١١ فبراير ٢٠٠٨م).

(٩) **العلمي، فواز**، القوة الناعمة لا تتماشى مع خشونتنا. الوطن أون لاين نقلاً عن الوطن السعودية (٢٠١١/٤/١٢م).

(١٠) **كابلي، سعود عبدالعزيز** . القوة الناعمة: مخزون هائل لدى المملكة وقليل من الاستفادة. الوطن (الأحد ١٢ رجب ١٤٣٠ ـ ٥ يوليو ٢٠٠٩) العدد ٣٢٠١ .

(١١) **ديون لورانس (Dune Lawrance)**، "استراتيجية القوة الناعمة الصينية في خطر بسبب أوباما". وكالة أخبار بلومبيرج. (١٧ فبراير ٢٠٠٩).

(١٢) **أبو رمان، محمد**، القوة الإسلامية الناعمة ضائعة في زحمة"تسييس الدين"! الغد. (٣ يونيو ٢٠١١).

(١٣) **الدقس، كامل سلامة** ، العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الاعجاز البياني في سورة التوبة، جدة: دار الشروق، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

(١٤) **العودة، الشيخ سلمان بن فهد**. القوة الناعمة وقوة المعرفة. الوطن (أبريل ٣؛ ٢٠١٠).

(١٥) **الداني، عبدالله**، من وحي مركزها وثقلها الديني والاقتصادي والسياسي: خبراء لعكاظ: استثمار القوة الناعمة ضرورة. عكاظ؛ العدد: ٢٨٧٤، الخميس

١٤٣٠/٠٥/٠٥هـ؛ ٣٠ أبريل ٢٠٠٩.

(١٦) **العثيمين، يوسف بن أحمد،** القوة (الناعمة) للمملكة (٢/٢). الرياض: العدد ١٤٤٨٣. (الاثنين ١١ صفر ١٤٢٩هـ؛ ١٨ فبراير ٢٠٠٨).

(١٧) **طاهر، محمد** (٢٠٠٩) الخريطة المقبلة لقيادة العالم. مايكل شيفر مسؤول برنامج تحليل السياسات والحوار في مؤسسة ستانلي. دراسة نشرت على موقع "مؤسسة ستانلي" الأمريكية. تحت عنوان "الولايات المتحدة والقوى الصاعدة".

(١٨) **الحلوة، محمد بن إبراهيم،** تحديات السياسة الخارجية السعودية ... ومعطياتها. الشرق الأوسط: العدد ١١٨٣، (٢٥ جمادى الاولى ١٤٣٢ هـ؛ ٢٨ ابريل ٢٠١١).

(١٩) **نمر، سليمان،** (٢٤-٠٤-٢٠١١). الإعلامي السعودي الدكتور عبد الرحمن الشبيلي السعودية وسياسة "القوة الناعمة" لمهرجان "الجنادرية" الوطني للتراث والثقافة عقدت في الرياض. روح بدر.

(٢٠) **الجزيرة،** العدد ١٤٣٥٥، ٢٣ صفر ١٤٣٣هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠١٢م.

(٢١) **جريدة الرياض،** العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٣/٨/١٨م.

(٢٢) **صحيفة الاقتصادية الإلكترونية** (العدد ٤٥٥٨، ٤ إبريل ٢٠٠٦). وصف العلاقات بين الرياض وطوكيو بالشراكة العميقة مسؤول ياباني للاقتصادية": بإمكان المملكة استخدام القوة الناعمة لليابان .

(٢٣) **العواضي، فيصل،** محاضرة الشبيلي - القوة الناعمة للمملكة ليست سمة ضعف لكنها سمة قوة لا يقدر عليها الآخرون. الجزيرة، (٢٠١١/٤/١٩).

(٢٤) **جريدة المدينة،** العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٣/٣/٧م.

(٢٥) **جريدة المصريون،** العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٣/١/١٢م.

(٢٦) **الزواوي، محمد سليمان.** القوة الناعمة للحضارة الإسلامية. مدونة طريق ربنا. (٧ يوليو ٢٠١١).

(٢٧) **الغرياني، الشيخ صادق عبدالرحمن،** رئيس المجلس الأعلى للإفتاء، جريدة الأهرام (الطبعة العربية)، العدد ٤٥٦٨٣، الصادرة بتاريخ ٣ يناير ٢٠١٢م.

(٢٨) **Gunnar Myrdal** , (1 Feb. 2008) Asian Drama: An Inquiry . into the Poverty of Nations, Kalyani Publishers

(٢٩) **إسلام، وائل،** (٢٠١١). السفير تركستاني: المملكة تحارب الإرهاب بالقوة الناعمة، المدينة.

(٣٠) **السفير ديل ل. ديلي** (Dell L. Dailey)؛ **مارينا أوتاوي** (Marina Ottaway)، **كريستوفر بوشيك** (Christopher Boucek) (٢٩ سبتمبر ٢٠٠٨). استراتيجية السعودية المناهضة للإرهاب. مؤسسة كارنيجي للسلام (The Carnegie Endowment for International Peace).

(٣١) **رشيد، على** (٢٠٠٨). كارنيجي: السعودية تكافح الإرهاب بالقوة الناعمة صحفي ومراسل شبكة إسلام أون لاين في المملكة العربية السعودية. **إسلام أونلاين.**

(٣٢) **جريدة المدينة**، العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٣/٢/١٨م.

(٣٣) **الشهري، الكولونيل عبد الهادي**، (١٥ مارس ٢٠١٠). **القوة الناعمة كبديل للقوة الخشنة في قهر الإرهاب في المملكة العربية السعودية.** مشروع في كلية حرب الجيش الأمريكية (U.S. Army War College)، معسكرات كارليل (Carlisle Barracks) بنسلفانيا؛ (بالإنجليزية).

(٣٤) **موقع باب كوم**، ١١ مارس ٢٠١٣م.

(٣٥) **جريدة المدينة**، العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٠/١١/١٤م.

(٣٦) **جريدة الرياض**، العدد الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٢م، موقع السكينة، ٢٠١١/١٠/٧م

(٣٧) **الأمير نايف**، رسالة المملكة تتماشى والنهج الإسلامي والإنساني في تدعيم العمل الخيري والإغاثي. **الشرق الأوسط**. العدد ١١٥٤٢، (الاثنين ٢٤ رجب ١٤٣١ هـ ٥ يوليو ٢٠١٠).

(٣٨) **بن محفوظ، طالب، عريف وبكار وموسى**: التطوع أصبح مؤسساتياً لا شخصانياً . العايد: المملكة حضّت الشركات على تخصيص ٥ ٪ من الأرباح للعمل الخيري. **عكاظ**؛ العدد ٣٦١١، (٧ مايو ٢٠١١).

(٣٩) **الخريف، بدر**، الدعم السعودي للبوسنة والهرسك.. من زمن الحرب إلى زمن السلم؛ الملك عبد الله يشيد بالإنجازات التي تحققت.. والأمير سلمان: بلادنا صاحبة رسالة عالمية وحضور في دوائر العون الإنساني. **الشرق الأوسط**؛ العدد ١١٨٩٦، (الجمعة ٢٣ رجب ١٤٣٢ هـ ٢٤ يونيو ٢٠١١).

(٤٠) **ليكس ريفل و سارة زالود**، (يونيو ٢٠٠٦). أمريكا.. الجهد التطوعي في ذيل الأولويات. ترجمة - مروة صبري؛ **موجز لدراسة نشرت على موقع معهد** بروكينجز *(Brookings Institution)* تحت عنوان "الجهود التطوعية الدولية: قوة ذكية"، سلسلة (Policy Brief)، العدد ١٥٥.

(٤١) **Monroe E. Price** (2002). *Media and Sovereignty: The Global Information Revolution and its Challenges to State Power.* MIT Press

(٤٢) **جوزيف ناي**، القوة الناعمة: الطريق إلى النجاح في السياسة الدولية، نقله إلى العربية محمد توفيق البجيرمي، ٢٠٠٧م

(٤٣) **Khatib, Lina;** (2010). Public Diplomacy in the Middle East: Dynamics of Success and Failure؛ The Trials of Engagement: The Future of US Public

.؛ (Diplomacy)، (Scott Lucas) (Ali Fisher). : (Leiden: Brill

(٤٤) **الشد، أوان،** (٢٠١١). إرادتنا السياسية من "القوة الناعمة " إلى "القوة النائمة". مدونة أنا المسلم.

(٤٥) **كريستوفر س. بوند ، ولويس م. سيمونز** (٢٠١١)."جنوب شرق آسيا.. الجبهة المنسية؛ ترجمة علاء أبو زينة. فورين أفيرز (Foreign Affairs).

(٤٦) **جريدة الأهرام** (الطبعة العربية)، العدد ٤٦٧٨، ٢٠ربيع الأول ١٤٣٤هـ/ ١فبراير ٢٠١٣م

(٤٧) **دنيا الوطن،** السعودية: الأمير سلمان.. دبلوماسية فن الحكم ونجاح الإدارة والحضور الإنساني. دنيا الوطن (٢٠١١/٤/٢٩م).

(٤٨) **الفيصل، تركي** : الدبلوماسية الشعبية في عالم اليوم أجدى من الهمس في أذن زعيم دولة أجنبية: قال إن اللوبي الصهيوني يدفع أعضاء بالكونغرس لاتخاذ مواقف معادية. الشرق الأوسط، العدد ١٠٣٦٢، (٢٥ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ ١٢ ابريل ٢٠٠٧).

(٤٩) **نايف** (١٤ يوليو، ٢٠٠٩). الجغرافيا السياسية. مدونة سيلنت مومنت *(SilentMoment)*.

(٥٠) **النصوح، أحمد سلمان،** قطر... أنموذج للقوة الناعمة في المنطقة. صحيفة الوسط البحرينية؛ العدد ٣٠٣٤، (الاثنين ٢٧ ديسمبر ٢٠١٠م الموافق ٢١ محرم ١٤٣٢هـ).

(٥١) **جوني، عدي،** بحث الآفاق المستقبلية والطموحات؛ الجزيرة للدراسات يختتم منتدى العلاقات العربية الروسية. المعرفة: الجزيرة الوثائقية. (٢٦-٢-٢٠٠٩).

(٥٢) **العقيلي، سليمان،** كتاب اليوم: ما بعد حرب المتسللين على الحدود. الوطن العدد ٣٤٣٢ ـ السنة العاشرة. (الأحد ٧ ربيع الأول ١٤٣١ ـ ٢١ فبراير ٢٠١٠).

(٥٣) **حسن، على سيف،** الجغرافيا السياسية لليمن .. والفرصة الاقتصادية. التغيير. (١٧ ديسمبر ٢٠٠٩).

(٥٤) **فيونا هيل** (Fiona Hill)، "موسكو تكتشف خبايا القوة الناعمة"؛ مقال نشر بدورية (Current History) تحت عنوان "موسكو تكتشف القوة الناعمة"، وأعاد موقع معهد بروكينجز (Brookings Institution) نشره. (أكتوبر ٢٠٠٦).

(٥٥) **اليحيى، خالد عثمان، ناتالى فوستيير** (فبراير ٢٠١١). المملكة العربية السعودية جهة مانحة للمساعدات الإنسانية : جهود دولية ضخمة، مع ضعف في القدرات المؤسسية والتنظيمية. ورقه بحثيه رقم ١٤ المعهد العالمي للسياسات العامة (Global Public Policy Institute) أو (GPPi) برلين. ألمانيا.

(٥٦) **هنري لورانس** (٢٠١١). اللعبة الكبرى: المشرق العربي والأطماع الدول

ترجمة: عبد الحكيم الأربد، مراجعة: د. رجب بودبوس. **مكتبة المصطفى الالكترونية**.

(٥٧) **جريدة المدينة**، وزارة البترول لشؤون الثروة المعدنية السعودية تعتزم منح ٧ رخص لمصانع أسمنت جديدة (١٩ يناير ٢٠٠٩).

(٥٨) **وزارة البترول والثروة المعدنية السعودية، السعودية تمنح ١٧٠٠ رخصة في قطاع التعدين** باستثمارات بلغت ٢٧ مليار دولار تشمل ٢٨٠ مجمعاً تعدينياً تزيد مساحاتها عن ٦٤ ألف كيلومتر مربع. **العربية**(الاثنين ٢٣ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ - ٢٨ مارس ٢٠١١م).

(٥٩) **عبد الرحمن، الشريف**، السعودية: الكشف عن أول منجم للزنك في مدينة نجران جنوب البلاد. **منتدى الأخبار والصحافة والإعلام** (٤-٦-٢٠١١).

(٦٠) **العلمي، فواز**، المدن الاقتصادية تقضي على البطالة. **الوطن أون لاين**(١٠ مايو ٢٠١١).

(٦١) **شبكة الإعلام العربية**، **برنامج حكومي سعودي للاستثمار في المدن الصناعية** (٣١ مارس ٢٠١١).

(٦٢) **المعجل، سعد بن إبراهيم**، سدير الصناعية.. نقلة مهمة في تاريخ الصناعة. **الاقتصادية** (- ٦ أبريل ٢٠١٠)..

(٦٣) **العلمي، فواز**، نظرية المؤامرة في مبادرة"**نطاقات**."**الوطن أون لاين** (٢٠١١-٠٦-٢١).

(٦٤) **النوباني، خولة فريز**، الاستثمار في الدول الإسلامية .. صناعة ورؤية استراتيجية. **الاقتصادية الالكترونية**؛ العدد ٦٤٥٣ (١٢ يونيو ٢٠١١).

(٦٥) **الشبيلي، عبدالرحمن**، المملكة ونظرية القوة الناعمة إن كسب الحرب أسهل من كسب السلام، الرياض. **فنون الخليج**. (السبت ٨ شعبان ١٤٣٢؛ ٩ يوليو ٢٠١١).

(٦٦) **الدباس، صوفاء بنت راشد**، القوة الناعمة والمهمة العربية الشاقة. **البيان** (٣٢/٠٥/٢٧).

(٦٧) **كريِّم، بدر بن أحمد**، القوة الناعمة للإعلام **عكاظ** العدد: ٣٢٩٤ (الخميس ١٤٣١/٠٧/١٢ هـ ٢٤ يونيو ٢٠١٠ م).

(٦٨) **الشهري، فايز بن عبد الله**، تحديات الأمن الوطني: القوة الناعمة (Soft power). **مسارات**؛ العدد ١٣٦٣٥. (الأحد ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ - ٠١ مايو ٢٠١١م).

(٦٩) **المانع، صالح عبد الرحمن**، الهجمة الإعلامية على المشاهد العربي. **عكاظ**؛ العدد: ٣٣٦٦ (السبت ١٤٣١/٠٩/٢٥ هـ ٠٤ سبتمبر ٢٠١٠ م).

(٧٠) **حميدة، محمد سعد**، اعدوا لهم ما استطعتم من قوة وهناك نوع من القوة اسمه

القوى الناعمة. **الملتقى**. (٢٤ يوليو ٢٠١٠).

(٧١) **واحة الحاسب،** **المواقع الاجتماعية القوة الناعمة جدا** بواسطة واحة الحاسب. صحيفة "ريا نوفوستي" الروسية (٥ فبراير ٢٠١١).

(٧٢) **زويل، أحمد،** القوة الناعمة للعلوم. **الشرق الأوسط**: الصفحة الرئيسة، العدد ١١٥٣٦ (الثلاثاء ١٨ رجب ١٤٣١ هـ؛ ٢٩ يونيو ٢٠١٠).

(٧٣) **بن شابيرو،** دراسات الشرق الأوسط في الأخبار؛ مخطط الملك فهد لغزو وهزيمة أمريكا. Campus Watch (٢٠ ديسمبر ٢٠٠٢).

(٧٤) **الفيصل، تركي،** الأمير تركي الفيصل: الاستثمار في التنمية البشرية وتحسين مستوى حياة المواطن ضمن أولويات الاقتصاد السعودي. **السعودية تحت المجهر** (٢٤-٠١-٢٠٠٧).

(٧٥) **السكران، سليمان،** القوة الناعمة والبطالة "الناعمة". **صحيفة الاقتصادية السعودية العربية** الرياض (٢٣/١٠/٢٠٠٥).

(٧٦) **الدباس، وفاء،** القوة الناعمة. **الساحة العربية** (الأربعاء ١١ مايو ٢٠١١).

(٧٧) **Mona Sutphen, Nina Hachigian** (2010);*The Next American Century: How the U.S. Can Thrive as Other Powers Rise* (Simon & Schuster).